تخريج أحاديث كتاب

السّمْط المجِيد

في شأن البيعة والذكر وتلقينه وسلاسل أهل التوحيد

للشيخ صفي الدين أحمد بن محمد الأنصاري الشهير بالقُشّاشي

حقّقه ونقّحه وخرّج أحاديثه

فضيلة الفقيه الأديب الأستاذ الدكتور

خالد رشيد الجميلي

وسمى كتابه العرس السعيد في تخريج أحاديث كتاب السمط المجيد

١٤٤١هـ - ٢٠١٩م

الإهداء

الحمد لله المبدع الأكمل وصلى الله تعالى على الرحمة المهداة السراج الأمثل.

أما بعد..

فلي الشرف الأسمى والمقام الأعلى أن أهدي هذا السفر الجليل إلى **الشيخ الفضيل عبد القادر الجزائري** بطل الجهاد المقدس في الجزائر العربية المسلمة.

كلمة البروفيسور الدكتور خالد رشيد الجميلي

مخرج أحاديث كتاب **السمط المجيد** وقد سماه (العرس السعيد في تخريج أحاديث كتاب (**السمط المجيد**).

قال الجميلي: الحمد لله الذي من علينا بالإسلام نوراً وخدى وصلى الله تعالى على الرحمة المهداة للعالمين أجمعين خاتم المرسلين محمد (ﷺ) أما بعد فلقد اتجهت إلى خدمة إحياء التصوف ونشره في العالم الإسلامي لأنني وجدت الحركات الإسلامية كأنها قصرت في نشر الإسلام الخالد، لعل السبب يعود إلى خطأ وحصول منهجية الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى وقد وجدت المنهج الصوفي قادراً على حسن التربية والتزكية، إذا المريد يطيع شيخه غراء، وإذا مسن الشيوخ حسن المريدون وبهذا نعمق تصوف العلاقة بين المخلوق والخالق.

ولهذا خرجت أحاديث كتاب (أدب التعرف إلى مذهب أهل التصوف) وسميته (معين التلطف في تخريج أحاديث أدب التعرف إلى مذهب أهل التصوف) وإذا منحني الله عمراً مديداً سأخرج إن شاء الله تعالى أحاديث كتاب "الفتوحات المكية لرائد الصوفية الكبير محي الدين ابن عربي" كما دعوت المسلمين إلى إحياء منهج التحفيظ "تحفيظ القرآن الكريم لأنه البلسم الأوفى والمورد الأعلى في إعادة المسلمين إلى الالتزام بالدين، فإذا حفظ المسلم في اليوم خمس آيات فقط حفظ سورة البقرة في سبعة وخمسين بوقار ويحفظ سورة آل عمران في أربعين يوماً، بشرط تحفيظ معاني القران الكريم وإبعاده عن قضية تعدد القراءات، إذ هي والله ضالة ألغاها عثمان (ﷺ).

وبه ثقتي وبهِ نستعين

وصلَّى اللهُ على سيّدِنا محمد وآلِه وصحبه وسلم، وعلى جميع الأنبياء والمرسلين وآله كلهم وصحبِه والتابعين لهم أبداً وسلَّم تسليما عددَ خلقِ الله بدوامِ ملكِ الله.

الحمد لله رافع منشور ولايته على مفارق عباده الذاكرين بذكره، وذاكراً به في نفسه، وجوامعَ مجامعِ أهل طاعتِه بفتحِهِ ومغفرتِه ونصرهِ من الملأ الأعلى والأسفل في روضات رياض جنان ذكره وفكره، وحافَّهم بملائكتهِ الكرام إكراماً لهم بمزيدِ ثنائِهِ عليهم وحمدِهِ وشكرِه، وكلُّ ذلكَ ذكرٌ منه لهم بذكره.. فأصلُ الذكرِ ثابتٌ فيهم وحقيقتُه وصورتُه وفرعُه في سماءِ القبولِ، وسماوات الإقبالِ عليهم جارٍ بمضاعفات برّه ظاهراً وباطناً يؤتي كلَّ حينٍ أُكُله من أفنان أنواع الطاعات المسقاةِ من عُيونِ بحرِه.

أحمدهُ وبحمدِه استفتح فيحاءَ ميادينِ رضوانِه في جميلِ عفوهِ وعافيتِه وغفرهِ في سر الأمرِ وجهره على مداناتِ الزمنِ المتقاطعة بالمقدارِ على مرورِ دهرِه في ليالي جمعه وقدره، وأشهد أنّ لا إله إلا الله الواحد الأحد بماله عنده وعند كل أحدٍ في شفعه ووتْرِه، شهادةً هي له منه به عن عبده في مؤدّى تكاليفِ أمره جامعة لخير الأمر ومانعة من جميع شره ظاهراً وباطناً أولاً وآخراً عند مراتب أطوار طبقات حشرِه ونشرِه، وعند معدات الأسباب وحيث لا سبب بسلخ الصباح والمساء ومالهما في مقطعات عصره، وأشهد أن سيدنا محمداً عبدُه ورسولُه المختار لديه من عامة الأصفياء الأخيار في أقطار الاصطفاء حتى انتهى إلى خاصة قطره.. صلى الله عليهم وآلهم وصحبهم والتابعين لهم على متن الهداية بحسب الاستطاعة في عسر الأمرِ ويسرِه، وعلى عامة آبائنا ومشايخنا ومنسوبيهم أولاً وآخراً والمسلمين آمين.

وبعد.. فاعلم أيها الواله بذكرِ الله، والمستهتر بلذاذةِ أنسه في حبِّ الله للوارد: «مَنْ أَحَبَّ شيئاً أَكْثَرَ مِنْ ذِكْرِهِ»[1]، إنّ الذكرَ لله سلطان الله في سمائه وأرضه، الجاري لهم بسنتِه وفرضه،

---

(١) عزاه المناوي للديلمي، في الفردوس، برقم (٨٣١٢) وضعّفه، من حديث السيدة عائشة - (رضي الله عنها). ينظر: التيسير بشرح الجامع الصغير، للمناوي: ٢/ ٣٨٧.

وعلى زمام سلطانِه جرى قلمُ الاقتدارِ بالأقدار القاسمة بين الكل معيشتهم الحسية والمعنوية في بسط الأمر توسّطه وقبضه، سعياً بين صفا اسمه الباسط ومروة اسمه القابض بما لكلّ من بسطه وقبضه وجهة عطائِه من اسمه المعطي ومن المانع ما يخص جهة منعه.

ومنها توقف الحال الذكري في بعض القوى الظاهرة على الذاكر لحوادث الأسباب العلمية والعملية وعدم التوقف في باطنه عن باطن الذكر لجمع الذكر عطاءً ومنعاً منه في جداول عيونه، وأنهاره ومحيط بحره في حاضرته وقفرِه.

الذكرُ عطاءُ ومنٌّ منه في جداول عيونه وأنهاره ومحيط بحره في حاضرته وقفره؛ إذ حكمُ الصفةِ حكمُ الموصوف ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾[1] ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ﴾[2] وكل ذلك وصف الذكر عند تمكنه في سلطانه من سر العبد وجهرِه أبداً، فمثالُ الذكرِ إذا استولى في الذاكرين ونواله بالمنتالين جارٍ ببيان قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾[3] الآية، فالكلمةُ هنا أولاً هي ما يُبنى عليه بقية الكلمات وينشأ منها تفاريعها؛ لأنها القولُ المفرد عند عامّة النحاة التي لا تبديل لها في علم الله كأهلها العاملين بها فمتى كانت للعامل بها فله الباقيات الصالحات وهو محلها وأهلها، ومتى لم تكن له فليس له شيء من ذلك وإنْ وليَ من الآلاء سواها كل شيء فهي الدين والإسلام عند الله المختار لكل مختار في جميع الأقطار والأطوار العلوية والسفلية، الروحانية والطبيعية، وما فوقها وما دونها، فانظر إلى شجرةِ الذِكرِ وأصلِها وبركتها ببادي خيرها عند الذاكر بها مرة واحدة على أي حالة نطق بها، فتحقنُ دمَه ومالَه وعرضَه وتبيحُه الإسلام وأحكامه، وتحرّمُ عليه ما سوى ذلك ظاهراً وباطناً إذا كان القول بها في ظاهره وباطنه لا نفاقاً، فتكبّه بالنفاق في الدركِ الأسفلِ من النارِ ولا ناصرَ له، فالفضاء بها وهي الرافعة الخافضة وفصل الخطاب، فأظهر الله لنا أثر بركتها في أوّلِ الأمر بالمرة الواحدة؛ لنعلم أنّ دوام الخيراتِ في دار السعادة على اختلاف ضروبها كلها تفاصيل أنواع ذكر لا إله إلا الله في سور الإكرامات الأبدية دنيا وأُخرى ففي الدنيا النعيم بها وما بُنيَ

---

(١) سورة الأنعام: من الآية/ ١٨.

(٢) سورة يوسف: من الآية/ ٢١.

(٣) سورة إبراهيم: الآيتان/ ٢٤-٢٥.

عليها، وفي الآخرة كذلك النعيم بها وما بنيَ عليها فأهلُ الذكر عموماً هم ﴿أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ﴾[1] لا غير، ومن ليس منهم فليس بذاكرٍ ولا شاكرٍ كيف كان، ثمّ للناهجين منواله الطالبين كماله، المالك لجميع أحوالهم أو غالبها حالة تفريدهم بالذكر واستهتارهم به حتى يضع عنهم الذكرُ أثقالَهم الخفافَ والثقالَ، كما وردَ به الخبرُ عن سيدِ البشرِ، قال (ﷺ): «سَبَقَ الْمُفْرِدُونَ، قَالُوا: وَمَا الْمُفْرِدُونَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: الْمُسْتَهْتَرُونَ فِي ذِكْرِ اللهِ، يَضَعُ الذِّكْرُ عَنْهُمْ أَثْقَالَهُمْ فَيَأْتُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ خِفَافاً»[2].. الحديث، فبهذا صار عنوان المولعين به في الدنيا والآخرة السبق والوضع، وينتج عنها اللحوق والرفع.

نقل صاحب الدر المنثور[3] (رحمه الله تعالى) قال أخرج ابن جرير[4]، وابن المنذر[5]، وابن أبي حاتم[6]، والبيهقي[7] في الأسماء والصفات عن ابن عباس (رضي الله عنهما) في

---

(١) سورة النساء: من الآية/ ٦٩.

(٢) رواه الترمذي، باب في العفو والعافية : ٥/ ٤٦٩، برقم (٣٥٩٦) عن أبي هريرة (ﷺ)، قال الترمذي حسن غريب، وهو في صحيح مسلم دون هذه الزيادة، باب الحث على ذكر الله: ٨/ ٦٣، برقم (٦٩٨٤). وانظر كنز الأعمال ج١/ (١٧٧٣)

(٣) هو: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن عبد الرحمن السيوطي له (الإتقان في علوم القرآن) و(تفسير الجلالين) (ت: ٩١١هـ).ينظر: الضوء اللامع، للسخاوي: ٤/ ٦٥، وهدية العارفين، للبغدادي: ١/ ٢٧٨.

(٤) هو: محمد بن جرير بن يزيد الطبري، أبو جعفر: المؤرخ المفسر الإمام، صاحب تفسير(جامع البيان) و(تاريخ الأمم والملوك) المعروف بتاريخ الطبري (ت: ٣١٠هـ). ينظر: وفيات الأعيان، لابن خلكان: ٤/ ١٩١، وسير أعلام النبلاء، للذهبي: ١٤/ ٢٦٧.

(٥) هو: محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوريّ، أبو بكر: فقيه مجتهد، من الحفاظ. كان شيخ الحرم بمكة، له (الأوسط) و(اختلاف العلماء) (ت: ٣١٩هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء: ١٤/ ٤٩٠، والوافي بالوفيات، للصفدي: ١/ ٢٥٠.

(٦) هو: عبد الرحمن بن محمد أبي حاتم ابن إدريس بن المنذر التميمي الحنظليّ، أبو محمد، الرازي: حافظ للحديث، له تصانيف، منها (الجرح والتعديل)، و(التفسير) (ت: ٣٢٧هـ).ينظر: مقدمة كتابه الجرح والتعديل: ١/ ٤، والوافي بالوفيات: ١٨/ ١٣٥.

(٧) هو: أحمد بن الحسين بن علي، أبو بكر البيهقي: من أئمة الحديث، صنف (السنن والكبرى والصغرى) و(دلائل النبوة) و(شعب الإيمان) (ت: ٤٥٨هـ). ينظر: وفيات الأعيان: ١/ ٧٥، وسير أعلام النبلاء: ١٨/ ١٦٣.

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾ شهادة أن لا إله إلا الله ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾ وهو المؤمن ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ﴾ يقول لا إله إلا الله ﴿ثَابِتٌ﴾ في قلب المؤمن ﴿وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ يقول يرفع بها عمل المؤمن إلى السماء ومثل ﴿كَلِمَةً خَبِيثَةٍ﴾ وهي الشرك ﴿كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ﴾ يعني الكافر ﴿ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾ يقول الشرك ليس له أصل يأخذ به الكافر ولا برهان ولا يقبل الله مع الشرك عملا [1]، واخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم عن ابن عباس (رضي الله عنهما) في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا﴾ الآية قال: يعني بالشجرة الطيبة المؤمن وعني بالأصل الثابت في الأرض وبالفرع في السماء يكون المؤمن يعمل في الأرض، يتكلم فيبلغ عمله وقوله السماء وهو في الأرض ﴿تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا﴾ كل حين بإذن ربها يقول يذكر الله كل ساعة من الليل والنهار، وفي قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ﴾ قال: ضرب الله مثل الشجرة الخبيثة كمثل الكافر يقول إنّ الشجرة الخبيثة ﴿ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾ يعني أنّ الكافر لا يقبل عمله ولا يصعد إلى الله فليس له أصل ثابت في الأرض ولا فرع في السماء يقول ليس له عمل صالح في الدنيا ولا في الآخرة [2]، وأخرج ابن جرير عن أنس في قوله تعالى: ﴿كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ﴾ في الأرض وكذلك كان يقرؤها، قال: ذلك المؤمن ضرب الله مثله قال الإخلاص لله وحده وعبادته لا شريك له، ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ﴾ قال: أصل عمله في الأرض ﴿وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ قال: ذكره في السماء ﴿تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ قال: يصعد عمله أول النهار وآخره ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ﴾ قال: هذا الكافر ليس له عمل في الأرض ولا ذكر في السماء ﴿ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾ قال: أعمالهم يحملون أوزارهم على ظهورهم [3] انتهى.

---

(١) ينظر: الدر المنثور، للسيوطي: ٤/ ٧٦ (الطبعة الأولى).

(٢) الدر المنثور: ٤/ ٧٧.

(٣) المصدر نفسه.

قلت: وفيه يرد بيان قوله (ﷺ): «يَضَعُ الذِّكْرُ عَنْهُمْ أَثْقَالَهُمْ فَيَأْتُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ خِفَافاً»[1]، وأخرج ابن جرير عن عطية العوفي في قوله تعالى: ﴿مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾ قال ذلك مثل المؤمن لا يزال يخرج منه كلام طيب وعمل صالح يصعد إليه ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ﴾ قال: مثل الكافر لا يصعد له قول طيب ولا عمل صالح، وأخرج ابن أبي حاتم عن أنس قال: «إن الله جعل طاعته نوراً ومعصيته ظلمة إنّ الإيمان في الدنيا هو النور يوم القيامة»[2]، ثم إنه لا خير في قولٍ ولا عمل ليس له أصل ولا فرع فإنه قد ضرب مثل الإيمان والكفر فقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ وإنما هي الأمثال في الإيمان والكفر، فذكر أنّ العبدَ المؤمنَ المخلصَ هو الشجرة وإنما ثبت أصله في الأرض وبلغ فرعه في السماء، إنّ الأصل الثابت الإخلاص لله وحده وعبادته لا شريك له، ثم إنّ الفرعَ هي الحسنة، ثم يصعد عمله أول النهار وآخره فهي تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها، ثم هي أربعة أعمال إذا جمعها العبد: الإخلاص لله وحده، وعبادته لا شريك له، وخشيته وحبه، وذكره، إذا اجتمع ذلك فلا تضر الفتن[3] انتهى.

قلت: وفيه يرد بيان قوله تعالى ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾[4]، فذلك قوله لا تضره الفتن، وأخرج ابن أبي حاتم عن قتادة: «إِنَّ رَجُلاً قَالَ: يا رَسُول الله، ذَهَبَ أهل الدُّثُور بالأجور! فقال: «أرأيتَ لو عَمِد إلى متاعِ الدُّنْيَا فركّبَ بعضُها عَلَى بعضٍ أكان يبلغ السَّمَاء؟ أفلا أخبرك بعمل أصله في الأَرْض وفرعه في السَّمَاء؟ قَالَ: مَا هُوَ يا رَسُول الله؟

قَالَ: تقول: «لَا إله إلا الله، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَسُبْحَانَ الله، والحمدُ لله»، عشر مرات في دبر كُلّ صلاة، فذاك أصله في الأَرْض وفرعه في السَّمَاء»[5] انتهى.

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) تفسير ابن أبي حاتم: ٧/ ٢٢٤٢.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) سورة هود: من الآية/ ١١٤.

(٥) تفسير ابن أبي حاتم: ٧/ ٢٢٤١، وأصله في الصحيح من حديث البخاري، باب الذكر بعد الصلاة: ١/ ١٦٨، برقم (٨٤٣).

وقد قيل كذلك في الصحيحين عن رسول الله (ﷺ) ما لفظه بالاختصار أن الشجرة الطيبة هي النخلة، والخبيثة هي الحنظلة[1]، فإذا رأيت المذكور في الذكر ومثاله واعتبرت بقصصه وأمثاله رأيت العالم شجر تين طيبة وخبيثة أو شجرة ذات غصنين خبيث وطيب منقسمين بعد الاجتماع في الأصل والفرع أيضاً على فنن اسمه تعالى الهادي، واسمه المضلّ، وعلى اسمه المعطى، واسمه المانع، وعلى اسمه الضّارّ، واسمه النافع في سائر تقابل حضرات الأسماء جمعاً وفرادى بحسب النجوم والمواقع عند كل واقع.

وبيانه بوارد قوله تعالى: ﴿يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ﴾[2] كما نص الوارد فالسقيا بالواحد للبناء على الوحدانية أبداً إذ لا ماءين ولا شجرتين وإن تعدّدت الأفنان بالأجناس والأنواع وأخذت في البسط بالتفاصيل إلى ما لا حصر له أبداً أو أخذت ذات اليمين وذات الشمال ﴿فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ۝٨ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ۝٩ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾[3] وهم المُفرِدون كما ورد، وقد مر سبق المفردون وهذه القسمة الثنائية في الصورة الثلاثية شاملة للجهات الست فالمشئمة لها إليها التحت والخلف، والميمنة لها إليها العلو والإمام كما ترى وفيه أقسام، والسابقون هم المفردون من أهل اليمين لأنه سباقهم فهم فيهم ومنهم، فالمدار في ذلك على الذكر الذي هو ذكر الأم الجامع لجميع الأذكار بدءاً وعوداً؛ لأنه أصلها وعليه تبنى وبه تصرخ في طرف أنواع الوحدانية وإن تكثّرت وإليه تكنى كما ورد فيما

---

(١) المستدرك، للحاكم، تفسير سورة إبراهيم: ٢/ ٣٨٣، برقم (٣٣٤١)، قال الذهبي: على شرط مسلم، أما ما ورد في الصحيح فغير ذلك فعند البخاري ومسلم في الصحيح: «عن ابن عمر قال: قال رسول الله (ﷺ) إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها وإنها مثل المسلم فحدثوني ما هي فوقع الناس في شجر البوادي قال عبد الله ووقع في نفسي أنها النخلة فاستحييت ثم قالوا حدثنا ما هي يا رسول الله قال هي النخلة» صحيح البخاري ، باب قول المحدث حدثنا : ١/ ٢٢، برقم (٦١)، ومسلم، باب مثل المؤمن: ٨/ ١٣٧، برقم (٧٢٧٦).

(٢) سورة الرعد: من الآية/ ٤.

(٣) سورة الواقعة: الآيات/ ٨-١١.

أخرجه ابن النجار[1] عن علي بن أبي طالب (ﷺ) قال: «قالَ رَسُولُ الله (ﷺ) قالَ اللهُ تَعَالَى لَا إله إلا الله حِصْنِي وَمَنْ دَخَلَ حِصْنِي أَمِنَ مِنْ عَذَابِي»[2] الحديث فذكر الأم الذي هو لا إله إلا الله محمد رسول الله أولاً وآخراً أصل لما يُبنى عليه في الشريعة قبولاً ورداً لجميع أنواع مبنياتها أمراً ونهياً بما اشتملا عليه في ماهية الأمر فصيغة فعل ماضية في الواجب والمندوب والمباح ولا تفعل في الحرام والمكروه وما لا ينبغي وخلاف الأولى كله داخل في المكروه لتركه والصحيح داخل في المأمور به والفاسد داخل في المحرم المنهي عنه، فلا يخرج عنها أمرٌ ولا نهيٌ أبداً من حيث كان الأمر، ثم هو كذلك أصل في الطريقة ورسمها بتلقينه بالسند المتصل إلى رسول الله (ﷺ) بالثقات الإثبات أولاً كما هو أصل في الشريعة للقائل ليرتسم بماهية أمره فعلاً وتركاً بحال أرقى من الأول، إذ من المأخوذ، ثم متروكات كثيرة للرخصة ثم وللعزيمة هنا فالحال كالحال بعد إحكام أسّ الأول على قاعدة الكمال، إذ صاحب الطريق وتابعها يجافي منهيات الأمور شرعاً بالأمر أولاً ثم بالضرورة ثانياً بحسب مقامه الأول والثاني ثم يتعالى في منهيات الأبرار الطالبين للزكاة فيمن تزكى طلباً للقرب مع المقربين بحسب ما يؤمر وينهى بالأمر العام إنْ كان متسبباً، والخاص إن كان متجرداً بجميع واجبات الطريق إجمالاً كما هو مقرر بالبسط في محله، إذ لسان المتسببين على اختلافهم ﴿شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا﴾[3] ولسان المتجردين على اختلافهم ترامياً للخلاص يريدون وجهه، ثم هوان ذكر الأم أصلٌ في الحقيقة كما سبق ورسمها عند المحقق للبناء عليه أولاً وآخراً وإنما يعود بأنواع كريمة وأفنانٍ شتى منطلقاً في مجاري فروع الأذكار بحسب الذاكر وما يلقيه الله إليه في وقته وحاله سراً وجهراً فقد يلازم ذكراً في أوقات عديدة وقد يلازم أذكاراً في وقت

---

(١) هو: محمد بن محمود بن الحسن بن هبة الله بن محاسن، أبو عبد الله، محب الدين ابن النجار: مؤرخ حافظ للحديث. من أهل بغداد، مولده ووفاته فيها، له (ذيل تاريخ بغداد) (ت: ٦٤٣هـ). ينظر: الوافي بالوفيات: ٥/ ٧، وطبقات الشافعية، للسبكي: ٨/ ٩٨.

(٢) رواه الديلمي في الفردوس، باب القاف: ٣/ ١٧٣، برقم (٤٤٦٤)، عن أنس بن مالك (ﷺ)، وفي كنز العمال: ١/ ٥٤، برقم (١٦٧) عن علي (ﷺ).

(٣) سورة الفتح: من الآية/ ١١.

واحد بحسب خطاب الحق له في سره، وظهور ذلك له على جهره في ظاهره عن سره لقبول القلب عن الله بلا واسطة ما يلقيه الله إليه فيبرز في كل سماء له وأرض منه بما يوحى فيها من أمره فيعود المحقق عند ذلك مطلقاً كأصله لا لون له بل لونه لون إنائه الحالّ به حالاً وزماناً ومكاناً لكمال سماعِه وتوفير شروط دواعيه ومضيّه في اتباع الأحسن فالأحسن فهذه إيماءات إجمالاته إجمالاً للمجمل، ثم الله ينشي نشأة التفصيل الآخرة له منه بفتح خزائن غيبه من قلبه؛ لأنه المودع فيه كل ذلك في كل عبد لأوانه، وهذا من خزائن التقوى وإلهامه، ولذلك جال فيه التصريف بالأصبعين وصرف بينهما فخرج الأمر بالقبضتين وبالله الإعاذة منه، فمن شاء أقامَه، ومن شاء أزاغه ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾[1] ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ﴾[2] وكل هذا تذكير بالقلب وشأنه وأنه محل الطبع والشرح، وقد أودعه الله ما شاء به مما حبب إليه وكره وزيّن في كلٍ بحسبه على حسب علمه به فتبصر.

-فالتلقين للذكر - أولا كالبذرة تغرس لينبت فرعها بعد ثبوت أصلها في قلب القابل فتمدّ بالورد منها بقدر المتلقي إن كان متسبباً بالقدر الذي يأمره به الملقن له كما يراه بحسب حاله ووقته وفراغه، وما يوصيه فيه من الورد بلا إله إلا الله بألفٍ أو ألوفٍ أو مائةٍ أو مائتين أو عشراتٍ مقسمة له على قدر فراغه؛ فإن الدوام وإن قلّ الوردُ له أثر بالغ ناجع كتأثير حبل السانية[3] في حجرها فليقدم على ما مر فلا يجاوزه ولا يعدوه ليقع له النفع بإذن الله وإن كان متجرداً انقطع لها رأساً وكان عمله وحرفته وشغله حتى يحكم الله له بقدر وسعه وهو خير الحاكمين، وتلقن الذكر من الله تعالى على لسان رسوله بما أمر به وأخذ منه بالسند المتصل إليه شريعة وطريقة على أيدي الثقات الإثبات، ويقرره قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ﴾[4].

---

(١) سورة الأنعام: الآية/ ١٨.

(٢) سورة الكهف: من الآية/ ٢٩.

(٣) السانية: هي الناقة التي تستخرج الماء وحبل الدلو يُشد في عنقها ويبقى الماء في حجرها.

(٤) سورة البقرة: من الآية/ ٣٧.

وقوله تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[1] وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ ۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾[2] فالذاكر لزيم الذكر ومأمور المذكور على الدوام في شمله وبعد تكوينه إذ لا يأمر الحق عدماً، وأمر الحقُّ في علمِه منه وإليهِ بالخطاب الأزلي الأبدي لقدم كلامه تعالى، وتعلّقه بما يتعلق به العلم غائباً وشاهداً فأمْرُ الله الموجود في علمه أبدي متى شاء أن يكون كما علم وشاء كان وبهذا وله أمره صح ائتماره وإلا فلو كان غير ذلك لم يكن شيئاً من ذلك، وقس به جميع الأمر والمأمور ولا شبهة كما توهمها ذو الشبهة من قدم العالم، إذ قدم العالم في علم الله أمر لافتتاح له ولا اختتام فلا وهم بعد هذا إلا لحدوث في صورته الكونية لا في علم الله به فلا شبهة، بل هذا هو الحق من ربه ولا سبيل إلى خلافه محال أبداً.

- والذكر نفسه- كما قال سيدُنا أحمد بن عطا الله الشاذلي الاسكندراني (ﷺ)[3] في كتابه مفتاح الفلاح ومصباح الأرواح والكبراء قاطبة كذلك قالوا هو التخلص من الغفلة والنسيان بدوام حضور القلب مع الحق، وقيل ترديد اسم المذكور بالقلب واللسان، وسواء في ذلك ذكر الله أو صفة من صفاته أو حكم من أحكامه أو فعل من أفعاله أو استدلال على شيء من ذلك أو دعاء أو ذكر رسله أو أنبيائه أو أوليائه أو من انتسب إليه أو تقرب إليه بوجه من الوجوه أو بسبب من الأسباب أو فعل من الأفعال بنحو قراءة أو ذكر أو فكر أو شعر أو غناء أو محاضرة أو حكاية.

فالمتكلم ذاكر، والمتفقّه ذاكر، والمدرس ذاكر، والمفتي ذاكر، والواعظ ذاكر، والمتفكر في عظمة الله تعالى وجلاله وجبروته وآياته في أرضه وسماواته ذاكر، والممتثل بما أمر الله تعالى به، والمنتهي عما نهي الله عنه ذاكر.

---

(١) سورة محمد: من الآية/ ١٨.

(٢) سورة الأحزاب: الآيات/ ٤١ -٤٤.

(٣) هو: أحمد بن مُحَمَّد بن عبد الْكَرِيم بن عَطاء الله تَاج الدّين أبو الْفضل الإسْكَنْدراني الشاذلي، له (التنوير في إسقاط التدبير) و(الحكم) (ت: ٧٠٩هـ). ينظر: طبقات المفسرين، للداوودي: ١/ ٧٧، والدرر الكامنة، لابن حجر العسقلاني: ١/ ٣٢٤.

والذكر قد يكون باللسان وقد يكون بالجنان- وهو أنفعه وأتمّه وأبلغه- لأن الموصل إلى ما بعده من النتائج الكريمة والتعطفات الإلهية الرحيمية، وقد يكون بأعضاء الإنسان وقد يكون بالإعلان والإجهار، والجامع لذلك كله ذاكر كامل.

فذكرُ اللسان هو ذكر الحروف بلا حضور وهو الذكر الظاهر، وله فضل عظيم شهدت به الأخبار والآيات والآثار.

ومنه المقيد بالزمان أو بالمكان، ومنه المطلق، فالمقيّد كالذكر في الصلاة وقبلها وعقبها[1].

وفي الحج[2]، وقبل النوم ومعه وبعده[3]، والأكل كذلك[4]، وعند ركوب.....

---

(١) روى البخاري: "عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (ﷺ) قَالَ جَاءَ الْفُقَرَاءُ إِلَى النَّبِيِّ (ﷺ) فَقَالُوا ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ مِنَ الْأَمْوَالِ بِالدَّرَجَاتِ الْعُلَا وَالنَّعِيمِ الْمُقِيمِ يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ وَلَهُمْ فَضْلٌ مِنْ أَمْوَالٍ يَحُجُّونَ بِهَا وَيَعْتَمِرُونَ وَيُجَاهِدُونَ وَيَتَصَدَّقُونَ قَالَ إِلا أُحَدِّثُكُمْ إِنْ أَخَذْتُمْ أَدْرَكْتُمْ مَنْ سَبَقَكُمْ وَلَمْ يُدْرِكْكُمْ أَحَدٌ بَعْدَكُمْ وَكُنْتُمْ خَيْرَ مَنْ أَنْتُمْ بَيْنَ ظَهْرَانَيْهِ إِلا مَنْ عَمِلَ مِثْلَهُ تُسَبِّحُونَ وَتَحْمَدُونَ وَتُكَبِّرُونَ خَلْفَ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثاً وَثَلَاثِينَ فَاخْتَلَفْنَا بَيْنَنَا فَقَالَ بَعْضُنَا نُسَبِّحُ ثَلَاثاً وَثَلَاثِينَ وَنَحْمَدُ ثَلَاثاً وَثَلَاثِينَ وَنُكَبِّرُ أَرْبَعاً وَثَلَاثِينَ فَرَجَعْتُ إِلَيْهِ فَقَالَ تَقُولُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَاللَّهُ أَكْبَرُ حَتَّى يَكُونَ مِنْهُنَّ كُلِّهِنَّ ثَلَاثاً وَثَلَاثِينَ"، باب الذكر بعد الصلاة: ١/ ١٦٨، برقم (٨٤٣).

(٢) روى البخاري: "عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ تَلْبِيَةَ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ إِنَّ الْحَمْدَ وَالنِّعْمَةَ لَكَ وَالْمُلْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ، باب التلبية: ٢/ ١٣٨، برقم (١٥٤٩).

(٣) روى البخاري: " أَنَّهُ بَاتَ لَيْلَةً عِنْدَ مَيْمُونَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ (ﷺ) وَهِيَ خَالَتُهُ فَاضْطَجَعْتُ فِي عَرْضِ الْوِسَادَةِ وَاضْطَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) وَأَهْلُهُ فِي طُولِهَا فَنَامَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) حَتَّى إِذَا انْتَصَفَ اللَّيْلُ أَوْ قَبْلَهُ بِقَلِيلٍ أَوْ بَعْدَهُ بِقَلِيلٍ اسْتَيْقَظَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) فَجَلَسَ يَمْسَحُ النَّوْمَ عَنْ وَجْهِهِ بِيَدِهِ ثُمَّ قَرَأَ الْعَشْرَ الْآيَاتِ الْخَوَاتِمَ مِنْ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ ثُمَّ قَامَ إِلَى شَنٍّ مُعَلَّقَةٍ فَتَوَضَّأَ مِنْهَا فَأَحْسَنَ وُضُوءَهُ ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فَقُمْتُ فَصَنَعْتُ مِثْلَ مَا صَنَعَ ثُمَّ ذَهَبْتُ فَقُمْتُ إِلَى جَنْبِهِ فَوَضَعَ يَدَهُ الْيُمْنَى عَلَى رَأْسِي وَأَخَذَ بِأُذُنِي الْيُمْنَى يَفْتِلُهَا فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ أَوْتَرَ ثُمَّ اضْطَجَعَ حَتَّى أَتَاهُ الْمُؤَذِّنُ فَقَامَ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ ثُمَّ خَرَجَ فَصَلَّى الصُّبْحَ" باب قراءة القرآن بعد الحدث: ١/ ٤٧، برقم (١٨٣).

(٤) روى الترمذي: " عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ): إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ طَعَاماً فَلْيَقُلْ: بِسْمِ اللهِ، فَإِنْ نَسِيَ فِي أَوَّلِهِ فَلْيَقُلْ: بِسْمِ اللهِ فِي أَوَّلِهِ وَآخِرِهِ " باب ما جاء في التسمية على الأكل: ٣/ ٣٥٢، برقم (١٨٥٨) قال الترمذي: حسن صحيح.

الدابة[1]، وطرفي النهار، وغير ذلك.. والمطلق ما لا يتقيد بزمان ولا مكان ولا وقت ولا حال، فمنه ما هو ثناء على الله كما في كل واحدة من هذه الكلمات وهي: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم[2]، ومنه ما هو دعاء مثل ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار[3]، ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا الآية أو مناجاة، وكذلك اللهم صلّ وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم، وهو أشد تأثيراً في قلب المبتدي من الذكر الذي لا يتضمن المناجاة؛ لأن المناجي يشعر قلبه قرب من يناجيه، وهو مما يؤثر في قلبه وتلبسه الخشية.

ومنه ما هو ذكر فيه رعاية أو طلب دنيوي أو أخروي فالرعاية مثل قولك الله معي الله ناظر إليّ الله يراني فإنّ فيه رعاية لمصلحة القلب فإنّه ذكر يستعمل لتقوية الحضور مع الله تعالى، وحفظ الأدب معه، والتحرز من الغفلة، والاعتصام من الشيطان الرجيم، وحضور القلب مع العبادات، وما من ذكر إلا وله نتيجة تخصه فأيّ ذكرٍ اشتغلَتْ به أعضاؤك مما في قوته، والذكر مع الاستعداد هو الداعي إلى الفتح ولكن بما يناسب.

---

(١) روى مسلم في صحيحه: «سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ فِي سَفَرِنَا هَذَا الْبِرَّ وَالتَّقْوَى وَمِنَ الْعَمَلِ مَا تَرْضَى اللَّهُمَّ هَوِّنْ عَلَيْنَا سَفَرَنَا هَذَا وَاطْوِ عَنَّا بُعْدَهُ اللَّهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ وَالْخَلِيفَةُ فِي الأَهْلِ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ وَعْثَاءِ السَّفَرِ وَكَآبَةِ الْمَنْظَرِ وَسُوءِ الْمُنْقَلَبِ فِي الْمَالِ وَالأَهْلِ». وإذا رَجَعَ قَالَهُنَّ. وَزَادَ فِيهِنَّ «آيِبُونَ تَائِبُونَ عَابِدُونَ لِرَبِّنَا حَامِدُونَ» باب ما يقول إذا ركب إلى سفر: ٤/ ١٠٤، برقم (٣٣٣٩) عن ابن عمر (رضي الله عنهما).

(٢) روى الطبراني في الأوسط: "عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى الْأَسْلَمِيِّ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ (ﷺ) فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَتَعَلَّمَ الْقُرْآنَ، فَعَلِّمْنِي مَا يُجْزِئُنِي فِي الصَّلَاةِ أَنْ أَقُولَ قَالَ: قُلْ سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَه إِلا الله، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلا بِاللَّهِ «قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا لِلَّهِ، فَمَا لِي أَنْ أَقُولَ؟ قَالَ: «قُلْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، وَارْحَمْنِي، وَاهْدِنِي، وَعَافِنِي، وَارْزُقْنِي». فَلَمَّا أَنْ وَلَّى الرَّجُلُ قَالَ النَّبِيُّ (ﷺ): «أَمَا إِنَّ هَذَا قَدْ أَصَابَ الْخَيْرَ كُلَّهُ «أَوْ» عَلِمَ الْخَيْرَ كُلَّهُ» ٣/ ٢٣٧، ٣٠٢٥، قال الهيثمي في المجمع: ١٠/ ٨٩: فِيهِ أبو شَيْبَةَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ عُثْمَانَ، وَهُوَ ضَعِيفٌ.

(٣) رواه البخاري: "عَنْ أَنَسٍ قَالَ كَانَ أَكْثَرُ دُعَاءِ النَّبِيِّ (ﷺ) اللَّهُمَّ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ: بَاب قَوْلِ النَّبِيِّ (ﷺ) رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً: ٨/ ٨٣، برقم (٦٣٨٩).

قال الإمام الغزالي: "الذكر حقيقة هو استيلاء المذكور على القلب وانمحاء الذكر قال لكن له ثلاثة قشور بعضها أقرب إلى اللب من البعض واللب وراء القشور الثلاثة، وإنما فضل القشور لكونها طريقاً إليه فالقشر الأعلى ذكر اللسان فقط ولا يزال الذاكر يوالي الذكر بلسانه ويتكلف إحضار القلب معه؛ إذ القلب يحتاج إلى موافقته حتى يحضر مع الذكر، ولو ترك وطبعه لاسترسل في أودية الأفكار إلى أن يشارك القلب اللسان عند ذلك وتمتلى الجوارح والجوانح بالأنوار ويتطهر القلب من الأغيار وينقطع الوسواس ولا يسكن بساحته الخناس، ويصير محلاً للواردات ومرآةً صقيلة للتحليات والمعارف الإلهيات، وإذا سرى الذكر إلى القلب وانتشر في الجوارح ذكر الله كل عضو بحسب حاله.

قال الجريري: "كان من أصحابنا رجل يكثر أن يقول الله الله فوقع يوماً على رأسه جذع فشج رأسه وسقط الدم فاكتتب الدم على الأرض الله الله" [1] فالذكر نار لا تبقي ولا تذر، فإذا دخل بيتا يقول أنا لا غيري وذلك من معاني لا إله إلا الله فإنْ وجد فيه حطبا أحرقه فصار ناراً أو إن كان فيه ظلمة كان نورا فنوره وإن كان فيه نور صار نوراً على نور، والذكرُ مُذهِبُ من الجسد الأجزاء الخبيثة الزائدة الحاصلة من الإسراف في الأكل ومن تناول اللقم الحرام، وأما الحاصلة من الحلال فلا يدَ له عليها فإذا احترقت الأجزاء الخبيثة وبقيت الأجزاء الطيبة سمعت من كل جزء ذكرا كأنّه ينفخ في البوق وأولاً يقع الذكر في دائرة الرأس فيجدُ فيه صوت الكوس والبوق.

والذكرُ سلطانٌ إذا نزلَ موضعاً ينزلُ ببوقاته وكاساته؛ لأنّ الذكر ضد ما سوى الحق، وإذا وقع في موضع اشتغل بنفي الضد كما تجده من اجتماع الماء والنار.

وبعد هذه الأصوات تسمع أصواتاً مختلفة مثل خرير الماء، ودوي الريح، وصوت النار إذا تأججت وصوت الأرجية، وخبط الخيل، وصوت أوراق الأشجار إذا هبت عليها الريح وذلك لأن الآدميّ مركب من كل جوهر شريف ووضيع من التراب والماء والنار والهوى والأرض والسماء وما بينها.

---

(١) الرسالة القشيرية: ص/ ١٠٢.

فهذه الأصوات أذكار كل أصل وعنصر من هذه الجواهر ومن يسمع عنه شيء من هذه الأصوات فقد سبح الله تعالى وقدسه بكل لسان، وذلك نتيجة ذكر اللسان بقوة الاستغراق، وربما صار العبد إلى حالة إذا سكت عن الذكر تحرك القلب في الصدر حركة الولد في بطن أمه يطلب الذكر قالوا فإنّ القلب مثل عيسى بن مريم (عليه الصلاة والسلام) والذكر لبنه وإذا كبر وقويَ صعد منه حنين إلى الحق وصوت وصعقات ضرورية شوقا إلى الذكر المذكور.

وذكر القلب شبه رنة النحل لا صوت فيه رفيع مشوش ولا خفي شديد الخفاء وإذا استمكن المذكور من القلب وانمحق الذكر وخفيَ فلا يلتفت الذاكر إلى الذكر ولا إلى القلب فإنْ ظهر له في أثناء ذلك التفات إلى الذكر والى القلب فذلك حجاب شاغل، وذلك هو الفناء وهو أن يفنى الإنسان عن نفسه فلا يحسّ بشيءٍ من ظواهر جوارحه ولا الأشياء الخارجة عنه ولا العوارض الباطنة فيه، بل يغيب عن جميع ذلك ويغيب عنه جميع ذلك ذاهباً إلى ربه أولاً ثم ذاهباً فيه أخرى، فإنْ خطر له في أثناء ذلك أنّه فني عن نفسه بالكلية فذلك شوب وكدورة، والكمال أن يفنى عن نفسه وعن الفناء، والفناء غاية الفناء.

والفناء أول الطريق، وهو الذهاب إلى الله وإنما الهدى بعده، وأعني بالهدى هدى الله كما قال (تعالى): ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾[1]، وهذا الاستغراق قلّ ما يثبت ويدوم فإنْ دامَ فصارت عادةً راسخةً وهيئةً ثابتة عرج به إلى العالم الأعلى، وطالع الوجود الحقيقي الأصفى وانطبع له نقش الملكوت، وتجلى له قدس اللاهوت.

وأول ما يتمثل له من ذلك العالم جواهر الملائكة وأرواح الأنبياء والأولياء في صورة جميلة يفاض إليه بواسطتها بعض الحقائق وذلك في البداية إلى أن تعلو درجته عن المثال، ويكافح بصريح الحق في كل شي، فهذه ثمرة لباب الذكر وإنما مبدؤها ذكر اللسان، ثم ذكر القلب تكلفاً، ثم ذكره طبعاً، ثم استيلاء المذكور وإنما جاء الذكر، وهذا سر قوله (ﷺ):«مَنْ أَرَادَ أَنْ يَرْتَعَ فِي رِيَاضِ الجَنَّةِ فَلْيُكْثِرْ ذِكْرَ اللَّهِ»[2] بل سرّ قوله (ﷺ) يفضل الذكر الخفي على الذكر الذي تسمعه الحفظة سبعين ضعفاً.

---

(١) سورة الصافات: ٩٩.

(٢) الطبراني في الكبير: ٢٠/ ١٥٧، برقم (٣٢٦)، قال الهيثمي في المجمع: ١٠/ ٧٥: فِيهِ مُوسَى بْنُ عُبَيْدَةَ، وَهُوَ ضَعِيفٌ.

وعلامة وقوع الذكر إلى السر غيبة الذاكر من الذكر والمذكور، فذكر السرّ الهيمان والغرق فيه ومن علامته أنك إذا تركت الذكر لم يتركك وذلك طريان الذكر فيك لينبّهك من الغيبة إلى الحضور، ومن علامته شدّ الذكر رأسك وأعضاءك جميعاً فتكون كالمشدود بالسلاسل والقيود، ومن علاماته أنّه لا تخمد نيرانه ولا تذهب أنواره بل ترى أبدا أنواراً صاعدة وأخرى نازلة والنيران حواليك صافية تتأجج وتتقد، وإذا وقع الذكر إلى السر يكون الذكر عند سكون الذاكر كأنّه غرز الإبر في لسانه، وإنّ وجهه كله لسان يذكر بنور فائض عنه.

ثم اعلم أنّ كلّ ذكرٍ يشعرُ به قلبك تسمعُه الحفظة فإنّ شعورَهم يُقارنُ شعورك، وفيه سر حتى إذا غاب ذكرك عن شعورك بذهابك في المذكور بالكلية يغيب ذكرك عن شعور الحفظة.

♦ **تنبيه:**

ذكر الحروف بلا حضور ذكر اللسان، وذكر الحضور في القلب ذكر القلب، وذكر الغيبة من الحضور في المذكور ذكر السر وهو الذكر الخفي، واعلم أنّ رزق الظاهر بحركات الأجسام ورزق الباطن بحركات القلوب ورزق الأسرار بالسكون ورزق العقول بالفناء عن السكون حتى يكون العبد ساكناً بالله مع الله وليس في الأغذية قوت للأرواح وإنما هي غذاء الأشباح وقوت الأرواح والقلوب ذكر الله علام الغيوب قال الله تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾[1] فإذا ذكرت الله بلسانك ذكر مع ذكر لسانك الجمادات كلها، وإذا ذكرت الله بقلبك ذكر مع قلبك الكون ومن فيه من عوالم الله تعالى، وإذا ذكرت بنفسك ذكر معك السموات ومن فيها وإذا ذكرت بروحك ذكر معك الكرسي ومن فيه من عوالمه، وإذا ذكرت بعقلك ذكر معك حملة العرش ومن طاف به من الملائكة الكروبيين[2] والأرواح المقربين، وإذا ذكرت بسرك ذكر معك ما فوقه من العوالم بجميع عوالمه.

♦**تنبيه:**

الباعث على الفعل إما روحاني وهو الإخلاص، وإما شيطاني وهو الرياء، وإما مركب منها والمركب منها إما أن يتساوى فيه الطرفان فيسقط أو يكون الروحاني أقوى فيدفع أو

---

(١) سورة الرعد: من الآية/ ٢٨.

(٢) الكروبيين: سادة الملائكة وجبريل منهم. ينظر: عمدة القاري، للعيني: ١٥/ ١٢٥.

النفساني أقوى، ولا يكون إلا من محب للنفس وأحوالها وشهواتها كما إن الأول لا يكون إلا من محبي الله تعالى، فإذا تعارضا كان لا له ولا عليه، وإذا رجح لأحدهما كان بحسبه ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[1] ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾[2].

(١) سورة الأعراف: الآية/ ٨.

(٢) سورة الزلزلة: الآيتان/ ٧ -٨.

فصل في آداب الذكر

الذكر له آداب سابقة وآداب لاحقة وآداب فيه، أما السابقة فعلى السالك التوبة وتهذيب النفس بالرياضات وتلطيف الأسرار وتهيئها لمواسم حضرات الذكر الإلهي باعتزال الخلائق وتخفيف الغذاء والعلائق وقطع كل عائق وتحصيل علم الأديان والأبدان المفروض على الأعيان، وتحرير المقاصد بان تكون شرعية لا عادية وعليه إذا كان مفرداً مختاراً اختيار ذكراً لنفسه مناسباً لحاله فيدأب على ذكره ويواظب عليه حتى تظهر ثمرته عليه بعناية الله تعالى فيه.

ومن الآداب الملبس الحلال الطاهر الطيب المطيب بالرائحة الطيبة لما يعينه ويحضره، ومنها طهارة الباطن بأكل الحلال فإن الذكر وإن كان ناراً تأكل الأجزاء الناشئة من الحرام إلا أنّه إذا كان الباطن خاليا من الحرام والشبهة تكون الفائدة أعظم في التنوير وأكثر وأبلغ في إلقاء النور على النور كالظهور، وعند ملاقات الحرام تذهب الإنارة في التطهير وما إلى ذلك من الآداب السابقة.

ومن الآداب المقارنة الإخلاص به لله تعالى، وتطييب المجلس بالرائحة الطيبة لأجل الملائكة والجن والجلوس وأن يجلس متربعا مستقبل القبلة إذا كان وحده وإن كان في جماعة فحيث انتهى به المجلس، ومنها وضع راحتيه إلى فخذيه وتغميض عينيه، قالوا وإن كان تحت نظر شيخ تخيل شيخه بين عينيه فإنه رفيقه في الطريق وهاديه وأن يستمد منه بقلبه أول شروعه في الذكر ليستمد من همته ويعتقد أن استمداده منه هو استمداده من النبي (ﷺ) لأنّه نائبه.

ومن آدابه أن يذكر بقوة تامة مع التعظيم للذكر، وأن يصعد لا إله إلا الله من فوق السرة ناوياً بلا إله نفي ما سوى الله عن القلب، وناوياً بإلا الله إيصالها إلى القلب اللحمى الصنوبري الشكل ليتمكن إلا الله في القلب فيعطيه الثبات عند الإثبات ويسرى في جميع الأعضاء، ومنها إحضار معنى الذكر بقلبه من كل مرة وأدنى درجات الذكر أنّه كلما قال لا إله إلا الله لا يكون في قلبه شيء غير الله إلا نفاه من قلبه ومتى التفت إليه في حال ذكره فقد أنزله منزلة الإله قال تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾[1].

---

(١) سورة الفرقان: من الآية/ ٤٣.

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾[1] وقال تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ﴾[2]، وفي الحديث: «تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ وتعسَ عبدُ الدِّرهَم»[3] وإن كانا لا يعبدان بركوع ولا سجود وإنما ذلك بالتفات القلب إليها فلا يصح منه لا إله إلا الله إلا نفي ما في نفسه وقلبه مما سوى الله.

قال الشيخ عبد الرحيم القنائي[4] قلت لا إله إلا الله مرة ثم لم تعد إليّ، وكان في تيه بني إسرائيل عبد أسود كلما قال لا إله إلا الله ابيض من رأسه إلى قدميه وتحقيق العبد بلا إله إلا الله حالة من أحوال القلب لا يعبّر عنها اللسان، ولا يقوم بها الجنان ولا إله إلا الله وإن كانت خلاصة الخلاصة من التوجهات فهي مفتاح حقائق القلوب وترقي السالكين إلى عوالم الغيوب.

ومن الناس من اختار موالاة الذكر بحيث تكون الكلمات كالكلمة الواحدة لا يقع بينها خلل خارجي ولا ذهني كيلا يأخذ الشيطان منه فإنه مثل هذا الموضع بالمرصاد لعله بضعف السالك عن سلوك هذه الأودية لبعدها عن عادته لا سيما إن كان قريب العهد بالسلوك، قالوا وهذا أسرع فتحاً للقلب وتقريباً من الرب، وقال بعضهم تطويل المدمن لا إله إلا الله مستحسن مندوب إليه؛ لأن الذكر في زمن المد يستحضر في ذهنه جميع الأضداد والأنداد ثم ينفيها ويعقب ذلك بقول إلا الله فهو أقرب إلى الإخلاص لأنّه يكون الإقرار بالإلهية وهو إن نفى بلا إله عينه فقد أثبت بالا كونه بالا نور يوضع على القلب فينوره، ومنهم من قال ترك المد أولى لأنّه ربما مات زمن التلفظ بلا إله قبل أن يصل إلى إلا الله، ومنهم من قال إن قصد الانتقال من الكفر إلى الإيمان فترك المد أولى ليسرع الانتقال من الكفر إلى الإيمان وإن كان مؤمناً فالمد أولى لما تقدم.

وآدابه اللاحقة به إذا سكت باختياره يحضر مع قلبه متلقيا لوارد الذكر وهي الغيبة الحاصلة عقيب الذكر وتسمى النومة أيضاً فكما أن الله تعالى أجرى العادة بإرسال الرياح نشراً

---

(١) سورة الإسراء: من الآية/ ٣٩.

(٢) سورة يس: من الآية/ ٦٠.

(٣) صحيح البخاري، بَاب الرقاق: ٨/ ١٦٥، برقم (٢٣)، عن أبي هريرة (ﷺ).

(٤) هو: عبد الرحيم بن أحمد بن حجون بن محمد القنائي: صالح، من كبار النساك، مغربيّ الأصل، (ت: ٥٩٢هـ). ينظر: الوافي بالوفيات: ١٨/ ١٩٣، والأعلام، للزركلي: ٣/ ٣٤٣.

بين يدي رحمته العلية المطرية أجرى العادة بإرسال رياح الذكر نشراً بين يدي رحمته العلية فلعله يرد عليه ما يغمر قلبه في لحظة ما لا تغمره المجاهدة والرياضة في نحو ثلاثين سنة، وهذه الآداب تلزم الذاكر لواعي المخار[1].

أما المسلوب الاختيار فهو مع ما يرد عليه من الأذكار وما يرد عليه وهو من جملة الأسرار فقد يجرى على لسانه الله الله. أو هو هو هو. أو لا لا لا. أو أ أ أ. أو اه اه اه. أو صوت بغير حرف أو تخبّط لما غلب عليه فآدابه في ذلك التسليم للوارد وبعد انفصال الوارد يكون ساكناً ساكتاً، وهذه الآداب لمن يحتاج إلى ذكر اللسان، وأما الذاكر بالقلب فلا يحتاج إلى هذه الآداب الظاهرة وإنما يحتاج إلى تصفية سره عما سوى مذكوره وذكره، والله أعلم انتهى ما قاله سيدنا أحمد بن عطاء الله الشاذلي الإسكندراني في مفتاحه المذكور بزيادة يسيرة واختصار يسير، وقال سيدنا عبد الكريم ابن هوازن القشيري أبو القاسم[2] (رحمه الله) في رسالة الذكر له.

فصل

إذا تحقق الذاكر في ذكر اللسان وقع ذكر لسانه إلى ذكر القلب فإذا ذكر القلب يرد عليه في الذكر أحوال يجدها من نفسه، بل يسمع من قلبه لله تعالى أسماء وأذكاراً لم يسمعها قط ولا قرأها في كتاب بعبارات مختلفة والسنة متباينة لم يسمعها ملك ولا آدمي فإن لازم همته ولم يلتفت ولم يلاحظ هذه الواردات نال المراد والزيادة إلى أن ينتهيَ إلى ذكر السرّ، وإن التفت إلى ما يجرى عليه من هذه الأحوال ولاحظ هذه المسميات وهذه الأذكار ونظر إليها واشتغل بها فقد أساء أدبه فيعاقب في الوقت، وعقوبته انقطاع المزيد عنه، ثم يعاقب ثانياً إن أصرّ عليه بأن يرد إلى حال العلم بهذه الأحوال وترد عليه علوم حتى يظن أنّه قد فتح عليه

---

(١) الصراخ: صوت السفينة حينما تشق الماء بحيزومها، والقصد: شعور الذاكر بحلاوة المذكور، فكأنه تحدى البحر حتى وصل.

(٢) هو: عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك ابن طلحة النيسابوريّ القشيري، من بني قشير ابن كعب، أبو القاسم، زين الإسلام: شيخ خراسان في عصره، له (التيسير في التفسير) (ت٤٦٥هـ). ينظر: وفيات الأعيان: ٣/ ٢٠٥، وسير أعلام النبلاء: ١٨/ ٢٢٧.

علوم الأولين والآخرين، فإن لاحظ ما يرد عليه من العلوم فهو سوء أدب فيستحق العقوبة، وعقوبته في هذه الحالة أن يرد إلى حال الفهم، والفرق بين حال العلم وحال الفهم أنّ العلم وجود يرد على القلب من حيث العلم، والفهم نظر إلى ذلك العلم كان الفهم علماً بأنّه كان له علم بتلك المسائل فإن نظر إلى الفهم فقد أساء أدبه وعقوبته أن يرد إلى حال الغفلة.

فصل

إذا ذكر العبد بلسانه تقوى همته في الذكر حتى يذكره باللسان، مواظباً عليه حريصاً وراغباً فيه حتى لا يبقى منه جزء إلا كان راغباً في ذكر اللسان فإذا ذكر بلسانه ونظر بقلبه إلى الله تعالى ترد عليه أحوال يتوهم العبد أنّه يزيد ويربو ويعظم حتى كأنّه أكبر من كل شيء ثم يرد عليه من الحق قهر من الخوف يؤيده به فيمنع العبد من أن يذهب، ويعظم فيصطلمه[1] ثم يعيده فإذا أعاده عاد العبد إلى حالة أقوى من الأولى، ثم يرد عليه قهر أعظم من الأول، ولا يزال متردد بين هذه الأحوال في الزيادة يرتقي في كلّ نفس وكلّ ساعة حتى يرد عليه قهرٌ عظيم بعد أن أتى عليه به سنون كثيرة في ذكر اللسان نفسه فإذا عاد أعاده بعد هذا الفناء تنقطع عنه ذكر اللسان فلا يجد العبد من نفسه شيئاً لا من السمع ولا من البصر إلا شيئاً ضعيفاً، ثم يصير ذكره إلى القلب فيسمع من قلبه ذكر القلب حتى يتمنى أن يكون في مفازة؛ لأن عنده إن الناس يسمعون بآذانهم ذكره الذي في قلبه ولا يعلم أن أحداً غيره ليس يسمع ذلك.

وابتداء الذكر في الجوارح أنّه يجد حركة في جوارحه حتى لا يبقى عليه منه جزء من لحمه وعظمه إلا ويجد فيه حركة واختلاجاً ثم تقوى، تلك الحركات وتلك الاختلاجات حتى تصير أصواتاً وكلاماً حتى يسمع العبد من جميع جوارحه وأجزائه أصواتاً إلا من لسانه فإنّ اللسان لا ينطق في هذه الأحوال والعبد ملازم مبهمته لأنّه يتيقن أنّه لو لاحظ وطلب علم هذه الأذكار بقي فيها فهو لا ينظر إليها حتى يرقى عنها إلى غيرها، وهذا بعد أن وقع الذكر إلى القلب، وأما في حال ذكر اللسان فتكون هذه الحركات والاختلاجات للجوارح ولكن لا بهذه القوة.

(١) اصطلم، أي استأصل وأباد. ينظر: لسان العرب، لابن منظور: ١/ ٧٩٩.

فصل في أحوال ذكر القلب

يظهر على العبد من آثاره ذكر القلب شيء يجد الحلاوة له في فيه وحلقه حتى يقوم له ذلك مقام طعامه وشرابه فيجدُ العبد منبع ذلك الشراب من أصول أسنانه وهو أحلى من العسل وتبقى أسنانه بعضها على بعض حتى يشق عليه أن يفتح فاه فيجد هذا الشراب في فيه على هذا الوصف.

وفي حال هذا الشراب يقرب العبد من الموت حتى يذوب ويكاد يموت ولا يخاف في هذه الحالة إلا من الموت حتى أنّه إذا بلغ العبد إلى هذه الرتبة يهرب ألف رجل من هذه اللذة ولا يهرب واحد من الألف ممن أدرك هذه اللذة بطريقة موصلة إليها بمفتاح الذكر لا من الألف الأجنبي الذي لا يستطيع حملها بجملته فإن هذه اللذة أصعب وأقرب من الموت ويذوب العبد فيه حتى كأنّه يتلاشى وكأنّه يموت حتى يبلغ العبد في هذه الحالة إن صحبته هذه اللذة حتى يقرب من الموت فكما إن المبتدئ يهرب من الخلق يؤثر الخلوة فإذا بلغ العبد إلى هذا المقام يهرب من هذه اللذة، وصاحب هذه الأحوال يقول أنا أهرب من الخلق لهذا الشأن، وفي حال هذه اللذة تقوى معرفته ويحتدّ بصرُه وبصيرتُه حتى كأنّه يسمع وقع أقدام النمل في البداية يتمنى أن لا ينام وفي هذه المسألة أكثر همه أن يجد المنام ويستريح، وعلامةُ صحةِ هذه اللذة أن العبد لا يأخذه النوم ما دام في هذه المسألة ولو بقي سنين حتى تضعف هذه المسألة فحينئذ يجد المنام.

واعلم أنّ لأهل هذه النهاية مسألة وهي أنّهم يرد على أسرارهم مرة خطاب لا يشكّون أنّه من الحق فتكون مخاطبته باللطف والمناجاة فيجيبه السرّ، والعبد يسمع من السرّ الجواب ومن الحق الخطاب، ومرة يكون بالهيبة فيسكت السرّ ثم يجد مرة كلاما ذلك الكلام في نفسه خطاب وهو جواب، وليس للعبد فيه شيء بعلم العبد ومعرفته كأنّه يرى نفسه في النوم أنّه ليس هو من الحق ولا شك أن ذلك كلام الحق فإن غاب عن العبد هذه المعرفة اللطيفة وارتفع التميّز فهو جمع الجمع، ولذلك قال قائلهم أنا الحق، وقال أبو يزيد[1] سبحاني ما قال ذلك إلا الحق على لسان عبده لمحو الإشخاص.

---

(١) هو: طيفور بن عيسى البسطامي، أبو يزيد من الزاهدين(ت: ٢٦١هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء: ١٣/ ٨٦، والوافي بالوفيات: ١٦/ ٢٩٥.

فصل

العبد يعرف الخواطر التي تعرض له في باطنه ويميز بينها بأن يعرضها على العلم والأمر والنهي فإن صحّ على حدّ العلم فهو صحيح، وإن لم يصح فهو باطل.

ثم ألطف من هذه المسألة هي أنّه ربما يكون العبد على حالة شريفة يريد الشيطان أن يردّه إلى حالة أدنى من تلك الحالة فيخطر بباله تلك الحالة فإذا عرض ذلك الخاطر على العلم والأمر والنهي فيكون صحيحا ولكن يكون من الشيطان فكيف يعرفه العبد وقلّ من يعرفه من الناس؟ والجواب عنه أنّه إنما يعرف العبد ذلك الخاطر بتوحش يعود عليه منه وحشة فإذا ردّ على القلب ضربه فأوجعه كالطعام الذي لا يكون فيه ملح فيعلم بالوحشة والسماجة أنّه ليس من الحق وأنّه من الشيطان وأنه خاطر غير مرضي وإن كان عاد إلى ما هو طاعة مثل أن يأمره بالحج أو ببرّ الوالدين وإنما قصد أن يروج على العبد يردّه من الحال الأعلى إلى الحال الأدنى ليفسد ما هو عليه فزيادة ودّه يتم ويرفع مراده بهذا المقدار، وهذا الخاطر الذي من الشيطان يكون ضداً لما هو به، وربما يصور الشيطان للعبد أن تلك الحالة أعلى من حالة العبد الأولى ولكن لا تكون ضداً لما به العبد من حيث الاستخلاء والوحشة.

وإن كان الخاطر من الحق وجد السكينة مع ما عليه العبد من الانقطاع إلى الله تعالى فيوعده، فيتفقان كشخصين التقيا متفقين في الصفة والهمة يلتقيان ويتوافقان فإن كانا ضدَّين في الحرفة تزاحماً وتنازعاً كذلك العبد إذا كان على خاطر من الحق لما معه من البضاعة ورأس المال إذا ورد عليه خاطر من الشيطان ميّز بينهما فيجد في نفسه ضدية الوارد عليه، والسكينة تميّز الضدّية بين الوارد من الشيطان وبين ما معه من الحق فبتلك الضدّية لما هو فيه تحكم أنّها من الشيطان وليست من الحق، وهذه الخواطر والأحوال التي ترد على العبد يسمع العبد أصواتاً أحلى ما يكون وأحسن ما يكون فإنها كلها ألذ وأطيب واطرب وأشهى من أصوات الأوتار والمزامير والبربط[1] وكل شيء من صوت حلو حسن.

ثم هذا الخاطر من الشيطان يكون بهذه الحلاوة وربما يكون أتمّ حلاوةً من الذي من الحق في الصورة، وهو الذي من الشيطان يلوح فلا يعود إلى العبد منه شيء فإذا لم يكن للعبد

---

(١) البَرْبَط: هو العود، قاموس الموسيقى العربية للدكتور حسين علي محفوظ رحمه الله ص٦٦.

من الحق هذه الأحوال وأورد عليه الشيطان لا يشك أنّها من الله تعالى للصورة الصالحة وإنما يعلم أنّها من الشيطان للضدّية التي بينها وبين ما عنده من الحق الذي هو عليه ولما يعود إليه من الوحشة كما سبق فلو لم يكن له شيء من الحق لم يعلم أنّ هذا من الشيطان أم من الحق ولكن إذا قويَ في الذكر فترقّى بالتدريج إلى سماع هذه الأصوات المؤنسة حينئذ إذا ورد من الشيطان خاطرٌ يجد الضدّية بين ما بينه وبين ما عنده من الحق.

فصل

مثال المبتدئ مع الأحوال كالطير الوحشي إذا جاء فإن كان في الإنسان حركة وقوة وأثر الحياة والحسّ نفر منه واستوحش، ولا يقع عليه، وإن سكن الإنسان حتى يتوهم الطير أنّه ميت لا حراك فيه استأنس به ووقع عليه فلا ينفر، كذلك المبتدئ في الأحوال يجب أن تسكن حواسّه ولا تتحرك أنفاسه ولا يحك بدنه ويتصبر حتى يصير خلقاً له، ولا يحرك جزءاً منه ولا يرد طرفه في الأشياء ويكون مراعياً لهمته ولا يحرك البتة جزءاً من نفسه ولا بدنه ولا باطنة حتى تبدو له الأحوال مع طول المراعاة ثم يجب بعد ذلك أن لا ينظر إليها والى ما لا يبدو له مطلقا البتة لئلا يحجب به عنها ولا يزال في المزيد.

وهذا الطريق الذي هو طريق خصوص أهل الله لابدّ فيها من خصوص المجاهدة ومقاساة من لا تحتمله الأسماع والقلوب من الشدائد ولم يحك لها أي لم تخطر في البال لا أنّه يؤثر العبد هذه المجاهدات ولكن إذا سلك سبيل الله تدخل عليه هذه المجاهدات شاء أم أبى، ولو كان ذلك بتكلفه لم يصبر عليه العبد إلا قليلاً لكن كنت أحياناً في بدء المجاهدة وأحوال الذكر لو أرسل بي من السماء لكان أيسر وأهون من أن أقوم للأكل أو أتحرك للوضوء والفرض؛ لأنّه كان يغيب عني الذكر فكان يشقّ على التقضى بما كنت فيه لفوات الذكر فتدخل على تلك المجاهدة شئت أم أبيت لئلا أرد إلى ما عليه الناس من أحوالهم وكان يجري على أشياء في أحوال الذكر عند قوم كرامات لكنها عندي في ذلك الوقت أشدّ من المعصية، ولو ابتليت بالمعصية لكان أهون على من تلك الأشياء لأني كنت أريد أن لا أنام البتة لئلا أغيب من الذكر لحظة فكنت أقعد على حجر ناتئ من جدارٍ عالٍ، والحجر قدر ما أضع علية قدمي وتحتي وادي وفوق شاهق حتى لا يأخذني النوم فكنت إذا رأيت وجدت نفسي نائمة مستلقية على تلك الحجر

الصغير على الهوى من غير إن كان تحتي شيء، وربما كنت في المسجد أريد أن أدخل الكوخة فلا أدخل لأجل النظر فأقعد في المسجد وأجهد أن لا يأخذني النوم فيأخذني النوم فإذا انتهيت وجدت نفسي في الكوخة[1] وكنت أرى هذه الأحوال ولكني كنت أعدّها غفلات وعقوبات لأني كنت أقول هو ذا يقطعني بالنوم من الذكر ولا يجعل لي سبيلاً إلى النشاط.

واعلم أنّ المبتدئ في ابتداء أمره مجتهد فيتباعد عنه مقصودُه من الأحوال الشريفة اللازمة للذكر وفتح القلب وتنويره فلا يزال دائباً على سيره كذا أجرى الله سنته في سالكي طريقه حتى إذا عجز العبد وظنّ وتوهم أن لا يجيء منه في الطريق شيء حينئذ تداركه الله بفضله ورحمته، فيظهر له الكشف بعد إياسه ولكن في الابتداء كلما ازداد جهداً ازداد الشيءُ المقصودُ منه بعدا هكذا كانت سنة الله معي، وفي الابتداء في أحوال الذكر بلغت إلى موضع كنت أبصر جميع المخلوقات من نفوذ الإبصار، ثم في الانتهاء لما ظهر الحق وبلغ الذكرُ السر عاد البصر إلى مثل أحوال الناس.

ومن خلوص الأحوال بيني وبين أبي الفوارس[2] أني كنت ليلة من الليالي معه فأخذه النوم وكانت ليلة العيد وأبو الحسن عندي فخطر ببالي لو كان لنا سمن لضيفنا اليوم كذا وكذا فقال أبو الحسن في النوم ألقِ هذا السمن من يدك أي شيء هذا فكرره ثلاث مرات فأيقظته من النوم فقلت: أي شي تقول فقال لا شيء إلا إني كنت أرى في النوم كأنّا في موضع رفيع نزوره وكان الحق سبحانه يريد أن يظهر والهيبة وقعت على الناس وأنت معنا بيدك سمن لا تلقيه وكنت أقول لك ألق السمن من يدك قال فلما اشتدّ بي ذكر القلب قال لي أبو الحسن اذهب إلى بعض الرساتيق[3] معي ثم مال بي في الطريق واقعدني على حجر فقال طبق شفتيك وقل (خداي) قال: فقلت واجتهدت حتى لا افتح الفم فامتلأ فمي وعاد الذكر إلى السر فمن ذلك أجد في سري أن أقول (خداي) فبعدما جاوز الخاء ولا يجاوزها صار ذكراً ممتداً ففي الوقت

---

(١) الكوخة: مأوى الحارس، لسان العرب لابن منظور ج٣/ مادة (ك وخ).

(٢) هو: حسن بن محمد ابن الأعوج، أبو الفوارس: أمير حماة وابن أميرها، كان شاعراً (ت: ١٠١٩هـ). ينظر: الإعلام، للزركلي: ٢/ ٢١٩.

(٣) الرساتيق: جمع رستاق، فارسي معرب، السطر من النخل، أو القرى. ينظر: المصباح المنير: ١/ ٢٢٦.

أخذت عني فغبْتُ فلما عدت كان بعد الصلاة فحملني تلك الليلة إلى تلك القرية، ثم في تلك الليلة ردني إلى البلد وأخذت في النحول حتى صرتَ عظاماً لا لحمَ علىّ البتة إلا جلد في يوم وليلة ثم سكنَ عني ذلك وبي سنة لم أعد إلى حالتي من قوةِ النفس ولم يرد على شيء يزيد في حالي أو ينقص منه، والله أعلم.

هذا ما قاله الشيخ (رحمه الله) لتعلم ما هم عليه من أولهم إلى آخرهم فَمِنوالهم الحقّ الذي تدور عليه معالمهم الظاهرة والباطنة في الدنيا والآخرة، فالعلمُ والعمل على الصدق والإخلاص والصبر، وسلطانهم الذي ينفذون به في الأقطار.

ومنها على عامة الأطوار الذكر على اختلاف ضروبه وكيفيّاته سراً كان أو جهراً، وفي كل منها أنواع كثيرة مختلفة بحسب الذاكرين وأمزجتهم وأوقاتهم وأحوالهم وبدايتهم، وتوسطهم وغايتهم، ولكل منهم درجات بحسب ذلك مما عملوا على وفق المنزل من قبل الله تعالى إليهم بعمله فيهم حالاً ومآلاً والأمر على ذلك أبداً.

وعبودية الذكر لله تعالى أبدية لا ينقضي أمدُها ولا يرفّ[1] تكليفها حتى يلهمونه في الجنة كما يلهمون النفس فهو بمعنى أنّه مادة حياتهم ومنشور ولايتهم لله وسلطانه عندهم الذي به يترقون ويبقون فاذكر الله عند هذا ذكراً كثيراً.

فصل

ومن آداب طالب التلقين، وما يستحسن له أولاً أن يؤمر قبل ذلك أن يبيت ثلاث ليالٍ بأمر الشيخ على طهارة، ويصلى ست ركعات في كل ليلة من الثلاث، ركعتين يقرأ في أولاهما (الفاتحة) و(إنا أنزلناه في ليلة القدر) ستاً، وفي الثانية كذلك (الفاتحة) و(إنا أنزلناه) مرتين، ويسلّم، ويهدي ثواب ذلك إلى روح النبي (ﷺ) ويستمدّ من روحه الشريفة القبول والعون والفتح، ويصلي ركعتين يقرأ في الأولى (الفاتحة) و(الكافرون) خمساً، وفي الثانية (الفاتحة) و(الكافرون) ثلاثاً، ويهديه إلى أرواح عامة الأنبياء والمرسلين وآلهم وصحبهم وتابعيهم، ويستمد منهم، ثم يصلى ركعتين يقرأ في الأولى (الفاتحة) و(الإخلاص) أربعاً، وفي الثانية (الفاتحة) و(الإخلاص) مرتين، ويهديه إلى روح ملقنه ومشايخه ومشائخهم وآلهم وصحبهم

---

(١) ولا يرف: برق وتلألأ، لسان العرب لابن منظور / باب (ر ف ف).

وتابعيهم، ويستمد منهم أجمعين القبول والعون والعافية والفتح ويصلى على النبي (ﷺ) عشراً، ويقول في الآخرة منها وعلى جميع الأنبياء والمرسلين وآلِ كلٍ وصحبهم وعامة المؤمنين عدد خلق الله بدوام ملك الله.

واختيار هذه السور للقراءة إن كان يحسنُها لما فيها من الفضل الوارد بالسنة لأنّ (إنا أنزلناه) ورد أنّها تعدل ربع القرآن، وفي رواية نصفه وسورة (الكافرون) تعدل ربع القرآن، و(الإخلاص) ثلثه فمن قرأ بذلك فكأنما قرأ القرآن أجمع، فبهذا الفضل اختص الله لعباده كتابه وكمل ثوابه، وقد حضّ على ذلك الرسول (ﷺ) بالمعقول والمنقول، فإذا كان يحسنها فلا يعدل عنها، وإن لم يحسنها أجمل في الجميع سورة الإخلاص بمثل ذلك، ولو يتعلمها حفظاً إن لم يكن يحفظها للفضل الوارد في ذلك، وإن لم فما تيسر ولو سورة الفاتحة وكفى، ثم يجلس متربعاً ويشرع في ذكره جزى الله سيدنا ونبينا محمداً (ﷺ) ما هو أهله ألف مرة كل ليلة عند نومه ويكون ذلك آخر عمله في فراشه، وينام بعد تمام الذكر حال كونه فيه مستحضراً للنبي (ﷺ) كأنّه يراه متأدّباً بين يديه بذلك الحضور والاستحضار كأنّه ينظره وهو واضع جنبه على فراشه، وهو فيه يذكر به ليأخذه النوم على ذلك فإذا كان المريد السالك شريف الاستعداد حصل له من ذلك وقائع حسنة وإمدادات جميلة بأول مرة تبيّن عن حالِه وترشد إلى بيان قدر همّته واستعداده من قبل تلقين ذكر الأم وإن أراد الشيخُ غير ذلك بهذا العدد أو أزيد منه أو أقل على حسب نظره في المريد فعل كوِرْد: "اللهم يا رب محمد صل على محمد وآل محمد واجزِ محمداً عني ما هو أهله ألفاً وكما يرى بأزيد وأدوَن من ذلك" أو "سبحان الله وبحمده" أو "سبحان الله وبحمده وسبحان الله العظيم" و"بحمده استغفر الله العظيم وأتوب إليه".

فكل هذه من مفاتيح خزائن الله في قلوب عباده المسترشدين به إليه فبعد ذلك يلقّنه الذكر صبح الثالث إن كان مقيماً أو ليلته إن كان مسافراً وإن ضاق وقته أمَره بالوضوء لوقته إنْ وسع وصلاة ركعتين لله تعالى وأهداه لهم ولقنه وأوصاه بما يليق به إن كان متجرّداً أو متسبباً فيكون كما يراه له فإن كان مسافراً جعل له من ذكر الأم ورداً معيناً لا يخل به على قدر ما يراه لأنّه طبيبه ومصاحبه في طريقه وبه يصحّ انتسابه إليه إلى الطريق وأهلها ويكون وارثاً فيها منه بقدر نسبه، وحياة نسبه هنا بعد التلقين الجد كما ورد «مَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ»[1].

---

(١) صحيح مسلم، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن: ٨/ ٧١، برقم (٧٠٢٨) عن أبي هريرة (رضي الله عنه).

فالعمل بريده[1] والهمة مريده ووريده[2]، وإن كان قابلاً للانقطاع إلى ذلك والعزلة له والخلوة بالذكر ثلاثاً أو سبعاً أو عشراً أو عشرين أو أربعين فحسن إن كان أهلاً لذلك، ويبدو له من ذلك قدر قبوله كما بدا للورثة العالمين بذلك من انصبائهم.

واعلم أيها النبيه أنّ هذا الذكر الذي هو ذكر الأم هو أصل إنزال الكتب السماوية وإرسال الرسل عليهم الصلاة والسلام إلى المكلفين وهو تلقين الله لهم، ومنهم إلى الأمم أولاً وآخراً.

قال تعالى: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾[3] وقال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا ﴾[4] وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ﴾[5].

فأول الدين ومبناه بتوحيد الله وتقواه وأوّلها نبذُ الشرك وراء ظهره بلا إله إلا الله محمد رسول الله وبه أكرم كل كريم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وبه أُهين كل مهان مهين وأخذ حقها من كل متعدٍّ حدّها، وكل ذلك بتفصيل حقها بعد إجماله لها عند الناظرين بنور الله فيها والقتال عليها ووضعه بها فيها الرفع والوضع، وفي بيان ذلك ورد: «أَفْضَلُ الدُّعَاءِ دُعَاءُ يَوْمِ عَرَفَةَ وَأَفْضَلُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي لَا إله إلا الله وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ»[6].

وورد: «أفضلُ الْعلمِ لَا إله إلا الله وَأفضلُ الدُعَاء الاسْتِغْفَار»[7] وورد: «بُنِيَ الإسلام على خمسٍ شهادةِ أنْ لا إله إلا الله»[8] الحديث، وورد «أَفْضَلُ الذِّكْرِ لاَ إله إلا الله وَأَفْضَلُ الدُّعَاءِ

---

(١) بريده: رسوله، لسان العرب لابن منظور/ مادة (ب ر د).

(٢) وريدهُ: مستقاه.

(٣) سورة محمد: من الآية/ ١٩.

(٤) سورة الشورى: من الآية/ ١٣.

(٥) سورة النساء: من الآية/ ١٣١.

(٦) سنن الترمذي، بَابٌ في الدعاء إذا غزا: ٥/ ٤٦٤، برقم (٣٥٨٥) عن عبد الله بن عمرو (ﷺ).

(٧) رواه الديلمي في الفردوس، باب الألف : ١/ ٣٥٢، برقم (١٤١٢) عن ابن عمر (رضي الله عنهما)، ضعفه الألباني في الضعيفة: ٦/ ٣٤٣.

(٨) تمام الحديث: ((بُنِيَ الإِسلام عَلَى خَمْسٍ إِيمَانٍ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالصَّلَاةِ الْخَمْسِ وَصِيَامِ رَمَضَانَ وَأَدَاءِ الزَّكَاةِ وَحَجِّ الْبَيْتِ)) صحيح البخاري، : ٦/ ٢٦، برقم (٤٥١٣) عن ابن عمر رضي الله عنهما.

الحَمْدُ لِلَّهِ»[1] الحديث، ووردَ: «إِنَّ صَدَقَةَ السِّرِّ تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ، وَإِنَّ صَنَائِعَ الْمَعْرُوفِ تَقِي مَصَارِعَ السَّوْءِ، وَإِنَّ صِلَةَ الرَّحِمِ تَزِيدُ فِي الْعُمُرِ، وَتَقِي الْفَقْرَ. وَأَكْثِرُوا مِنْ قَوْلِ: لَا حَوْلَ وَلَا وَقُوَّةَ إِلا بِاللَّهِ، فَإِنَّهَا كَنْزٌ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ فِيهَا شِفَاءً مِنْ تِسْعَةٍ وَتِسْعِينَ دَاءً، أَدْنَاهَا الْهَمُّ»[2] الحديث، وقال (ﷺ): «لَا إله إلا الله لَا يَسْبِقُهَا عَمَلٌ وَلَا تَتْرُكُ ذَنْباً»[3] وقال (ﷺ): «لأَنْ أَقُلْ سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلاَ إله إلا الله وَاللَّهُ أَكْبَرُ أَحَبُّ إلى مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ»[4] فأفضل الذكر هذا الذكر لأنّه به تظهر السعادة وتقبل العبادة وتتم الصالحات والسيادة لأنّه هو النعمة التي بها تتم في جميع الحركات والسكنات النعمة عند جميع الكائنات والحمد لله عليها أفضل حمد العبد وهو دعاء إلى الله بالشكر على هذه النعمة وسؤال فضله باستبقائها على عبده لفقر العبد إلى نعمة سيده عليه بها وإدامته فيها بفضله ورحمته وعجز العبد من تحصيلها إلا بفضل الله عليه ورحمته له وهو الغني الكريم.

قال تعالى على لسان أهل الجنة جملة لا إله إلا الله: ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾[5]، وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾[6]، وقال تعالى: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾[7] وما والاه، فتذكر.

والاستغفار من التقصير في حقّ الشكرِ لله تعالى عليه من العبد أفضل الدعاء منه لله تعالى لأنّه من تمام الحمد المذكور في الورد الثاني بقوله وأفضل الدعاء الحمد لله فلا تعارض وكونها

---

(١) سنن الترمذي، باب ما جاء إن دعوة المسلم مستجابة: ٥/ ٣٢٥، برقم (٣٣٨٣) عن جابر بن عبد الله (ﷺ)، قال الترمذي: حسن غريب.

(٢) المعجم الأوسط، للطبراني: ١/ ١٨٩، برقم (٩٤٣)، قال الهيثمي في المجمع: ٣/ ١١٥: ضعيف.

(٣) سنن ابن ماجه: باب فضل لا إله إلا الله: ٢/ ١٢٤٨، برقم (٣٧٩٧) عن أم هانئ (رضي الله عنها)، ضعفه الألباني في ضعيف ابن ماجه: ٨/ ٢٩٧. ونحن لا نتفق مع الشيخ الألباني، إذ رواه الإمام المجبل الإمام أحمد بن حنبل ج١/ ٤٢٥.

(٤) صحيح مسلم، باب فضل التسبيح والتهليل: ٨/ ٧٠، برقم (٧٠٢٢) عن أبي هريرة (ﷺ).

(٥) سورة الأعراف: من الآية/ ٤٣.

(٦) سورة الزخرف: من الآية/ ٥٢.

(٧) سورة الزمر: من الآية/ ٢٢.

في الورد الأول أفضل العلم لأن علمها هو عين عملها متى علم ذلك اعتقده بقلبه، وكل ذلك عمل القلب العلم والاعتقاد وإن كان الاعتقاد تابعاً له لأنّه مفرع عليه إذ هو عمل قلبي، وما بنى عليه العمل هو علم فصارت بهذا لا إله إلا الله علماً وعملاً ظاهر أو باطناً كما قال تعالى: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾[1] فعلى هذا هي العلم والعمل وبهذا العمل والمضي فيه دوام السعادة والفوز وكمال القرب والنجاة وحلول دار السعداء مع الذين أنعم الله عليهم ولا شيء أفضل رباطا من الذكر لعموم فرضه على الدوام ولزوم العمل به على كل حال من سائر الأحوال في جميع العوالم الظاهرة والباطنة وجعل الله محله من العبد قلبه، ومنه ينتشر موزعاً على سائر أعضائه ومفاض ذلك من قلبه الواسع الجامع الذي هو بحر جميع تلك الجداول المنصبة إلى كل عضوٍ عضو ووقّت وقتَ ورجوعها عنده إلى الطرفين كطي الأزمان بتفاصيلها في الدهر على الدوام والبقاء.

فالقلب أوسع الذاكرين لله ولا شيء كسعته لسعته الحق، ودونه كل شيء على الدوام وأوسع عباداته العلم ودوام الذكر لله على كل حال ولا تمنعه العوارض البشرية لدوام مراقبته وطهارته ونقائه من البشرية وحدثها لأنّه من العالم الأعلى ولا حدث عنده إلا بالغفلة فهي حدثه فالعلم والحضور والمراقبة شأنه وهو عمل القلب وهو المشار إليه بأفضل العلم لا إله إلا الله كما مر، فانظر إلى سعته ودوامها في الأولى والأخرى والباطن والظاهر، والعامل به على الدوام والحضور أفضل العاملين كما وَردَ: عن أبي سعيد الخدريّ: أن رسول الله (ﷺ) سُئل أي العباد أفضَل دَرَجَةً عِنْدَ اللهِ يَوْمَ القِيَامَةِ؟ قَالَ: الذَّاكِرُونَ اللهَ كَثِيراً[2]، وورد: «أفضلكم الذين إذا رؤوا ذكر الله تعالى لرؤيتهم»[3] عن أنس فبعمارتهم بالذكر وملازمتهم له وإكثارهم منه صاروا ذكراً عند الناظرين لأن ما جاور الشيء أُعطي حكمه، فالقلب أوسع منشآت الحق في الخلق وأجمعها ليس كمثله في هذه النشأة شيء يسبق ولا يلحق من المنشآت على منواله

---

(١) سورة محمد: من الآية/ ١٩.

(٢) سنن الترمذي، باب الدعوات: ٥/ ٤٥٨، برقم (٣٣٧٦) عن أبي سعيد الخدري (ﷺ)، قال الترمذي: حديث غريب.

(٣) رواه الديلمي في الفردوس، باب الألف: ١/ ١٣٨، برقم (٤٨٧) عن ابن عباس (رضي الله عنهما)، وفي كنز العمال: ١/ ٣٧٥، برقم (١٧٨٥) عن أنس (ﷺ).

وهو في كل ذي قلب بحسب حاله وهو مستودع الحق عنده بمشآته المرادة به من آثاره الظاهرة والباطنة، فكل قالب له قلب من سائر ذرات العالم العلوية والسفلية، وبه تصريفه في جميع تكاليفه، وبه عقل ربه ونفسه ومثله، وبه عبادته وعبوديته وعبودية الأبدية لله لا انقطاع له سرمداً بدوام الله تعالى وعلمه في سعته عين جهله عند المتحلى به وجهله عين علمه.

وهو بنسبة جهله يستفيد العلم من الله تعالى فيه يقع علمه بالتعليم عن الله إليه فلا يكون في شيء من ذلك جهلا منه بحسب حاله وتنزله في أطواره إلا بالله لأنّه من أمره ولا يحيط بشيء من علمه إلا بما شاء، فهو لوح التسطير وقلم التقدير بالمقادير عند كل تقديم وتأخير وعنوان ذالك قوله تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾[1] اللهم آتِ نفوسنا تقواها وزكها فأنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها برحمتك يا ارحم الراحمين.

فذكر القلب في جميع العوالم أبدي لا حياة له إلا بالذكر مطلقاً كان ما كان فأما يذكر بالنور والحضور مع الأمور إلى آخر درجاته الملحقة بتفاصيله، وذلك هو المحمود والمأجور، وأما بضدها عند الغفلة والإزاغة عما ذكرو أو الذكر لما ذكروا أو ذلك هو الموزور، فهو أي القلب مرتبته حضرة السعة والجمع للمتضادات في وحدته بالذات وتعدده بحسب المنشآت وبنيته، ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾[2]، فالعمل كله على القلب إزاغة وتقويما عند الجميع دائماً، فذكره لا فترة فيه لعموم إشرافه وحياته وعرفانه سرمدي وكله إليه أي إلهي لدني ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا﴾[3] والإحاطة به، وتفصيل إجمالاته متعذرة لغير الله، ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌ ۝٢٠ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝٢١ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ﴾[4] وقد ورد عن ابن عباس أنّ اللوح المحفوظ قلبُ العبدِ المؤمن هذا من ترجمة القلب وإيماء سعته، وكذا وردَ: «مَا وَسِعَنِي

---

(١) سورة الشمس: الآيات/ ٧-١٠.

(٢) سورة آل عمران: من الآية/ ٨.

(٣) سورة البقرة: الآية/ ٢٦.

(٤) سورة البروج: الآيات/ ٢٠-٢٢.

سَمَائِي وَلَا أَرْضِي، وَلَكِنْ وَسِعَنِي قَلْبُ عَبْدِي الْمُؤْمِنِ التَقِيّ النَقِيّ الوَادِع»[1] من توطئة مملكته وبيان سره وجهره في سيرته وصيرورته، فمن رآه به فقد رآه بما أراه الله ومن رآه بالأخبار والآثار فإنما رأى ظله وخياله فما بدا له على مثاله لما ضرب الله أمثاله، فمن أقام الحق قلبه وفجر له أنهاره وعمر بسقياه ذكره المرضي أقطاره ورفعه بالذكر والحياة الأبدية من حضيض الجسم إلى حيث إطاره ليقضي أوطاره فقدر في الطور، وأقسم له به وبالكتاب المسطور في رقّه المنشور وبيتِه المعمور وسقفه المرفوع وبحره المسجور وبعذابه الواقع ماله من دافع فمارت لذلك على قواعد التقويم الحميد بالحميد سماواته وسارت جباله وإن حسبها الغافل جامدة فهي جارية تمر كمر السحاب، فكل هذه الإيماءات والتصريحات بعض شأن القلب عند الناظرين فيه حين جمعه عليه وحيث كان منتهى السير من كل سائر إليه فهو صاحب الفتيا في

---

(١) قال العراقي: لم أر لَهُ أصلاً وَفِي حَدِيث أبي عتبَة قبله عِنْد الطَّبَرَانِيّ بعد قَوْله «وآنية ربكُم قُلُوب عباده الصَّالِحين وأحبها إليه ألينها وأرقها» ينظر: المغني عن الأسفار: ١/ ٨٩٠، وقال عنه ابن رجب: "الْأَثَرُ الْإِسْرَائِيلِيُّ الْمَشْهُورُ" جامع العلوم والحكم: ٢/ ٣٤٦. وفي كشف الخفاج ج٢/ ص ١٧٥، (٢٢٥٤) "وما وسعني سمائي ولا أرضي وكلف وسعتي قلب عبد المؤمن".

ذكره في الإحياء بلفظ قال الله لم يسعني سمائي ولا أرضي، ووسعني قلب عبدي المؤمن اللين الوادع، قال العراقي في تخريجه لم أر له أصلاً، ووافقه في الدرر تبعاً للزركشي ثم قال العراقي وفي حديث أبي عتبة عند الطيراني بعد قوله: وآنية ربكم قلوب عباده الصالحين، وأحبها إليه ألينها وأرقها انتهى وقال ابن تميمة هو مذكور في الإسرائيليات، وليس له إسناد معروف عن النبي (ﷺ) وقال في المقاصد تبعاً لشيخه في اللالئ ليس له إسناد معروف عن النبي (ﷺ) ومعناه وسع قلبه الإيمان بي ومحبتي ومعرفتي. وإلا فمن قال: إن الله يحل في قلوب الناس فهو أكفر من النصارى الذين خصوا ذلك بالمسيح وحده، وكأنه أشار في الإسرائيليات إلى ما أخرجه أحمد في الزهد عن وهب بن منبه قال : إن الله فتح السماوات لحزقيل حتى نظر إلى العرش فقال حزقيل سبحانك ما أعظمك يا رب، فقال الله إن السماوات والأرض ضعفن عن أن يسعني ووسعني قلب عبدي المؤمن الوادع اللين، ونقل عن خط الزركشي أن بعض العلماء قال: إنه حديث باطل وأنه من وضع الملاحدة وأكثر ما يرويه المتكلم على رؤوس العوام علي بن وفا لمقاصد يقصدها ويقول عند الوجد والرقص طوفوا ببيت ربكم، قال وقد روى الطبراني عن أبي عتبة الخولاني رفعه إن لله آنية من أهل الأرض وآنية ربكم قلوب عباده الصالحين وأحبها إليه ألينها وأرقها، وفي سنده بقية بن الوليد يدلس لكنه صرح بالتحديث.

الدنيا والقصيا وهو المطاع بإذن الله عند الطائعين والعاصين والجاهلين والعالمين والذاكرين والناسين من الخلائق أجمعين مما كان ويكون من الكائنين، فعلم بهذا البيان صفة جهله في الجاهلين ونفوذه في الغافلين لأنه لهم الإمام المبين على وفق علم الله بهم أجمعين في الجانبين وأقسم لك على ذلك بـ(طه) و(يس) ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ﴾[1] ﴿قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾[2] ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾[3]، وتأيد بالله واستعن به على طاعته متيمناً باسمه ومستفتحاً خزائن كرمه وجوده بذكره في محمود أمره فإنه من فتحه ونصره ومنشور ولايته على رؤوس المقبلين به والمقبولين فيه وبالله الهدى.

فصل

وأعلم أن المريد السالك إذا اقبل على طريق الله وأراد صلاح حاله بتوفيق الله فابتداؤه كما قال كبراء الطريق (ﷺ) بأحد الطريقين؛ إما بالتعلق الصوري، وإما بالتعلق المعنوي.

فالصورِي هو أن يأخذ المريد السالك البيعة أو التلقين من المرشد أو كلاهما ويأتمر لما أوصاه به بلا إخلال مقيماً كان أو مسافرا فإن اتّباعه للأمر يحرسه وأنه بعد في الحس لاتصاله في المعنى وقربه به فإن عرض له ما يخل بما أوصاه به جعل ما أوصاه به وسيلة لقطع العارض به لا لقطعه بالعارض مهما أمكن حتى يكون ذلك له سبباً ونسباً ملحقاً إن بقي على صورته المعتادة الأولى فله نصيب بذلك من الإرَادة ولحوق بأهل الطريق وميراث بقدر ما أدلى به.

والتعلق المعنوي هو أن يأخذ البيعةَ والتلقينَ أو أحدَهما مع الصُحبة والخدمة لطلب معنى ذلك وثمرته، والدخول به إلى مستوى صلب الوراثة الحقيقة فإن صدق انفرده وكان كولد الصلب إذا انفرد انفرد بالميراث وإن شاركه مثله في ذلك كانا فيه جميعاً كالوراثة الحسية وإجرائها، مثلاً للتفهيم مع اعتبار الصغر والكبر بينهما إن ورِث، فالكبير متصرف والصغير منتظر أو كانوا جمعاً فلابدّ فيهم من الممتاز للكبر الحسي أو المعنوي وربما صار أمر أحدهما

---

(١) سورة الواقعة: الآية/ ٩٥.

(٢) سورة الشعراء: الآية/ ٢٤.

(٣) سورة الواقعة: الآية/ ٧٤. الآية/ ٩٦، الحاقة الآية ٥٢.

إلى الآخر إنْ تقدم أحد الوارثين أو الورثة فمن أي الطريقين دخل السالك محباً مطيعاً للأمر بقدر وسعه وكليته مستوفياً أو مبعضاً كان طريقاً له إلى حصول الإرَادة والتعلق وصحة الانتساب ما لم يفارق ذلك أو يرتدّ عنه ونعوذ بالله من الإزاغة بعد الهدى، فالدوام على العزيمة دأب أهل الورع والسيادة والتقى فإذا انقلب من هذه الحالة الكريمة إلى الرغبة عنها بالرخص من غير موجب شرعي يوجب ذلك كان ارتداداً عند أهل البصيرة من حالة شريفة ناهية مجيدة مرغوب فيها إلى مرغوب عنه لا فيه على هذه الصورة المذكورة، فعليه عند ذلك بالإقلاع وعليه بمعونة الله بتصحيح نية الإرَادة؛ لأنّ الأعمال بالنيات الظاهرة الصورية والباطنة المعنوية بأيهما كان لأنّ المعنوية ترفع الصورية وهي أي الصورية طريق المعنوية والمعنوية منتهى الصورية فعلاقتها كعلاقة الروح والجسد يقع التكليف بينهما.

وفي ذلك يقول شيخ الكُمّل وأستاذ الأكملين سيدنا وشيخ شيوخنا السيد محمد غوث (قدّس الله سرّه العزيز) في كتاب الدرجات له: اعلم أنّ أول الشروط في حق المريد السالك وأول سبيل حياته حياة المرشد وفي ذلك يكون بلوغ المريد، وإذا اختار المريد السلوك والإتباع، ثم أراد الرجوع لا يمكنه عند ذلك الرجوع عنه على قاعدة الطريق وأهلها فإنه بعد الاجتماع والأخذ بالمرشد الصالح لذلك لو أخذ البيعة والتلقين من مائة شخص فلا يكون مريداً لأحدهم لأن ردّه ورجوعه عن الأول يوجب ردّه ورجوعه عند الجميع متى ظهر أمره؛ لأنّ البيعة من الأول ثابتة محققة للذي أرشده أولاً ويكون ردّه وقبوله على يد ذلك المرشد فإنّ الحكم في الطريق لذلك العقد الأول لأنه حقيقي عند الكل، وهم وإنْ تعددت طرقهم ووُحِدّ مستندهم وما بعده مجازي، فإن فعل ذلك للهوي فهو رِدّة في الطريق بحسبها كرد بيعة الخلافة بعد أخْذِها وإن كان لسبب كموت أو فقد أو عارض[1] فبحسب الحال قوله (ﷺ) وإن

---

(١) والعارض أن يسمع بالمرشد في محل فيرحل من بلده مسافراً له ويقصده ويبدو له عمله في أثناء سيره بعد كونه طالباً لذلك إجمالاً فيدرك أحداً قبل وصوله إلى الشيخ ممن ينسب إليه بالتلقين منه فيأخذ التلقين عنه مخافة أن يعرض له عارض بموت أو مرض أو عاذر قبل وصوله إلى المرشد حرصاً منه على الانتساب للطريق وأهلها، فله بعد وصوله إلى مطلوبه الذي هو مرشده أن يأخذ عنه وإنْ أخذ عن المنسوب منه لأنّ هذا في الحكم نازل منزلة التيمم عند المحدث قبل وصوله إلى الماء، وإن كان الماء مرئياً له فيفعل ذلك لمحبة قطع المسافة إلى الماء على طهارة مخافة إدراك موت أو عارض دونه وقد=

كان رجوعه لسبب فبحسب الحال يعني فيؤذن له في الرجوع للسبب الموجب إن كان كموت المرشد أو فقده من المحل إلى غيره أو عارض بالقدر وإعراض القدر لا تحصى ونسأل الله لطفه وعفوه.

ومن ذلك الحال أيضاً أنه إذا كان الطالب محقاً ثم توجه في طلب المرشد لقطع المسافة إلى لقائه فوجد بعض الآخذين عنه التلقين فتلقن منه ليتصل سنده إليه مخافة أن يعرض له عارض قبل وصوله إلى المرشد الصالح لذلك فله ذلك ثم إذا وجد المرشد وسلم الله من العوارض دونه واجتمع به فله الأخذ عنه وهذا الأخذ عنه هو الأخذ الحقيقي المنتج بإذن الله تعالى والأول وسيلة إليه فحكمه حكم المتيمم بعد الحدث وقبل الوصول إلى الماء كما كان يفعله النبي (ﷺ) إذا ذهب إلى الحدث تيمم قبل وصوله إلى الأدوات والعنزة[1] تعليماً لقطع المسافة على الطهارة، وللحذر من وقوع الفوت بالقدر فيكون على طهر والتيمم هذا نافع في قطع المسافة وفي الموت على الطهارة غير مبيح للصلاة ولا رافع للحدث لوجود الماء فكذلك وجود المرشد وما تقدمه ممن لا يصلح سواء كان آخذاً عنه أو عن غيره؛ لأنّ حكمه حكم التيمم المذكور فهو مشروع ومباح بقدر حالته، والمرشد كالماءِ الرافع للحدث المبيح للأوامر الشرعية المزيلة أعيان النجاسات بقدره لإزالته من الطالب النجاسات المعنوية بعد الحسية فهو ماؤه فتذكر بهذا أمثاله ومنواله.

وقوله (ﷺ) قبل ذلك وإذا اختار المريد السلوك، ثم أراد الرجوع لا يمكنه ذلك على قاعدة الطريق، مستنده في ذلك من السنة ما وقع لبعض الأعراب: «أنّه جاءَ إلى المدينةِ وبايعَ

=كان (ﷺ) تيمم بعد قضاء الحاجة قبل وصوله إلى الماء مراعاةً لذلك وتعليماً وإرشاداً عاماً في كل ما يليق به ويكون مقاساً عليه، فإنّ النازل منزلة التيمم حكمه حكم التراب يبيح الصلاة حيث يجب استعماله، وقد وردَ في الأخبار عبادة معبودين في الشرع كفر وفي الطريقة الكريمة روية موجودين كفرو البيعة الحقيقية وسيلة إلى حصول هذا المعني بطريق اليقين ابتداءً والمعاينة انتهاءً أو في الطريق ليس وراء ذلك الواحد الحقيقي شيء حتى يرده إليه ويقبل على غيره.

(١) العنزة: عصا مقدار نصف رمح تعلق فيها أدوات الذهاب إلى الخلاء كمكان الإبريق كما قال ابن الأثير والهندي، انظر النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير مادة (ع ن ز) وانظر مجمع بحار الأنوار للشيخ الهندي.

النبيَّ (ﷺ) وأقامَ بالمدينةِ فأخذه الوَعك واشتد به فجاء إلى النبي (ﷺ) وقال يا محمد اقلني بيعتي فلم يقله (ﷺ) فذهب ثم عاد وطلب الإقالة فلم يقله فذهب ثم عاد فطلب الإقالة فلم يقله فخرج الأعرابي فقال (ﷺ): المدينةُ كَالْكِيرِ تَنْفِي خَبَثَهَا كَمَا يَنْفِى الْكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ»[1] أو كما قال، وقد تكلم العلماء في ذلك هل هو مرتدٌ أم لا؟ وظاهره- والله اعلم- أنّه باقٍ على الإسلام فاسقٌ بالمخالفة، إذ لو أقالَه لكان مرتداً، ولو كان بالخروج مرتداً لقضى فيه، والله اعلم[2].

فعلى هذا قياسُ المبايعِ أو المتلقن إذا طلب الإقالة للهوى فالمالك للإقالة المرشد فإبقاؤه له على المخالفة وسكوته عنه حتى يصلحه الله إبقاءً له على طرف الأمر مع المخالفة فيكون فاسقاً لا مرتداً فلا يكون مريداً لغيره وإن كان فاسقا عن الأمر، وقد ورد «الشَّيخُ في أَهْلِهِ كَالنَّبيَّ في أُمتِهِ»[3] أو كما قال، والله اعلم.

---

(١) صحيح البخاري، بَابٌ الْمَدِينَةُ تَنْفِي الْخَبَثَ: ٣/ ٢٢، برقم (١٨٨٣)، وصحيح مسلم، باب المدينة تنفي شرارها: ٤/ ١٢٠، برقم (٣٤٢١) عن جابر (رضي الله عنه).

(٢) قال العلماء قوله: اقلني بيعتي ظاهره أنّه سأل رسول الله (ﷺ) قال البيعة من الإسلام وبه جزم القاضي عياض وقال غيره إنما استقال من الهجرة وإلا لكان قتله على الردة ففيه تنبيه لما ذكره الشيخ فلا يرد المبائع بل يبقى على مبايعته وإن خالف لعل يصطلح فإن فعل بنفسه جرى الحكم بحسبه فإن النبي (ﷺ) هو الداعي الحقيقي بالوحدانية للواحد الحقيقي فلا يقبل مستقيلاً فإن رجع بنفسه جرت عليه الأحكام وإن بقي على حاله كان فاسقاً والفسق أخف من الكفر فيبقى عليه ولا يقال لأنّه اخف لضرره. ينظر: التوضيح، لابن الملقن: ٣٣/ ١٠٩.

(٣) أخرجه الديلمي في الفردوس: ٢/ ١٣، برقم (٣٤٨٣) من حديث ابن عباس. ينظر: كشف الخفاء، للعجلوني: ٢/ ١٥ برقم ١٥٧٤، قال في المقاصد رواه ابن حبان في الضعفاء، وكذا الديلمي عن أبي رافع مرفوعاً، لكن بلفظ الشيخ في أهله رواه ابن حبان أيضاً في ترجمة عبد الله بن عمر الإفريقي عن ابن عمر ثم قال وهو موضوع وقال الحافظ ابن حجر كابن تيمية انه ليس من كلام النبي (ﷺ) وإنما بعض أهل العلم، وربما أورده بعضهم بلفظ الشيخ في جماعته كالنبي في قومه، يتعلمون من علمه ويتأدبون من أدبه وكل ذلك باطل وروى الديلمي عن أنس مرفوعاً بِجّلوا المشايخ فان تبجيل المشايخ من إجلال الله عز وجل، فمن لم يبجلهم فليس منا لكن أخرجه ابن حبان في الضعفاء عن أبي رافع مرفوعاً وأسنده الديلمي عنه ورواه في الجامع الصغير بلفظ الشيخ في أهله كالنبي في أمته، ورواه أيضاً بلفظ الشيخ في بيته كالنبي في قومه ويقويه العلماء ورثة الأنبياء وإن كان ضعيفاً ويؤيده قوله تعالى ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأنبياء : ٧] وقال في المقاصد وأصح من هذا كله: ما أكرم شاب شيخاً لسنّه إلا قيض الله له في سنة من يكرمه، والمغني عن الأسفار: ١/ ٩٨.

فهذا مما يرشدُ إلى ذلك ويدلّ له فكلّ أمور أهل الطريق على السنة وقياسها بإذن الله تعالى وإن لم يعلم دليلهم الواقف على قيلهم، وبالله التوفيق فيكون إذا عرض العارض بحسب الحال كما قال وما يؤمر به، وما يرشد إليه.

وقد ورد أن عبادة معبودين في الشرع كفر، وفي الطريق الكريمة رؤية موجودين كفر لأنّه مأثم موجود بذاته لذاته إلا الله الأول الآخر الباطن الظاهر وهو بكل شيء عليم من الكائنات وغيرها، ووجود الكائنات به لا بها وله لا لها فلا موجودين على الدوام لذاتهما بل الوجود الحق هو الله والمنشآت أفعال الله تعالى كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ۝٦ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ۝٧ وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا﴾[1] الآيات فرؤية وجودَيْن لموجودَيْن بذاتهما لا وجود له ولا يظهر هذا إلا في الطريق ظهوراً واضحاً.

والبيعة الحقيقية وسيلةٌ إلى حصول هذا المعنى بطريق اليقين ابتداءً والمعاينة غايتها، وفي الطريق ليس وراء ذلك الواحد الحقيقي شيء حتى يردّه إليه ويقبل على غيره والواحد مشهود في كلّ واحد، وموجود بلا واجد.

وينبغي للمريد الصوري والمعنوي أن ينوي بعد التوبة والتنصل تسليمَ نفسه إلى الشيخ الكامل المتخلق بكمال «تخلقوا بأخلاق الله»[2] بحسب الوقت وأهله وأن يدخل في طاعته باستعداد الإرَادة والانطراح تحت أمره إن كان يريد التجريد وتيسرت له أسبابه وإن كان في السبب فكذلك إلا أنّه يكون في سببه مع تسليمه لما يأمره به وينهاه عنه ويخبر الشيخ بقصده وانقطاعه ويلتزم على نفسه حرمة الشيخ وجوباً وطاعة أمره فما نهاه تركه مطلقاً، وما أمره لا يفعل غيره وإن بدا له في الأمر شيءٌ يوجب تأخره أبانه للشيخ كل الإبانة وعرض أمره عليه، فما

---

(١) سورة النبأ: الآيات/ ٦ -٨.

(٢) لم أجد له أصلاً، وإنما الذي وقفت عليه في نوادر الأصول للحكم الترمذي الذي رواه مرسلاً في النص الآتي: حدثني علي بن شعيب، نا ابن أبي فديك، عن بعض أشياخه رفعه قال: إن محاسن الأخلاق مخزونة عند الله عز وجل، إذا أحب عبداً منحه خلقاً حسناً أو خلقاً صالحاً، قال عبد السلام إن الأخلاق مخزونة عند الله، فإذا أراد الله بعبد خيراً منحه منها خلقاً، نوادر الأصول في معرفة أحاديث الرسول للترمذي ص٢٩٩.

أقرّه عليه قر وما نفره عنه نفر، وسبيل الشيخ أن يقبله على ذلك بفضله ولا يرى له حقاً عليه وإجباراً يرى حقّ الشيخ عليه واجباً لأنّه إذا كان كذلك، نفعته هذه المقاصد وأثمرت له هذه النيات أعمالا صالحة خالصة لله تعالى يرجى تعجيل نفعها، إما تأجل بإذن الله عليه فإذا قبل الشيخ منه ذلك، وارتضاه له يبايعه.

وصورة البيعة أن يضعَ المريدُ يديه جميعاً بين يدي الشيخ إن كان ذكراً، وإن كانت أنثى فلها حكم مستقل بالخطاب والنصيحة والأمر شفاهاً أو بواسطة ثوب أو ماء يضع يده فيه وتشاركه إنْ لاق بها دون مسكِ يد أو مطلقاً أو بلا حائل على التفصيل الآتي إن شاء الله تعالى ويحيط الشيخ بيديه تفاؤلاً بقبوله واستيعاب القبول كلتي يديه الظاهرة والباطنة وحضرتيه الدنيا والآخرة أو يضع الشيخ يديه بين يدي المريد إشعاراً بأني محافظ لكل ما تأمرني به لا أترك منه شيئاً باختيار وأني وقاية لك بنفسي لا أسلمك لمكروه حتى يبدأ بي أو أزول وهذا ما اختاره سيدنا محمد الغوث (طاب الله ثراه) وما عليه أهل بلاده وولايته.

وصيغةٌ أخرى أن يضعَ المريدُ يديه مجموعتين واليُمنى أعلاها، ويضع الشيخُ يده عليهما من أعلاها إشعار بالخلافة وإيماءً إليها في بيان النيابة عمن سبقه إلى منتهى الأمر، ثم يأمره بالتوبة فيقول تبْ إلى الله توبةً نصوحاً بحسب توجهه ونيته خالصاً لله تعالى من غير تردّد حالاً، ولا حكم له على غيب الله، وإنما يسأل عن صحّة عقده وتوجهه حالاً ولا يخله ما يرد بعد مما لا إرَادة له فيه ولا اختيار له، وتجب عليه التوبة منه، وهو تجديد هذه التوبة بعينها، ولذا يسمى تجديداً بقولهم فيجدّد التوبة لما أصابها من الوهن فيستغفر الله ويتوب إليه فيقبل الشيخ عهده ويلقنه الكلمة الطيبة ثلاثاً ويسمعها منه ثلاثاً ثم يلبّسه قلنسوة أو شيئاً من اللباس إن تيسر تفاؤلاً بتبديل حاله الأول إلى حاله الثانية كما في تحويل الرداء في السقيا، ثم يؤمر بمصافحة الإخوان من حضر المجلس تفاؤلاً بالدخول فيهم والقبول منهم إذ هم من الشيخ كالجوارح من الجسد ومنازله الحسية والمعنوية ثم يأمره الشيخ باجتناب المحرمات والمكروهات وملازمة الصوم ونوافل الخيرات والصلوات وينبهه بأن لا يخرج عن العهد والأمر وأنّه إن فعل ذلك خرج من الإرَادة.

وإذا أراد الإجمال لضيق وقت أو سبب دعا إلى ذلك اكتفى في وصيته له بتحليل الحلال وتحريم الحرام، وهذا ما ذكره سيدنا (محمد الغوث) (طاب ثراه) وقرت بالله عيناه وأولياه.

وللبيعة صورة أخرى وكيفيّة ثانية وهي ما تعمل في أوسط جزيرة العرب أو طولها كلها وكذا عرضها إلا ما قلّ منه، وهي أن يجعل طالب البيعة يده مبسوطة تحت يد الشيخ أن كان وحده وان شاركه أحد جعل يده تحت يد طالب البيعة أولا وإن تعددوا ويد الشيخ مبسوطة فوق يده مع الجميع.

ثم يقول أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾[1] يتلو الآية تيمّناً وتفاؤلاً بتحقيق المتابعة في الطريقة كالشريعة إلى أن يبدي إعلام الحقيقة، ويقول عقب الآية للمبايَع أو المبايعين إن كانوا جماعة: قُل أو قولوا بصيغة الجمع للجماعة أو الإفراد للفرد: رضيتُ بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبسيدنا محمد (ﷺ) نبياً، وبالقرآن إماماً، وبالكعبة قبلة، وبالفقراء إخوانا وبسيدي الشيخ شيخاً ومربياً ودليلاً، وهم أو هو يتابعه في اللفظ كما يقول كلمة كلمة إلى منتهى ذلك وبالفقراء التابعين إخواناً لي ما لهم، وعلي ما عليهم الطاعة تجمعنا والمعصية تفرقنا فيقول كذلك إقراراً بالطاعة في كل ذلك ووفاء بالبيعة عليه بقدر الاستطاعة؛ لأنّ العقد بالمبايعة له كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ ﴾[2] يعني على ذلك ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ ﴾ مما فرط ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ ﴾ جامع سبل الحق كلها والخلفاء له فيها كذلك، وهو المراد بقولهم: الطاعة تجمعنا والمعصية تفرقنا، ثم يقول الشيخ قولوا وكل منا يقول: استغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه ثلاثاً جهراً، ثم يقول الشيخ وهم بقوله بعد الثلاث يقولون: لا إله إلا الله لا إله إلا الله لا إله إلا الله ثلاث مرات مادّا بها صوته يقصد التلقين للذكر مع البيعة وإعلاناً بالتوحيد وإشهاداً عليه، فإذا كملت الثلاثة منه قالوها ثلاثاً تبعاً له كما قال، ثم زادوا منها بطريق الحدر والاسترسال فيها نفساً جيداً مع تغميض العين وإحضار القلب لجلال الوحدانية ومراعاة المنّة بهذه التفضلات

(١) سورة الفتح، الآية/ ١٠.

(٢) سورة الممتحنة، من الآية/ ١٢.

الربانية الموصلة لصحة النسب بأولياء الله على سنن التخصيص والكرامة؛ لأن هذا الفقير الصحيح النسب إليهم إذا أخذ عنه من لم يجد مرشداً صحّ به نسبه للطريق وأهلها فإن لازمَ الطاعة وتجنّب المعصية نَجا بإذن الله تعالى فله أثرٌ كريم.

ثم بعد ذلك يختم الشيخ كما يرى ويقول: اللهم خذ منه وتقبّل منه وافتح عليه باب كلّ خير كما فتحته على أنبيائك وأوليائك وعبادك الصالحين وإن كانوا جماعة جمع في الدعاء، ثم يقوم الفقير ويسلم على من حضر من إخوانه، ثم يأمره الشيخ بعد ذلك بما يرى فيه صلاح دينه ودنياه بقدر حاله متجرداً كان أو متسبباً أو بينهما من الخدمة والنصيحة والمعاملة بما يليق، وعليه قبول الأمر من غير تفتيش عليه ولا تحكم ولا تفهم، بل طاعة محضة للأمر وإن شق عليه أمر عرضه على الشيخ فينظر فيه بما يبقيه على ما أمره أولا ويوسع له بحسب نظره ويجعل له ورداً من التهليل على قدر حالِه صبحاً ومساءً لا يخل بما أوصاه به ويقطع له ما يقطعه عنه، ولا يقطعه كيف أوصاه به بمدة أو دائماً.

وعلى الجملة أنّه لا يحدّث إلا ما أمره به، ولا يقصر فيه وإنْ جرى له عذر أنبأ به ليكون على بينة من أمره إن كان حاضراً عنده أو قريبا منه وإلا راسله في ذلك وما حدّه له وقف عنده ليعود نفع ذلك عليه لأن من تعدى الحدّ ظلم نفسه، ومن وقف عنده رحمها ودنى واقترب، فلا يزال حتى تزلل له الحجب عنه بقدر حاله وتحبه كما أحبه.

وللشيخ الكامل كما ذكره سيدنا محمد الغوث ثلاث مراتب من الشرف فهي علامته الظاهرة عليه:

* **أحدها:** القيام بظاهر الشريعة المحمدية من الأحكام وامتثال الأوامر والنواهي فيتحلى ظاهره بمظاهرها.

* **والثاني:** رسم الولاية الخاصة والقيام بأحوالها وطرائقها حتى يتمكن من التحلي بسلطان الوحدانية ويظهر له ثمرة كان الله ولا شيء معه، وكل شيء هالك إلا وجهه مع الحفظ بسلطان هو الأول والآخر، وله بهذا السبق على غيره الذين لم يصلوا إليه.

* **والثالث:** رسم الولاية المطلقة بشهود أن جميع التقيّدات نشأت عن حضرة الإطلاق وكان منها ظهورها، انتهى.

فمثاله تقريباً كتعيين المنشآت المائية المقيّدة مثلاً على مطلق الماء، وكتعيين النواة أولها عين آخرها، وآخرها عين أولها، وظاهرها هو باطنها، وباطنها هو ظاهرها، إذ لا يحصل من النواة إلا الرطبة، ولا من الرطبة إلا النواة، وهلم جراً دائماً وسرمداً للأحدية ومنشآت العوارض واللواحق بينهما من لواحقهما وتوابعها وقشور ذاتهما وزينة ظهورهما زينة الكواكب وحفظاً وكذا كل ذرة.

قال فمن اجتمعت فيه هذه الثلاثة المذكورة أولاً واتصف بها فهو الواصل إلى مرتبة الكمال، ويكون وارث المصطفى (ﷺ)، والجامع بين الشريعة والحقيقة وهي الولاية، ويكون قدمُه على قدمِ النبي (ﷺ) فهو بالأتباع مستمد منه أبداً، انتهى.

فصل في تفسير تقوى الله

قال الله تعالى (جل ثناؤه وتقدست أسماؤه): ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾[1]، قال الإمام الجامع بين العقول والمنقول الصالح المتعبد الزاهد القاضي ناصر الدين أبو الخير عبد الله بن عمر البيضاوي[2] (رحمه الله تعالى) في أوائل سورة البقرة: والمتقي اسم فاعل من قولهم وقاه فاتقي، والوقاية فرط الصيانة وهو في عرف الشرع اسم لمن يقي نفسه عما يضره في الآخرة وله ثلاث مراتب:

* **الأولى**: التوقي عن العذاب المخلد بالتبري عن الشرك وعليه قوله تعالى: ﴿وَأَلۡزَمَهُمۡ كَلِمَةَ ٱلتَّقۡوَىٰ ﴾[3].

* **والثانية**: التجنب عن كل ما يؤثم من فعل أو ترك حتى الصغائر عند قوم وهو المتعارف باسم التقوى في الشرع والمعني بقوله تعالى: ﴿وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ ﴾[4].

* **والثالثة**: أن يتنزه عما يشغل سره عن الحق ويتبتل إليه بشراشره[5]، وهو التقوى الحقيقي المطلوب بقوله تعالى: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ ﴾[6] وقد فسر قوله تعالى: ﴿ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ﴾[7] على الأوجه الثلاثة، انتهى.

---

(١) سورة المائدة، الآية/ ٣٥.

(٢) هو: عبد الله بن عمر بن محمد بن علي الشيرازي، أبو سعيد، أو أبو الخير، ناصر الدين قاض، مفسر، صنف (أنوار التنزيل وأسرار التأويل) في التفسير، و(منهاج الوصول إلى علم الأصول) (ت: ٦٨٥هـ). ينظر: طبقات الشافعية، للسبكي: ٨/ ١٥٧، وطبقات الشافعية، لابن قاضي شهبة: ٢/ ١٧٢.

(٣) سورة الفتح، من الآية/ ٢٦.

(٤) سورة الأعراف، من الآية/ ٩٦.

(٥) بشراشره: في معجم متن اللغة حرف الشين، الشراشر: جميع الجسد، الأثقال، المحبة، النفس، الواحدة شُرشُرة وشَرشَرة، ويقال: ألقى عليه شَراشِره ويراد به الحرص والمحبة.

(٦) سورة آل عمران، من الآية/ ١٠٢.

(٧) سورة البقرة، من الآية/ ٢.

وحيث أن الخطاب في الآية السابقة للذين آمنوا، فالمراد ما بعد المرتبة الأولى والظاهر أنّها الثانية بناء على أن الثالثة ما يترتب على قوله: ﴿وَجَٰهَدُواْ﴾[1] بعد قوله ﴿وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾[2]، وذلك أن المرتبة الثالثة لا تتيسر لطالبها إلا بالجهاد في سبيل الله مع الأعداء الباطنة والظاهرة على ميزان خاص ولا يهتدى إليها على وجه الكمال والاستيفاء إلا العلماء الذين هم ورثة الأنبياء علماً وحالاً، قال الله تعالى: ﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ﴾[3] فمن اتبعه اتباعاً خاصاً حصل على نهاية صحيحة بإذن الله فكان داعياً إلى الله على بصيرة، وراثة لأن طريقها لمّا كان أجَلّ الطرق وأسناها لكون غايته هو الحق سبحانه وتعالى الذي هو أشرف الموجودات وأعز المعلومات فلا إله إلا هو فلا يدلّ سالكيها إلا من كان على بصيرة ناشئة من إتباع خاص كامل قد أنزله منزلة ورثة الأنبياء علماً وحالاً فإنّ مقام الدعوة إلى الله الذي هو مقام الشيخوخة هو مقام الوراثة للرسل الذين هم خواصّ الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

والحاصل فيه من الورثة يقال له الشيخ والوارث والأستاذ، فلا بدّ أن يكون عارفاً بوجوه الجهاد مع الأعداء الظاهرة والباطنة، ومن هنا قال الإمام محي الدين[4] (قدس سره) في صفة الأستاذ أن يكون عارفاً بالخواطر النفسانية والشيطانية والملكية والربانية، عارفاً بالأصل الذي تنبعث منه هذه الخواطر عارفاً بحركاتها الظاهرة، عارفاً بما فيها من العلل والأمراض الصارفة عن صحة الوصول إلى عين الحقيقة عارفاً بالأدوية وأعيانها عارفاً بالأزمنة التي يحمل فيها المريد على استعمالها، عارفا بالأمزجة، عارفاً بالعلائق والعوائق الخارجية مثل الوالدين والأولاد والأهل والسلطان عارفاً بسياساتهم وبجذَبَة المريد صاحب العلة من بين أيديهم.

---

(١) سورة البقرة، من الآية/ ٢١٨.

(٢) سورة المائدة، من الآية/ ٣٥.

(٣) سورة يوسف، الآية/ ١٠١.

(٤) هو: محي الدين محمد بن علي بن عربي الطائي، الملقب بالشيخ الأكبر، له (الفتوحات المكية) و(الأحاديث القدسية)، (ت: ٦٣٨هـ). ينظر: ميزان الاعتدال: ٣/ ١٠٨، والوافي بالوفيات: ٤/ ١٢٤، وشذرات الذهب: ٥/ ١٩٠.

ثم قال: فلا بد أن يكون عند الشيخ دين الأنبياء وتدبير الأطباء وسياسة الملوك وحينئذ يقال له أستاذ انتهى.

وإذا علمت هذا ظهر لك أنّ الشيخ يصحّ أن يطلق عليه الوسيلة وراثة كما أن النبي(ﷺ) يصح أن يكون وسيلة بالأصالة بالوضع الإلهي وذلك أن الوسيلة كما قال البيضاوي من وصل إلى كذا إذا تقرب إليه، ولا شك أن الشيخَ لكونه واسطة ودليلاً للمريد في سلوك طريق جهاده لكونه يأمره بالمعروف وينهاه عن المنكر في سلوكه على تفاوت درجاتها زماناً أو مكاناً وشخصاً نيابة وخلافة عن رسول الله (ﷺ) هو مما يتقرب به المريد إلى الله تعالى كالنبي (ﷺ) إذ من المعلوم أن سلوك المريد على هذا الوجه الخاص مقرّب له إلى الله تعالى بإذنه قرباً خاصاً والواسطة فيه بعد النبي (ﷺ) هو الشيخ بإذن الله فصح أن يكون وسيلة كالنبي (ﷺ) وإذا ظهر لك صحة هذا الإطلاق تبيّن أن معنى الوسيلة لا ينحصر فيما قيد به البيضاوي (رحمه الله تعالى) حيث قال: أي ما يتوسلون إلى ثوابه والزلفى منه من فعل الطاعات وترك المعاصي إلى آخره.

فبيّن ما بقوله من فعل الطاعات وترك المعاصي إلى آخره على أن ترك المعاصي قد فهم من قوله ﴿اتَّقُوا اللَّهَ﴾[1] لما مرّ أن المرادَ به ما بعد المرتبة الأولى بدليل كونِ الخطاب مع المؤمنين، وإذا لم يجب انحصاره فيما ذكره وصحّ كون الشيخ كالنبي (ﷺ) وسيلة، وظهر أن الابتغاء المطلوب بعد الإيمان والمرتبة الثانية للتقوى، كما كان بالنسبة إلى الصحابة ابتغاءً للنبي (ﷺ) ابتغاءً خاصاً يتبعه جهاد خاص ينتج فلاحاً خاصاً كما يشير إليه البيضاوي (رحمه الله تعالى) في الآية حيث يقول ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[2] بمحاربة أعدائه الظاهرة والباطنة بالوصول إلى الله والفوز بكرامته انتهى.

كذلك يكون بالنسبة إلى غير الصحابة في عهد النبي (ﷺ) ابتغاء ورثته الكمل ابتغاءً خاصاً يتبعه جهاد خاص ينتج فلاحاً خاصاً بإذن الله تعالى، وذلك في الطائفتين بحصول المرتبة الثالثة للتقوى وما يتضمنه على حسب تفاوت درجات سلوكِهم وجهادِهم المنبعثة من تفاوت درجات استعداداتهم السابقة في علم الله الأزلي.

---

(١) سورة البقرة، من الآية/ ٢٦٨.

(٢) سورة المائدة، من الآية/ ٣٥.

ثم إنّ هذا الابتغاء الخاص للوسيلة إليه تعالى يتضمن مبايعة خاصة غير المبايعة الأولى التي هي المبايعة على الإسلام، فإنّ البيعة تختلف باختلاف المقامات، فإن رسول الله (ﷺ) لما جاءه الإعرابي ليسلم بايعه على الإسلام، ولما كان يوم الحديبية مظنةً لوقوع القتال بناءً على ما بلغهم من قتل عثمان (ﷺ) لما ذهب بكتاب الصلح إلى عسكر المشركين، وكان بعض المشركين طعن فيهم بالفرار عند اللقاء بايعوا على الصبر وعلى عدم الفرار ولو وقع الموت[1].

ولما كانت بيعة العقبة في غرة الإسلام ويتبعها الهجرة إليهم وانتصابهم لحرب الأسود والحمر على طول المدى وكان مظنة للتزلزل بايعوا على السمع والطاعة في المنشط والمكره مع النص على أمور مهمة وعلى هذا فليتّبع، والله اعلم.

وحيث إن المريدَ يقول للشيخ رضيت بك شيخاً ومربياً ودليلاً فقد بايعه على المنشط والمكره فإنّ التربية لا تتم إلا بهذا، فإن حظ المريد وكل موقن من قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً﴾[2] أن ينظرَ فيها إلى نفسه الأمّارة بالسوء التي تحمله على المحظور والمكروه وتعدل به عن الواجب والمندوب فإنها أقرب الكفار بالنعمة والأعداء إليه وأشدّ الأعداء شكيمة وأقواهم عزيمة فجهادها هو الجهاد الأكبر كما يرشد إليه قوله (ﷺ): «قَدِمْتُمْ خَيْرَ مَقْدَمٍ، وَقَدِمْتُمْ مِنَ الْجِهَادِ الأَصْغَرِ إلى الْجِهَادِ الأَكْبَرِ، مُجَاهَدَةُ الْعَبْدِ هَوَاهُ»[3] أخرجه الخطيب عن جابر بن عبد الله كما في الجامع الصغير وغيره وطريق جهادها على الاستيفاء مجهولة عند المريد فلا بد من التسليم والانقياد وترك الاعتراض، إذا ألقى في بحر الابتلاء حتى يفتح الله بمنه وكرمه.

ومن الأسرار التي يتضمنها البيعة على السمع والطاعة في المنشط والمكره أن هذه البيعة تتضمن اتحاد متعلق الإرَادة للشيخ والمريد باندراج إرَادة المريد في إرَادة الشيخ ولهذا قالوا:

---

(١) ينظر: السيرة النبوية، لابن كثير: ٣/ ٣٢٨.

(٢) سورة التوبة، من الآية/ ١٢٣.

(٣) أخرجه البيهقي في الزهد: ٢/ ١٦٥، برقم (٣٧٣) بلفظ «قدم على رسول الله (ﷺ) قوم غزاة فقال (ﷺ): قدمتم خير مقدم مِنَ الْجِهَادِ الْأَصْغَرِ إلى الْجِهَادِ الْأَكْبَرِ، فقيل: وما الْجِهَادِ الْأَكْبَرِ؟ قال: مُجَاهَدةُ العبدِ هَوَاه»، عن جابر بن عبد الله (ﷺ) أخرجه الخطيب البغدادي في تاريخه (٣/ ٥٢٣/ ٥٢٤).

الإرَادة ترك الإرَادة، وقالوا من شرط المريد أن لا تكون له إرَادة بل يكون مع الشيخ على ما يريده الشيخ فهو مريد لما يريده الشيخ وتارك لإرَادة ما سواه، مثاله كما قال الكريم للأكرم: ﴿فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْـَٔلْنِي عَن شَىْءٍ﴾[1] أي مطلقاً ﴿حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾[2] أي؛ ابتداء مني لا بسؤال منك، فإذا حصل له التوحيد الإرادي في التعدد الصوري قد حصل على طرف من التوحيد في عين الكثرة في مبدأ أمره وإليه المنتهى إذا سلك وتمّ له الأمر بإذن الله فانكشف له بتوحيد الأفعال مع إثبات الكسب الناشئ من توحيد الصفات فما فوقه في عين تعددها وإذا حصل هذا التوحيد في الإرَادة حصل له نوع اتصال معنوي بالشيخ وقلب الشيخ الوارث الكامل موضع نظر الحق ومعدن علومه وحضرة أسراره وخزانة أنواره، فعند اتحاد الإرَادة واندراج إرَادة المريد في إرادته يمد الشيخ برقيقتها المتصلة به إمداداً من الفيوض الواردة عليه من الحق سبحانه وتعالى، ولنذكر ها هنا بعض أحاديث البيعة تبركاً وذكرى.

أخبرني الإمام أحمد بن علي العباسي الشناوي[3] عن الشمس محمد الرملي[4] (رحمه الله)، وأخبرنا الرملي بالإجازة العامة عن شيخ الإسلام زين الدين أبي يحيى زكرياء بن محمد الأنصاري[5] عن الحافظ ابن حجر العسقلاني[6] عن أبي الحسن.....

---

(١) سورة الكهف/ الآية/ ٧٠.

(٢) سورة الكهف/ الآية/ ٧٠.

(٣) هو: أحمد بن علي بن عبد القدّوس، أبو المواهب الشناوي: متصوف فاضل، مصري، نسبته إلى (شـنُّو) وهي قرية بالغربية من مصر. مات في المدينة. له كتب منها (الإقليد الفريد في تجريد التوحيد) ورسالة في (وحدة الوجود) وكتابان في (المدائح النبويّة). ينظر: الأعلام، للزركلي: ١/ ١٨١، ومعجم المؤلفين، لكحالة: ٢/ ١٢.

(٤) هو: محمد بن أحمد بن حمزة، شمس الدين الرمليّ، له (نهاية المحتاج في شرح المنهاج) (ت: ١٠٠٤هـ). ينظر: ينظر: خلاصة الأثر، للحموي: ٣/ ٣٤٢، والأعلام، للزركلي: ٦/ ٧.

(٥) هو: أبو يحيى زكريا بن محمد بن زكريا السنيكي قاضي القضاة له (أسنى المطالب) و(أحكام الدلالة على تحرير الرسالة) و(أدب القاضي) (ت: ٩٢٦هـ). ينظر: الضوء اللامع: ٧/ ٢٤٤، وهدية العارفين: ١/ ٢٨٦.

(٦) هو: أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني، أبو الفضل، شهاب الدين، ابن حَجَر: من أئمة العلم والتاريخ. أصله من عسقلان (بفلسطين) ومولده ووفاته بالقاهرة، له (فتح الباري) شرح صحيح البخاري وهو أفضل من شرحه، و(لسان الميزان) (ت: ٨٥٢هـ). ينظر: كتابه الدرر الكامنة : المقدمة، والأعلام، للزركلي: ١/ ١٧٨.

الدمشقي[1] عن أبي العباس الحجازي[2] عن أبي عبد الله الزبيدي[3] عن أبي الوقت السجزي[4] عن أبي الحسن الداودي[5] عن أبي محمد الحموي[6] عن أبي عبد الله الفربري[7] عن الإمام أبي عبد الله البخاري[8] قال في باب كيف يبايع الإمام الناس: «عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ قَالَ بَايَعْنَا رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي الْمَنْشَطِ وَالْمَكْرَهِ وَأَنْ لَا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ وَأَنْ نَقُومَ أو نَقُولَ بِالْحَقِّ حَيْثُمَا كُنَّا لَا نَخَافُ فِي اللَّهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ»[9].

قال الحافظ ابن حجر العسقلاني المراد بالكيفية الصيغ القولية لا الفعلية بدليل ما ذكره فيه من الأحاديث الستة وهي: البيعة على السمع والطاعة، وعلى الهجرة، وعلى الجهاد، وعلى الصبر، وعلى عدم الفرار، ولو وقع الموت، وعلى بيعة النساء، وعلى الإسلام، وكل ذلك وقع عقد البيعة بينهم فيه بالقول انتهى.

---

(١) هو: علي بن سودون الجركسي الشبغاوي (أو اليشبغاوي) القاهري، ثم الدمشقيّ، أبو الحسن: أديب، له (نزهة النفوس) و(قرة الناظر) (ت: ٨٦٨هـ). ينظر: شذرات الذهب: ٧/ ٣٠٧، والضوء اللامع: ٥/ ٢٢٩.

(٢) هو: محمد بن أحمد بن جبريل، أبو العباس الحجازي، من أهل الصلاح، كان شاعراً (ت: ٨٤٠هـ). ينظر: الدرر الكامنة: ٥/ ٧٢، الضوء اللامع: ٢/ ٧٣.

(٣) هو: عبد اللطيف بن أبي بكر بن أحمد، أبو عبد الله، الشّرجي اليماني الزبيدي، له (شرح ملحة الإعراب) و(مقدمة في علم النحو) (ت: ٨٠٢هـ). ينظر: الضوء اللامع: ٤/ ٣٢٥، والإعلام، للزركلي: ٤/ ٥٨.

(٤) هو عبد الأول بن عيسى بن شعيب، أبو الوقت السجزي، الهروي، المالكي (ت: ٥٥٣هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء: ٢٠/ ٣٠٣، والوافي بالوفيات: ١٨/ ٧.

(٥) هو: عبد الرَّحْمَن بن مُحَمَّد بن المظفر بن مُحَمَّد، أبو الحسن الداوودي، أخذ عن الحاكم، والدقاق (ت: ٤٦٧هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء: ١٨/ ٢٢٢، والوافي بالوفيات: ١٨/ ١٥١.

(٦) هو: عبد الله بن أحمد بن حمويه أبو محمد الحموي السرخسي ، سمع صحيح البخاري من أبي عبد الله محمد بن يوسف الفربري بفربر في سنة ست عشرة وثلاثمائة، (ت: ٣٨١هـ). ينظر: التقييد لمعرفة رواه السنن والمسانيد: ١/ ٣٢١، ومعجم المؤلفين: ٦/ ٥١.

(٧) هو: أبو عبد الله محمد بن يوسف بن مطر الفربري، أوثق من روى (صحيح البخاري) عن مصنفه سمعه منه مرتين (ت: ٣٢٠هـ). ينظر: وفيات الأعيان: ٤/ ٢٩٠، وسير أعلام النبلاء: ١٥/ ١٠.

(٨) هو: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن بردزبه ، حبر الأمة في الحديث ، صاحب الصحيح والتاريخ والأدب المفرد (ت: ٢٥٦هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء: ١٢/ ٣٩١، تهذيب التهذيب: ٩/ ٤٧.

(٩) صحيح البخاري: ٩/ ٧٧، برقم (٧١٩٩).

يعني أن البخاري لم يذكر في هذا الباب حديثاً يدلّ على كيفية المبايعة الفعلية أعني كيفية المصالحة الواقعة بين المتبايعين وإنما ذكر الأحاديث المتضمنة للصيغ القولية وآية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾[1] دالة على إحدى الكيفيات الفعلية، وقد مرت في الثالثة (ويوضحه) ما في الدر المنثور في سورة البقرة من قوله: "وَأخرج الطَّيَالِسِيّ وَعبد بن حميد عَن نَافِع قَالَ: جَاءَ رجل إِلَى ابْن عمر فَقَالَ: يَا أَبَا عبد الرَّحْمَن رَأَيْتُمْ رَسُول الله (ﷺ) بأعينكم هَذِه؟ قَالَ: نعم، قَالَ: طُوبَى لكم، فَقَالَ ابْن عمر: إلا أخْبرك بِشَيْء سمعته من رَسُول الله (ﷺ) قَالَ: بلَى، قَالَ: سمعته يَقُول قَالَ طُوبَى لمن رَآنِي وآمن بِي وطوبى لمن آمن بِي وَلم يرني ثَلَاث مَرَّات" انتهى[2].

فدلّ على أنّ المبايعة كانت كيفيتها المشهورة المصافحة بالأيمان كما يصرح به أيضاً قول النساء في حديث أُمَيْمة بنت رُقَيْقة[3] كلاهما بالتصغير فيهما (رضي الله عنهما): «يا رسول الله إلا تصافحنا قال إِنِّي لَا أُصَافِحُ النِّسَاءَ، إِنَّمَا قَوْلِي لِمِائَةِ امْرَأَةٍ كَقَوْلِي لِامْرَأَةٍ وَاحِدَةٍ أو مِثْلِ قَوْلِي لِامْرَأَةٍ وَاحِدَةٍ» أخرجه جماعة من الترمذي والنسائي وابن ماجة[4].

وحيث أنّ المريدين للسلوك متعرضون للجهاد الأكبر فشيخهم أمامهم في ذلك نيابة عن رسول الله (ﷺ) فالذين يبايعونه إنما يبايعون رسول الله (ﷺ) بواسطة مشايخ السلسلة إليه يد رسول الله (ﷺ) بواسطتهم فوق أيديهم، كما يوضحه" قول عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) لمن جاءه فقال إني أريد أن أبايعك قال أو ما بايعت أميري قال بلى قال إذا بايعت أميري فقد بايعتني"[5]

---

(١) سورة الفتح، من الآية/ ١٠.

(٢) الدر المنثور: ١/ ٦٨.

(٣) هي: أمها رقيقة بنت خويلد بْن أسد بْن عبد العزى، أخت خديجة زوج النَّبِيّ (ﷺ)، وهي أميمة بنت عبد ابْن بجاد بْن عمير بن الحارث، حدث عنها محمد بن المنكدر. ينظر: الاستيعاب ، لابن عبد البر: ٤/ ١٨٩١، وأسد الغابة، لابن الجزري: ٧/ ٢٦.

(٤) سنن ابن ماجه، باب بيعة النساء: ٢/ ٩٥٩، برقم (٢٨٧٤)، وسنن الترمذي، باب ما جاء في بيعة النساء: ٣/ ٢٠٤، برقم (١٥٩٧)، وقال حسن صحيح، والسنن الكبرى، للنسائي، باب بيعة النساء: ٨/ ٦٨، برقم (٨٦٦٠)، صححه السخاوي في المقاصد الحسنة: ١/ ١٠٥.

(٥) أورده ابن حجر في الإصابة في تمييز الصحابة: ١/ ٢٨٧، وقال في روضة المحدثين: ٢/ ٤٤٨: إسناده صحيح.

الحديث، وكما يشير إليه جواب نساء الأنصار لعمر بن الخطاب (ﷺ) لما بعثه رسول الله (ﷺ) إليهن ليبايعهن، فقال إني رسول رسول الله (ﷺ) إليكن فقلن مرحباً برسول الله وبرسول رسول الله (ﷺ) [1] فرحين برسول الله لتجلّيه في رسوله بمقتضى ما في قلوبهن من الإيمان به (ﷺ) المنتهى إلى مقام الإحسان اللائق بهذا المقام كأنّهم يرونه نظير قول أسعد بن زرارة (ﷺ) في بيعة العقبة بعد كلام طويل مخاطبا رسول الله (ﷺ) "نُبَايِعُكَ عَلَى ذَلِكَ، وَنُبَايِعُ اللهَ رَبَّنَا وَرَبَّكَ، يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِينَا"[2] الحديث بطوله قاله قبل نزول آية ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ﴾[3].

ولِنُورِده تبركا بذكرهم وبلاغاً فنقول (أخبرني) شيخنا الإمام أحمد بن علي العباسي الشناوي (قدس سره) عن والده من عبد الوهاب الشعراني عن الحافظ جلال الدين السيوطي[4] (رحمه الله) في جمع الجوامع معزو إلى أبي نعيم: «عَنِ الزُّهْرِيِّ، أَنَّ الْعَبَّاسَ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ مَرَّ بِالنَّبِيِّ (ﷺ) وَهُوَ يُكَلِّمُ النُّقَبَاءَ وَيُكَلِّمُونَهُ، فَعَرَفَ صَوْتَ النَّبِيِّ (ﷺ) فَنَزَلَ وَعَقَلَ رَاحِلَتَهُ، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: يَا مَعْشَرَ الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ، هَذَا ابْنُ أَخِي وَهُوَ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ، فَإِنْ كُنْتُمْ قَدْ صَدَّقْتُمُوهُ وَآمَنْتُمْ بِهِ وَأَرَدْتُمْ إِخْرَاجَهُ مَعَكُمْ، فَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ آخُذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقاً تَطْمَئِنُّ بِهِ نَفْسِي، وَلَا تَخْذِلُوهُ، وَلَا تَعْدُوهُ، فَإِنَّ جِيرَانَكُمُ الْيَهُودُ وَهُمْ لَهُ عَدُوٌّ، وَلَا آمَنُ مَكْرَهُمْ عَلَيْهِ، فَقَالَ أَسْعَدُ بْنُ زُرَارَةَ، وَشَقَّ عَلَيْهِ قَوْلُ الْعَبَّاسِ حِينَ اتَّهَمَ عَلَيْهِ أَسْعَدَ وَأَصْحَابَهُ: يَا رَسُولَ اللهِ، ائْذَنْ لَنَا فَلْنُجِبْهُ غَيْرَ مُخْشِنِينَ بِصَدْرِكَ، وَلَا مُتَعَرِّضِينَ بِشَيْءٍ مِمَّا تَكْرَهُ إلا تَصْدِيقاً لِإِجَابَتِنَا إِيَّاكَ، وَإِيمَاناً بِكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ): «أَجِيبُوهُ غَيْرَ مُتَّهِمِينَ»، فَقَالَ أَسْعَدُ بْنُ زُرَارَةَ، وَأَقْبَلَ عَلَى النَّبِيِّ (ﷺ): يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ لِكُلِّ دَعْوَةٍ سَبِيلاً، إِنْ لِينٌ، وَإِنْ شِدَّةٌ، وَقَدْ دَعَوْتَنَا الْيَوْمَ إِلى دَعْوَةٍ مُتَهَجِّمَةٍ لِلنَّاسِ، مُتَوَعِّرَةٍ عَلَيْهِمْ، دَعَوْتَنَا إلى تَرْكِ دِينِنَا وَاتِّبَاعِكَ عَلَى دِينِكَ، وَتِلْكَ رُتْبَةٌ صَعْبَةٌ فَأَجَبْنَاكَ إِلى ذَلِكَ،

---

(١) مسند أحمد: ٣٤/ ٣٩٤، برقم (٢٠٧٩٧)، ومسند البزار: ١/ ٣٧٤، برقم (٢٥٢) حديث أم عطية. قال الهيثمي في مجمع الزوائد: ٦/ ٣٨: رجاله ثقات.

(٢) أورده بهذا النص أبو نعيم في معرفة الصحابة: ١/ ٢٨٠، برقم (٩٢٧) باب أسعد بن زرارة (ﷺ).

(٣) سورة الفتح/ من الآية/ ١٠

(٤) هو: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن عبد الرحمن، له (الإتقان في علوم القرآن) و(تفسير الجلالين)، وعدد لا يحصى من المؤلفات (ت: ٩١١هـ). ينظر: الضوء اللامع: ٤/ ٦٥، وهدية العارفين: ١/ ٢٧٨.

وَدَعَوْتَنَا إلى قَطْعِ مَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ النَّاسِ مِنَ الْجِوَارِ وَالْأَرْحَامِ الْقَرِيبِ وَالْبَعِيدِ، وَتِلْكَ رُتْبَةٌ صَعْبَةٌ فَأَجَبْنَاكَ إلى ذَلِكَ، وَدَعَوْتَنَا وَنَحْنُ جَمَاعَةٌ فِي دَارِ عِزٍّ وَمَنَعَةٍ لَا يَطْمَعُ فِينَا أَحَدٌ أَنْ يَرْأَسَ عَلَيْنَا رَجُلٌ مِنْ غَيْرِنَا قَدْ أَقَرُّوهُ قَوْمُهُ، وَأَسْلَمَهُ أَعْمَامُهُ، وَتِلْكَ رُتْبَةٌ صَعْبَةٌ فَأَجَبْنَاكَ إلى ذَلِكَ، وَكُلُّ هَؤُلَاءِ الرُّتَبِ مَكْرُوهَةٌ عِنْدَ النَّاسِ إلا مَنْ عَزَمَ اللهُ لَهُ عَلَى رُشْدِهِ، وَالْتَمَسَ الْخَيْرَ فِي عَوَاقِبِهَا، وَقَدْ أَجَبْنَاكَ إلى ذَلِكَ بِأَلْسِنَتِنَا وَصُدُورِنَا، إِيمَاناً بِمَا جِئْتَ بِهِ، وَتَصْدِيقاً مَعْرِفَةً تَثْبُتُ فِي قُلُوبِنَا، نُبَايِعُكَ عَلَى ذَلِكَ، وَنُبَايِعُ اللهَ رَبَّنَا وَرَبَّكَ، يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِينَا، وَدِمَاؤُنَا دُونَ دَمِكَ، وَأَيْدِينَا دُونَ يَدِكَ، نَمْنَعُكَ مِمَّا نَمْنَعُ مِنْهُ أَنْفُسَنَا وَأَبْنَاءَنَا، وَنِسَاءَنَا، فَإِنْ نَفِي بِذَلِكَ فَلِلَّهِ نَفِي، وَنَحْنُ بِهِ أَسْعَدُ، وَإِنْ نَغْدِرْ فَبِاللهِ نَغْدِرُ، وَنَحْنُ بِهِ أَشْقَى، هَذَا الصِّدْقُ مِنَّا يَا رَسُولَ اللهِ، وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بِوَجْهِهِ، فَقَالَ: وَأَمَّا أَنْتَ أَيُّهَا الْمُعْتَرِضُ لَنَا بِالْقَوْلِ دُونَ النَّبِيِّ (ﷺ) فَاللهُ أَعْلَمُ مَا أَرَدْتَ بِذَلِكَ، ذَكَرْتَ أَنَّهُ ابْنُ أَخِيكَ، وَأَنَّهُ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيْكَ، فَنَحْنُ قَدْ قَطَعْنَا الْقَرِيبَ وَالْبَعِيدَ، وَذَا الرَّحِمِ، وَنَشْهَدُ أَنَّهُ رَسُولُ اللهِ (ﷺ)، أَرْسَلَهُ مِنْ عِنْدِهِ، لَيْسَ بِكَذَّابٍ، وَأَنَّ مَا جَاءَ بِهِ لَا يُشْبِهُ كَلَامَ الْبَشَرِ، وَأَمَّا ذِكْرُكَ أَنَّكَ لَا تَطْمَئِنُّ إِلَيْنَا فِي أَمْرِهِ حَتَّى تَأْخُذَ مَوَاثِيقَنَا، فَهَذِهِ خَصْلَةٌ لَا نُرُدُّهَا عَلَى أَحَدٍ لِرَسُولِ اللهِ (ﷺ)، فَخُذْ مَا شِئْتَ، ثُمَّ الْتَفَتَ إلى النَّبِيِّ (ﷺ) فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، خُذْ لِنَفْسِكَ مَا شِئْتَ، وَاشْتَرِطْ لِرَبِّكَ مَا شِئْتَ، فَقَالَ النَّبِيُّ (ﷺ): «أَشْتَرِطُ لِرَبِّي عَزَّ وَجَلَّ أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً، وَلِنَفْسِي أَنْ تَمْنَعُونِي مِمَّا تَمْنَعُونَ مِنْهُ أَنْفُسَكُمْ وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَكُمْ»، قَالُوا: فَذَلِكَ لَكَ يَا رَسُولَ اللهِ» انتهى.

فينبغي للنبيه الخبير أن يتنبّه لفقرات الكلام المنتهية إلى درجات الإحسان في الإيمان ببادى القريحة الإيمانية التي بها انتهوا فانتهوا إلى الإيمان برسول الله (ﷺ) حتى أجابوا بما ذكروا خصوصاً قوله في صريح التوحيد والإيمان به عنه إجمالاً قبل التفصيل من قوله للرسول: "تُبَايِعُكَ عَلَى ذَلِكَ، وَنُبَايِعُ اللهَ رَبَّنَا وَرَبَّكَ، يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِينَا"[1]، وهذا من قبل نزول الآية وكذا قوله: "فَإِنْ نَفِ بِذَلِكَ فَلِلَّهِ نَفِ، وَنَحْنُ بِهِ أَسْعَدُ، وَإِنْ نَغْدِرْ فَبِاللهِ نَغْدِرُ، وَنَحْنُ بِهِ أَشْقَى"، فهذا هو التكليف كله ومبلغ الإيمان بالقدر لأهل النظر وهذه العقبة التي من اقتحمها كان من ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ﴾[2]

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سورة الواقعة: الآية/ ٨.

﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡعَقَبَةُ﴾[1] وهذا ما نزل به تفصيل القرآن كما قال هذا الصدق منا والله المستعان، فكل هذه غايات الإيمان وبها زالت عنهم صعوبات المكاره ابتداء، لأنّه لم ينتهِ ذكر الإحسان في الإيمان إلا ما قال من عبادته في قوله كأنّه يراه فيما يحب لله ولرسوله ولنفسه ومثله فرقاه الله إلى ذلك وقومه وبه استجابوا ونطقوا بما نطقوا مما هو تفصيل آيات القرآن وصحاح السنة لمن تدبره واستجلاه، ولم يرقوا إلى ما ذكروا إلا به وبرؤية الاستعانة بالله، وأن الإسعاد منه والأشقاء منه فزالت عنهم صعوبات الأمور المذكورة كلها عنهم بتوحيد الله، وهو كمال التوحيد له والإيمان به بديهة.

ولا يخفى أن كل هذه المكاره الصعاب قد تقع لبعض مريدي السلوك وأن تكون بيعته متضمنة للبيعة عليها، وعلى وجه خاص أعني من حيث كونها علائق وعوائق[2] إذا كان المريد كثير العلائق والعوائق، وفي الحديث تنبيه على أن من وفّق لهذه البيعة الخاصة بموافقة قلبه للسانه والإقدام على اقتحام ورطات تلك الرتب المكروهة الصعاب كان ذلك علامة كونه ممن عزم الله له على رشده ويلتمس الخير في عواقبها «فإن الجنةُ حُفّت بالمَكَارِه»[3] وفيه أنّه لا ينبغي له أن تمنعه عزته ورياستُه العرفية عن الانقياد لغريب مفرد عن قومه بعد ما ظهر له بالقرائن أنّه على بصيرةٍ في دعوته الناس إلى الله فيظهر له مصداق ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[4] هذا الإيمان الخاص فيعلم أنّ العزّ الحقيقي في هذا الذل والانقياد للوارث الكامل، وفي قوله: "وأيدينا دون يدك" إشارة إلى الكيفية الثانية من صورة المبايعة فإنها أحد وجوه ذلك الكلام ولو بالإشارة، وفيه تنبيه إلى غير ذلك مما لا نطيل بذكره، وبالله التوفيق.

---

(١) سورة البلد: الآية/ ١٢.

(٢) عوائق: تقول: عاقني عائق وعَوق وعُوق وعَوِق وعاق (على القلب) وعاقني عوائق اي حبستني أو ثبطتني أمور شاغلة أو صارفة

(٣) صحيح مسلم، باب الجنة وصفة نعيمها وأهلها: ٨/ ١٤٢، برقم (٧٣٠٨) عن أنس (ﷺ).

(٤) سورة المنافقون، من الآية/ ٨.

فصل في بيعة النساء

وبالإسناد السابق إلى البخاري قال في باب ﴿إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ﴾[1]: «حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَعْدٍ حَدَّثَنَا ابْنُ أَخِي ابْنِ شِهَابٍ عَنْ عَمِّهِ أَخْبَرَنِي عُرْوَةُ أَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زَوْجَ النَّبِيِّ (ﷺ) أَخْبَرَتْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ)كَانَ يَمْتَحِنُ مَنْ هَاجَرَ إليه مِنْ الْمُؤْمِنَاتِ بِهَذِهِ الآية بِقَوْلِ اللَّهِ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ﴾ إلى قَوْلِهِ ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ قَالَ عُرْوَةُ قَالَتْ عَائِشَةُ فَمَنْ أَقَرَّ بِهَذَا الشَّرْطِ مِنْ الْمُؤْمِنَاتِ قَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) قَدْ بَايَعْتُكِ كَلَاماً وَلَا وَاللَّهِ مَا مَسَّتْ يَدُهُ يَدَ امْرَأَةٍ قَطُّ فِي الْمُبَايَعَةِ مَا يُبَايِعُهُنَّ إلا بِقَوْلِهِ قَدْ بَايَعْتُكِ عَلَى ذَلِكِ»[2]، وفيه ما يقتضي أنّ محلّ البيعة من غيرهن اليد وأن مبايعة الرجال باليد كما وضع يده على يده عن عثمان (ﷺ) فما كانت بالقول بل باليد يد الله فوق أيديهم.

وقال في بَاب بَيْعَةِ النِّسَاءِ: «حَدَّثَنَا مَحْمُودٌ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ عَنْ الزُّهْرِيِّ عَنْ عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ كَانَ النَّبِيُّ (ﷺ) يُبَايِعُ النِّسَاءَ بِالْكَلَامِ بِهَذِهِ الآية ﴿لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ قَالَتْ وَمَا مَسَّتْ يَدُ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) يَدَ امْرَأَةٍ إلا امْرَأَةً يَمْلِكُهَا»[3].

وقال في بَاب ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ﴾[4]: «حَدَّثَنَا أبو مَعْمَرٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَارِثِ حَدَّثَنَا أَيُّوبُ عَنْ حَفْصَةَ بِنْتِ سِيرِينَ عَنْ أُمِّ عَطِيَّةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ بَايَعْنَا رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) فَقَرَأَ عَلَيْنَا ﴿أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ وَنَهَانَا عَنْ النِّيَاحَةِ فَقَبَضَتْ امْرَأَةٌ يَدَهَا فَقَالَتْ أَسْعَدَتْنِي فُلَانَةُ أُرِيدُ أَنْ أَجْزِيَهَا فَمَا قَالَ لَهَا النَّبِيُّ (ﷺ) شيئاً فَانْطَلَقَتْ وَرَجَعَتْ فَبَايَعَهَا»[5] قال الحافظ ابن حجر

---

(١) سورة الممتحنة: من الآية/ ١٠.

(٢) صحيح البخاري: ٦/ ١٥٠، برقم (٤٨٩١).

(٣) صحيح البخاري: ٩/ ٨٠، برقم (٧٢١٤).

(٤) سورة الممتحنة: من الآية/ ١٢.

(٥) صحيح البخاري: ٦/ ١٥٠، برقم (٤٨٩٢).

في فتح الباري: "في حديث عائشة ولا والله ما مست يد امرأة إلى آخره القسم لتأكيد الخبر، وكانت عائشة أشارت بذلك إلى الرد على ما جاء عن أم عطية"[1] فعند ابن خزيمة[2] وابن حبان[3] والبزار[4] والطبراني[5] وابن مردويه[6] من طريق إسماعيل بن عبد الرحمن عن جدته أم عطية في قصة المبايعة قال: «مَدَّ يَدَهُ مِنْ خَارِجِ الْبَيْتِ وَمَدَدْنَا أَيْدِينَا مِنْ دَاخِلِ الْبَيْتِ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ اشْهَدْ» وكذا الحديث الذي بعده حيث قالت: "فَقَبَضَتِ امْرَأَةٌ مِنَّا يَدَهَا"[7] فإنه يشعر بأنهن كن يبايعنه بأيديهن.

ويمكن الجواب عن الأول بأنّ مدّ الأيدي من وراء الحجاب أشارة إلى وقوع المبايعة وإن لم تقع مصافحة، وعن الثاني بأن المراد بقبض اليد التأخر عن القبول أو كانت المبايعة تقع بحائل، فقد روى أبو داود في المراسيل عن الشعبي أن النبي (ﷺ) حين بايع النساء: « أتي ببرد قطري فوضعه على يده وقال: لَا أُصَافِحُ النِّسَاءَ»[8]، وعند عبد الرزاق من طريق إبراهيم النخعي مرسلا نحوه[9] وعند سعيد بن منصور من طريق قيس بن أبي حازم كذالك.

"وَأخرج بن إِسْحَاقَ فِي الْمَغَازِي مِنْ رِوَايَةِ يُونُسَ بْنِ بُكَيْرٍ عَنْهُ عَنْ أَبَانَ بْنِ صَالِحٍ أَنَّهُ (ﷺ): «كَانَ يَغْمِسُ يَدَهُ فِي إِنَاءٍ وَتَغْمِسُ الْمَرْأَةُ يَدَهَا فِيهِ وَيَحْتَمِلُ التَّعَدُّدَ»[10]، وَقَدْ أَخْرَجَ الطَّبَرَانِيُّ أَنَّهُ بَايَعَهُنَّ بِوَاسِطَةِ عُمَرَ وَرَوَى النَّسَائِيُّ وَالطَّبَرِيُّ مِنْ طَرِيقِ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُنْكَدِرِ أَنَّ أُمَيْمَةَ بِنْتَ رُقَيْقَةَ

---

(١) فتح الباري، لابن حجر: ١٣/ ٢٠٤.

(٢) لم أجده عند ابن خزيمة.

(٣) صحيح ابن حبان، ذِكْرُ الزَّجْرِ عَنِ اتِّبَاعِ النِّسَاءِ الْجَنَائِزَ وَالْخُرُوجِ إليها لَهُنَّ: ٧/ ٣١٤، برقم (٣٠٤١).

(٤) مسند البزار: ١/ ٣٧٤، برقم (٣٧٤).

(٥) المعجم الكبير، للطبراني : ٢٥/ ٤٥، برقم (٨٥) قال الهيثمي في المجمع : ٦/ ٢٨: رجاله ثقات.

(٦) وجدته أيضاً عند أحمد : ٦/ ٤٠٧، قال الهيثمي في المجمع : ٦/ ٢٨: رجاله ثقات.

(٧) السنن الكبرى، للبيهقي: باب النهي عن النياحة على الميت: ٤/ ١٠٢، برقم (٧١٠٤).

(٨) مراسيل أبي داود، باب ما جاء في الفيء والإمارة: ١/ ٤١٩، برقم (٣٥٠) عن الشعبي (رحمه الله).

(٩) مصنف عبد الرزاق، باب بيعة النساء: ٦/ ٨، برقم (٩٨٢٦).

(١٠) لم أجده عند ابن إسحاق بل عند الواقدي في المغازي: ٢/ ٨٥١، وعند السهيلي في روض الأُنف: ٢/ ٢٤٤.

بِقَافَيْنِ مُصَغَّرٌ أَخْبَرَتْهُ: «أَنَّهَا دَخَلَتْ فِي نِسْوَةٍ تُبَايِعُ فَقُلْنَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ابْسُطْ يَدَكَ نُصَافِحْكَ قَالَ إِنِّي لَا أُصَافِحُ النِّسَاءَ وَلَكِنْ سَآخُذُ عَلَيْكُنَّ فَأَخَذَ عَلَيْنَا حَتَّى بَلَغَ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوف فَقَالَ فِيمَا طُقْتُنَّ وَاسْتَطَعْتُنَّ فَقُلْنَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَرْحَمُ بِنَا مِنْ أَنْفُسِنَا وَفِي رِوَايَةِ الطَّبَرِيِّ مَا قَوْلِي لِمِائَةِ امْرَأَةٍ إلا كَقَوْلِي لِامْرَأَةٍ وَاحِدَةٍ»[1]، وَقَدْ جَاءَ فِي أَخْبَارٍ أُخْرَى «أَنَّهُنَّ كُنَّ يَأْخُذْنَ بِيَدِهِ عِنْدَ الْمُبَايَعَةِ مِنْ فَوْقِ ثَوْبٍ» أَخْرَجَهُ يَحْيَى بْنُ سَلَّامٍ فِي تَفْسِيرِهِ عَنِ الشَّعْبِيِّ، وَفِي الْمَغَازِي لِابْنِ إِسْحَاقَ: « عَنْ أَبَانَ بْنِ صَالِحٍ أَنَّهُ كَانَ يَغْمِسُ يَدَهُ فِي إِنَاءٍ فَيَغْمِسْنَ أَيْدِيَهُنَّ فِيهِ»..انتهى[2].

قلت: وأقرب ما يجمع به بين الروايات احتمال التعدد، ثم أنّه تارة بالقول فقط من غير مصافحة لهن، وتارة بالمصافحة لهن بحائل ثوب، وتارة بواسطة غمس اليد في الماء فيصحّ قول عائشة (رضي الله عنها) كلياً أنه (ﷺ) ما مسّت يدُه يد امرأة قط أي بلا حائل إلا امرأة يملكها ويكون قولها ما يبايعهن إلا بقوله قد بايعتك على ذلك محمولاً على مبلغ علمها في ذلك.

ويشهد للمبايعة بالكلام وعدم المصافحة ما أخرجه الطبراني في الكبير: عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيدَ، قَالَتْ: أَنَا مِنَ النِّسْوَةِ اللَّاتِي أَخَذَ عَلَيْهِنَّ رَسُولُ اللهِ (ﷺ)، قَالَتْ: وَكُنْتُ جَارِيَةً ناهداً جَرِيئَةً عَلَى مَسْأَلَتِهِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، ابْسُطْ يَدَكَ حَتَّى أُصَافِحُكَ فَقَالَ: «إِنِّي لَا أُصَافِحُ النِّسَاءَ، وَلَكِنْ آخُذُ عَلَيْهِنَّ مَا أَخَذَ اللهُ عَلَيْهِنَّ»[3].

ويشهد لوقوع المصافحة بحائل ما أخرجه الطبراني: «عَنْ مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ أَنَّ النَّبِيَّ(ﷺ) كَانَ يُصَافِحُ النِّسَاءَ مِنْ تَحْتِ الثَّوْبِ»[4].

ويشهد لمرسل الشعبي عند أبي داود ما أخرجه الطبراني في الكبير: «حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الْحَضْرَمِيُّ، ثَنَا جُبَارَةُ بْنُ مُغَلِّسٍ، ثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ حَكِيمٍ، عَنْ حَجَّاجٍ، عَنْ دَاوُدَ بْنِ أَبِي

---

(١) تاريخ الطبري: ٢/ ٣٣٨، ووجدته عند عبد الرزاق في المصنف، باب بيعة النساء: ٦/ ٦، برقم (٩٨٢٦).

(٢) هذا نص كلام ابن حجر في الفتح: ٨/ ٦٣٧.

(٣) المعجم الكبير، للطبراني: ٢٤/ ١٦٣، برقم (٤١٧)، قال الهيثمي في المجمع: ٦/ ٣٩: فِيهِ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْحَكَمِ بْنِ أَبَانَ، وَهُوَ مَتْرُوكٌ.

(٤) المعجم الكبير، للطبراني: ٢٠/ ٢٠١، برقم (٤٥٤)، قال الهيثمي في المجمع: ٦/ ٣٩: فِيهِ عَتَّابُ بْنُ حَرْبٍ وَهُوَ ضَعِيفٌ.

عَاصِمٍ، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ مَسْعُودٍ الثَّقَفِيِّ، قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ) عِنْدَهُ الْمَاءُ فإذا بَلَغَ النِّسَاءَ غَمَسَ أَيْدِيَهُنَّ فِيه»[1]، وهذا يحتمل أنّه اكتفى بمجرد الغمس من غير مصافحة اكتفاء باتصال أيديهن بما اتصلت به يد رسول الله (ﷺ) بلا واسطة ويحتمل أنّه صافحهن بعد الغمس من الطرفين اكتفاء بحيلولة الماء كالقميص، وربما يشهد لصحة كون الماء حائلاً بالنسبة إلى بعض ما في الجامع الكبير معزواً لابن سعد[2] والطبراني: «عَنِ السَّوْدَاءِ، قَالَتْ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ (ﷺ) لِأُبَايِعَهُ، فَقَالَ: «انْطَلِقِي فَاخْتَضِبِي، ثُمَّ تَعَالَى حَتَّى أُبَايِعَكِ»[3]، والذي يوضح التعدد وقوعها بواسطة عمر بن الخطاب (ﷺ) كما أشار إليه في الفتح فيما نقلناه عن الطبراني: «أُمَّ عَطِيَّةَ، قَالَتْ: لَمَّا "دَخَلَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ) الْمَدِينَةَ جَمَعَ النِّسَاءَ فِي بَيْتٍ، ثُمَّ بَعَثَ إِلَيْنَا عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ فَقَامَ عَلَى الْبَابِ، فَسَلَّمَ ثُمَّ قَالَ: إِنِّي رَسُولُ رَسُولِ اللهِ (ﷺ) إِلَيْكُنَّ لِأُبَايِعَكُنَّ عَلَى أَنْ لَا تَسْرِقْنَ، وَلَا تَزْنِينَ، وَلَا تَقْتُلْنَ أَوْلَادَكُنَّ، وَلَا تَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ تَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيكُنَّ وَأَرْجُلِكُنَّ، وَلَا تَعْصِينَهُ فِي مَعْرُوفٍ، قَالَتْ فَأَخْرَجْنَا أَيْدِينَا مِنْ خَارِجِ الْبَابِ وَأَخْرَجَ يَدَهُ، فَبَايَعْنَاهُ»[4] الحديث فإن أم عطية قد بايعت رسول الله (ﷺ) بلا واسطة عند البخاري كما مر، وهنا كانت في اللائي بايعنَ عمر، وقد وقعت المبايعة متعددة من الرجال فالنساء أولى بذلك كما سيتضح ثم هذا الإخراج يحتمل الاكتفاء فيه بمجرد الإشارة كما سيجيء عن ابن حجر ويحتمل المصافحة بحائل، والله أعلم.

والذي يظهر بناءً على تعدد البيعة لهن ووقوع جميع الكيفيات المذكورة كل منها مرة أو أكثر، وكل منها الطائفة مخصوصة وتكرر من الكيفيات لأكثر من طائفة أنّه (ﷺ) بايعهن بتلك الكيفيات المختلفة كل فرقة أو أكثر مرة واحدة أو أكثر بكيفية واحدة أو أكثر مراعاة لاختلاف أحوالهن ومقتضى طبائعهن وتفاوت درجاتهن في كونهن مالكات للطبع غير مملوكات له، وتفاوت درجاتهن في احتياجها إلى مزيد أمداد، والله اعلم.

---

(١) المعجم الكبير، للطبراني: ١٧/ ١٤٩، برقم (٣٧٦).

(٢) الطبقات الكبرى، لابن سعد: ٨/ ٨، باب ذِكْرُ مَا بَايَعَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) النِّسَاءَ.

(٣) المعجم الكبير، للطبراني: ٢٤/ ٣٠٣، برقم (٧٧٠).

(٤) سبق تخريجه.

قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري شرح صحيح البخاري في حديث عائشة المذكور في باب بيعة النساء وقد ذكرت في تفسير الممتحنة ما خالف ظاهره، قالت عائشة من اقتصاره في مبايعته (ﷺ) النساء على الكلام[1]، وما ورد أنّه بايعهن بحائل أو بواسطة ما يغني عن إعادته، وقد يؤخذ من قول أم عطية في الحديث الذي بعده «فَقَبَضَتْ امْرَأَةٌ مِنَّا يَدَهَا»[2] أن بيعةَ النساء كانت أيضاً بالأيدي فيخالف ما نقل عن عائشة من هذا الحصر، وأجيب بما ذكر من الحائل، يحتمل أنّهن كن يُشِرْن بأيديهن عند المبايعة بلا مماسة.

وقد أخرج إسحاق بن راهويه بسند حسن عن أسماء بنت يزيد مرفوعاً: «إِنِّي لَا أُصَافِحُ النِّسَاءَ»[3] وفي الحديث أنّ كلام الأجنبية مباح سماعه، وأن صوتها ليس بعورة ومنع لمس بشرة الأجنبية من غير ضرورة كذلك انتهى.

قلت الإشارة بأيديهن عند المبايعة من غير مماسّة محتمل كما قال ولكنه لا يتم كلياً إذا كان أمرهن بأن يُشرن بأيديهن من تحت الثوب مثلاً أخف مئونة وأستر لهن من أن يقول لواحدة منهن انطلقي فاختضبي ثم تعالَي حتى أبايعك أو يقول لواحدة منهن «لَا أُبَايِعُكِ حَتَّى تُغَيِّرِي كَفَّيْكِ، كَأَنَّهُمَا كَفَّا سَبُعٍ»، وهو عند أبي داود[4] على ما في جمع الجوامع.

---

(١) ينظر: فتح الباري، لابن حجر: ١٣/ ٢٠٤.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) نسب الشيخ تخريجه لابن راهويه : ٥/ ٩٠، برقم (٢١٩٥)، مع أنه موجود عند مالك في الموطأ، باب ما جاء في البيعة: ٨٧، وأحمد في مسنده: ٦/ ٤٠٧ من حديث رقيقة، وابن ماجه في سننه ، باب بيعة النساء: ٢/ ٩٥٩، برقم (٢٨٧٤)، وكلها أسانيد صحيحة.

(٤) سنن أبي داود ، بَابٌ فِي الْخِضَابِ لِلنِّسَاءِ: ٤/ ٧٦، برقم (٤١٦٥) عن عائشة (رضي الله عنها)، وأخرجه البيهقي في الكبرى، : ٧/ ١٣٨، برقم (١٣٤٩٨)، ضعفه ابن حجر في التلخيص: ٢/ ٤٥٢. وعندي الحديث ضعيف لا يعمل به أبداً، قال شهاب الدين بن علي العسقلاني: وفي إسناده مجهولات ثلاث ورواه أحمد والنسائي وأبو داود من وجه آخر عن صفية بن عصمة عن عائشة قالت: أومأت امرأة من وراء ستر بيدها إلى رسول الله (ﷺ) فقبض يده وقال/ ما أدري أيد رجل أو يد امرأة، قالت: بل امرأة، قالت: لو كنتِ امرأة لغيرت أضافرك بالحناء، قال أحمد في العلل: هذا حديث منكر واصحّ الأحاديث حديث عائشة ما مست يد رسول الله امرأة قط.

فالظاهر التعدد وأنّ المبايعة قد وقعت بالكلام فقط، وهو ما شهدته عائشة (رضي الله عنها) وقد وقعت مع المصافحة بحائل مع تفاوت مراتبه كثافة ولطافة حيث لم تطلع كما في إنكارها (رضي الله عنها) لحديث السباطة[1]، ومثله مع ثبوت وصحة حديثه فلا بعد، والله أعلم.

وقد وقعت المبايعة متعددة مع الرجال والنساء أحوج إلى ذلك، وذلك أن كل بيعة تحدث اتصالاً معنوياً بين المتبايعين، ولكل اتصال إمداد خاص من المتبوع لتابعه والنساء أحوج إلى مزيد الإمداد والتقوية لكونهن أضعف، والله أعلم.

وبالإسناد السابق إلى البخاري، في باب من بايع مرتين: «حَدَّثَنَا أبو عَاصِمٍ عَنْ يَزِيدَ بْنِ أبي عُبَيْدٍ عَنْ سَلَمَةَ قَالَ بَايَعْنَا النَّبِيَّ (ﷺ) تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَقَالَ لِي يَا سَلَمَةُ إلا تُبَايِعُ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ بَايَعْتُ فِي الْأَوَّلِ قَالَ وَفِي الثَّانِي»[2] انتهى.

وقد ظهر بعض نتائج الإمداد في غزوة ذي قَرَد حيث استعاد الذود الذي كان المشركون أغاروا عليه واستلب ثيابهم، وكان آخر أمره أن أسهم له رسول الله (ﷺ) سهم الفارس والراجل، وفي جمع الجوامع للحافظ السيوطي معزوا إلى البغوي، وأبي نعيم: «عن عتبة بن عبد السلمي (ﷺ) قال بايعت رسول الله (ﷺ) بسبع بيعات خمساً على الطاعة واثنتين على المحبة»[3] انتهى.

وهذه البيعات السبع كأنّها بإزاء الأطوار السبعة للقلب المتقلب فيها بأطوار الصفات السبع الجامعة للباقي، ولكل بيعةٍ اتصال ولكل اتصال إمداد، والله اعلم.

ثم حديث غمس اليد في الماء عند المبايعة يظهر منه أن المبايعة لما كانت اتصالا حسياً بين المتبايعين تورث اتصالاً معنوياً، والماء أصل الموجودات كما يدلّ عليه حديث أبي هريرة (ﷺ) مرفوعاً: «كُلُّ شَيْءٍ خُلِقَ مِنَ الْمَاءِ»[4]، والتوحيد أصلُ الدين وأول ما يبايع عليه المؤمن

---

(١) حديث السباطة أخرجه البخاري في صحيحه، بَاب الْبَوْلِ عِنْدَ صَاحِبِهِ وَالتَّسَتُّرِ بِالْحَائِطِ: ١/ ٥٥، برقم (٢٢٥)، ومسلم، باب المسح على الخفين : ١/ ١٥٧، برقم (٦٤٧)، وهذا لفظ البخاري: «عَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ رَأَيْتُنِي أَنَا وَالنَّبِيُّ (ﷺ) نَتَمَاشَى فَأَتَى سُبَاطَةَ قَوْمٍ خَلْفَ حَائِطٍ فَقَامَ كَمَا يَقُومُ أَحَدُكُمْ فَبَالَ فَانْتَبَذْتُ مِنْهُ فَأَشَارَ إِلَيَّ فَجِئْتُهُ فَقُمْتُ عِنْدَ عَقِبِهِ حَتَّى فَرَغَ».

(٢) صحيح البخاري: ٩/ ٧٨، برقم (٧٢٠٨).

(٣) السنة، لابن أبي عاصم، باب في ذكر السمع والطاعة : ٣/ ٥٤، برقم (٨٦٤).

(٤) أخرجه أحمد في مسنده: ١٤/ ٤٩، برقم (٨٢٩٥) قال في روضة المحدثين: ٢/ ٤٣٦: إسناده صحيح.

والمؤمنة جعل واسطة الاتصال بالمبايعة ما هو أصل في الموجودات؛ ليقع الاتصال في أصل الدين بما هو أصل في الوجود، تنبيهاً على أن هذه البيعة رجوع إلى الفطرة التي ولد عليها كل مولود، ثم تغيرت في بعض كما أن الماء أصل اللطائف والكثائف، ولم تبق على لطافتها في أكثر المحسوسات، وإشارة إلى أن إيمان المبايع عليه طهور معنوي كما أنّ الماء طهور حسي، ثم فيه إشارة إلى تفاوت مراتب الإيمان ودرجات الأعمال، كما تتفاوت درجات غمس اليد في الماء كُلاً أو بعضاً على اختلاف درجاته، والله أعلم.

فصل في بيعة الصغير

وبالإسناد السابق إلى البخاري في باب بيعة الصغير، «حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَزِيدَ حَدَّثَنَا سَعِيدٌ هُوَ ابْنُ أَبِي أَيُّوبَ قَالَ حَدَّثَنِي أَبُو عَقِيلٍ زُهْرَةُ بْنُ مَعْبَدٍ عَنْ جَدِّهِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ هِشَامٍ وَكَانَ قَدْ أَدْرَكَ (ﷺ) وَذَهَبَتْ بِهِ أُمُّهُ زَيْنَبُ بِنْتُ حُمَيْدٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ بَايِعْهُ فَقَالَ النَّبِيُّ (ﷺ) هُوَ صَغِيرٌ فَمَسَحَ رَأْسَهُ وَدَعَا لَهُ وَكَانَ يُضَحِّي بِالشَّاةِ الْوَاحِدَةِ عَنْ جَمِيعِ أَهْلِهِ»[1].

قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري باب بيعة الصغير: "أي؛ هل شرع أولا، قال ابن المنير الترجمة موهمة، والحديث يزيل إيهامها فهو دال على عدم انعقاد بيعة الصغير[2] انتهى.

قلت؛ الظاهرُ أنّ مرادَه أن الصغير لا يبايع بيعة الكبير؛ لأنّه يصنع معه ما يليق بحاله مما يحصل به نوع اتصال فإنّ رسول الله (ﷺ) قد مسح رأسه، ودعا له، ومسح رأسه نوع من الاتصال الحسي اللائق بجمال الصغير كالمصافحة اللائقة بحال الكبير، فله إحداث اتصال معنوي يليق بحال الصبي فيُقبل كقبوله للإجازة والرواية إذا وعى، وسوف تظهر نتيجة إمداده كنتيجة دعائه له بالبركة حتى إن مثل ابن عمرو بن الزبير كان يلتمسان بركته كما في البخاري في باب الشركة بعد إيراد الحديث ما نصه: «وَعَنْ زُهْرَةَ بْنِ مَعْبَدٍ أَنَّهُ كَانَ يَخْرُجُ بِهِ جَدُّهُ عَبْدُ اللَّهِ ابْنُ هِشَامٍ إِلَى السُّوقِ فَيَشْتَرِي الطَّعَامَ فَيَلْقَاهُ ابْنُ عُمَرَ وَابْنُ الزُّبَيْرِ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) فَيَقُولَانِ لَهُ أَشْرِكْنَا فَإِنَّ النَّبِيَّ (ﷺ) قَدْ دَعَا لَكَ بِالْبَرَكَةِ فيشرَكُهُم»[3] انتهى.

وقال الحافظ ابن حجر في قوله: وكان، أي؛ عبد الله بن هشام يضحى بالشاة الواحدة عن جميع أهله وفيه إشارة إلى أن عبد الله بن هشام عاش بعد النبي (ﷺ) زماناً ببركة دعائه له[4] انتهى.

---

(١) صحيح البخاري: ٩/ ٧٩، برقم (٧٢١٠).

(٢) فتح الباري: ١٣/ ٢٠١.

(٣) صحيح البخاري: ٣/ ١٤١، برقم (٢٥٠٢).

(٤) فتح الباري: ٥/ ١٣٧.

فحصل أثر ذلك المسح والدعاء له عليه وظهر كما ظهر على المتبايعين بالمصافحة الأثر المراد بل عند الطبراني ما يدلّ على أن الصغير إذا كان مميزاً يُبايَع وهو ما حدثنا به شيخنا الإمام أحمد بن علي الشناوي العباسي عن الشمس محمد الرملي من القاضي زكرياء عن الحافظ ابن حجر عن الحافظ أبي الحسن الهيثمي في كتابه البدر المنير في زوائد المعجم الكبير للطبراني على الكتب الستة عن أبي الفتح الميدومي عن أبي الفرج الحراني عن محمد ابن أبي زيد الكراني قال أخبرنا أبو منصور محمود بن إسماعيل الصيرفي، قال: أخبرنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن الحسين بن بادشاه قال: أخبرنا أبو القاسم الطبراني، قال: ومن البدر المنير في باب بيعة من لم يحتلم بخط الحافظ ابن حجر، فقلت: «حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ، ثنا الزُّبَيْرُ، حَدَّثَنِي أحمد بْنُ سَلْمَانَ، عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ الدَّرَاوَرْدِيِّ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِيهِ أَنَّ النَّبِيَّ (ﷺ) بَايَعَ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ وَعَبْدَ اللهِ بْنَ عَبَّاسٍ وَعَبْدَ اللهِ بْنَ جَعْفَرٍ (ﷺ) وَهُمْ صِغَارٌ لَمْ يَبْلُغُوا». قَالَ: «وَلَمْ يُبَايِعْ صَغِيراً إلا مِنَّا» انتهى.

وهذا دليلٌ صحةِ مبايعةِ الصغير الذي لم يحتلم فيكون كافياً لاتصالِ السند وحصول البركة في الطريق أيضاً، والله أعلم.

فصل في السند بالإلباس والبيعة والتلقين

ونذكر الآن سندَنا بالإلباس والبيعة والتلقين من طريق سيدي ووالدي في السبيل والطريق شيخ الكمّل، وقدوة أهل الكمال في العلوم الظاهرة والباطنة سيدي الشيخ محمد بن يونس الملقب بعبد النبي بن أحمد بن علي الدجّاني، ثم المدني الأنصاري، فقد ألبسني وبايعني ولقّنني الذكر كما بويع ولُقن وأُلبس من عدة مشايخ أحمدية، وشاذلية وقادرية، وأجازني بكل ذلك كما أجازهم به من الطريق القادرية اليمنيّة، وإلباس خرقتها كلها سيدي الشيخ الأمين بن الصديق (قدس سره)، قال في كتابه المسمى بالكشف والعيان في معرفة حقيقة الإيمان، ومقام الإحسان في الفصل الثاني منه ما نصّه بعد بسط: "ثم نرجع إلى بيان نسبة خرقة[1] سيدي الشيخ سلطان العارفين وإمام المحققين شجاع الدين عمر بن أحمد بن جبريل قدس الله سره وأعاد علينا بركاته ونفعنا بعلومه آمين.

فأقول، وبالله التوفيق وهو حسبي ونعم الوكيل: إنّي قد لبستُ الخرقة الشريفة الفقيرية الفخرية من سيدي الشيخ العارف بالله تعالى قدوة السالكين وسلطان العارفين وإمام المحققين سيدي الشيخ عمر بن أحمد بن جبرئيل قدس الله سره، وهو لبسها من شيخه الشيخ عبد القادر ابن الجنيد، وهو لبسها من أبيه الجنيد بن أحمد، وهو لبسها من أبيه أحمد بن موسى المشرّع، وهو لبسها من شيخه إسماعيل بن الصديق الجبرتي، وهو لبسها من شيخه محمد الزجاجي، وهو لبسها من شيخه أبي المعروف إسماعيل بن إبراهيم الجبرتي، وهو لبسها من شيخه سراج الدين أبي بكر المعروف بالسلامي، وهو لبسها من شيخه أبي بكر بن محمد المعروف بابن يغنم، وهو لبسها من شيخه أبي أحمد محمد بن أحمد، وهو لبسها من أبيه أحمد بن عبد الله الأسدي، وهو لبسها من شيخه عبد الله بن يوسف، ومن شيخه عبد الله بن زربة، وهما لبساها جميعا من شيخهما أبي محمد عبد الله بن علي بن حسن الأسدي، وهو لبسها من شيخه شيخ الشيوخ عبد القادر الجيلاني (ﷺ)، ثم ساق سنده المعروف الآتي المنتهي إلى علي بن أبي طالب (ﷺ) من طريق الحسن البصري، ومن طريق الحسين السبط (ﷺ) وقدس الله أسرارهم أجمعين.

---

(١) خِرْقةُ التَّصوُّف: ما يلبسه المريد من يد شيخه الذي يدخل في إرادته ويتوب على يده.

وهكذا ساق سيدي الشيخ الأمين بن الصديق سند الشيخ إسماعيل الجبرتي إلى سيدي عبد القادر الجيلاني بست وسائط على ما في كتابه المذكور المسمى بـ(الكشف والعيان).

وأما الشيخ شهاب الدين أحمد بن أبي بكر الرداد القرشي الصديقي اليمني الزبيدي الجامع بين الفقه والحديث والتصوف، الذي قال فيه شيخه إسماعيل الجبرتي: للشيخ أحمد ثلاثون سنة لا يرى إلا الله (ﷻ) وأفعاله، فقد ساق سند شيخه في كتابه عدة المرشدين وعمدة المسترشدين نحو سياق سيدي الشيخ الأمين إلا أنّه زاد واحداً، وهو الشيخ محي الدين أحمد الأسدي ابن السراج- السلامي، وبين ابن يغنم فلنَسُقْهُ لمزيد فائدة رفع الأنساب وزيادة الألقاب والتراجم والتصريح بلفظ اليد.

فنقول قال (نور الله ضريحه) في كتابه المذكور: لبست الخرقة من يد شيخنا شيخ شيوخ العارفين وإمام أئمة المحققين المعرّفين شرف الملة والدين قطب الأولياء المقربين أبي المعروف إسماعيل بن إبراهيم بن عبد الصمد الجبرتي القرشي الهاشمي العقيلي الصوفي اليمني الزبيدي (قدس الله سره)، وهو لبس من يد الشيخ الكبير سراج الدين أبي بكر بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن إبراهيم بن غالب السلامي الشهير بالسراج الصوفي (رحمه الله تعالى)، وهو لبس من يد شيخ الشيوخ محي الدين أحمد بن عبد الله بن يوسف الأسدي، وهو لبس من يد شيخ الشيوخ فخر الدين أبي بكر محمد بن علي بن يغنم، وهو لبس من يد شيخ الشيوخ أبي أحمد محمد بن أحمد بن عبد الله بن يوسف، وهو لبس من يدِ والده شيخ الشيوخ أبي محمد أحمد ابن عبد الله، وهو لبس من والده شيخ الشيوخ عبد الله بن يوسف ومن يد شيخه عبد الله بن قاسم بن زربة، وهما لبسا من يد شيخهما شيخ الشيوخ أبي محمد عبد الله بن علي الأسدي، وهو لبس من يد سيدنا شيخ شيوخ العالم قطب الأقطاب القطب الغوث الفرد الجامع محي الدين أبي محمد عبد القادر بن أبي صالح موسى بن عبد الله بن يحيى الزاهد بن محمد بن داود بن موسى بن عبد الله بن عبيد الله بن موسى الجون بن عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن بن علي بن أبي طالب (ﷺ) وعنهم أجمعين الجيلاني (ﷺ) وأرضاه، وهو (قدس الله سره) لبس من يد الشيخ أبي سعيد المبارك بن علي المخرمي، وهو لبس من يد شيخ الإسلام أبي الحسن علي بن أحمد بن يوسف الهكاري القرشي، وهو لبس من يد أبي الفرج

محمد بن عبد الله الطرسوسي، وهو لبس من يد أبي الفضل عبد الواحد بن عبد العزيز التميمي، وهو لبس من يد الأستاذ أبي بكر محمد بن دلف بن خلف بن محمد بن جحدر الشبلي، وهو لبس من يد سيد الطائفة الأستاذ أبي القاسم الجنيد بن محمد البغدادي، وهو لبس من يد الأستاذ أبي الحسن السري بن المغلس السقطي - وهو خاله - وهو لبسها من يد الأستاذ أبي محفوظ معروف بن فيروز الكرخي، وهو لبس من يد الأستاذ أبي سليمان داود بن نصير الطائي، وهو لبس من يد أبي محمد حبيب بن محمد العجمي، وهو لبس من يد سيد التابعين الحسن ابن أبي الحسن البصري، وهو لبس من يد أمير المؤمنين علي أبي طالب (كرم الله وجهه)، وهو لبس من يد رسول رب العالمين سيدنا محمد (ﷺ) وعلى آله وصحبه أجمعين، وهو (ﷺ) لبس من رب العالمين بواسطة الروح الأمين والحمد لله رب العالمين.

قال الشيخ شهاب الدين أحمد بن الرداد بعد سَوْق هذا السند: قلت هذا اللفظ من هذه النسبة المذكورة في تحرير ذكر اللبس، وتحقيقه بذكر اليد هو لفظ الشيخ القطب الغوث الفرد الجامع شيخ مشائخ الملك والملكوت محي الدين عبد القادر بن أبي صالح الجيلاني بالله بلفظه وحروفه أخبر به عنه الشيخ المحدث الحافظ الصائن أبو محمد يونس بن يحيى الهاشمي (رحمه الله تعالى) على ما اخبرنا به الفقيه العالم الصالح جمال الدين محمد بن عمر ابن حسن الحاجر (رحمه الله تعالى) قراءة عليه في عام سبع وثمانين وسبعمائة، عن الفقيه الإمام القدوة بقية المحدثين برهان الدين إبراهيم بن عمر العلوي، قال: أنا الإمام تقي الدين عمر بن علي الشعبي، ولبس منه الحرقة، قال: أخبرني شيخي القاضي الكبير المحدث فخر الدين إسحاق بن أبي بكر الطبري المكي، ولبس منه الخرقة، قال: اخبرني شيخي الشريف الإمام المحدث أبو محمد يونس بن يحيى الهاشمي، ولبس منه الخرقة، وقال: أنّه سمع من الشيخ الإمام قطب الإسلام غوث الأنام محي الدين عبد القادر الجيلاني نسبة خرقة التصوف هذه في سنة خمسين وخمسمائة، ولبسها من يده، وساق ذكر هذه النسبة المباركة على ما قدمنا سواء إلى هنا كلام الشيخ شهاب الدين أحمد بن الرداد الصديق الزبيدي (رحمه الله تعالى).

♦تنبيه:

في النكات الأثرية على الأحاديث الجزرية تأليف الحافظ شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الدمشقي الشهير بابن ناصر الدين التي ألّفها للتنبيه على أنّ الصواب عنده

في بعض ما ذكر في الجزء الذي أخرجه عصريّه الحافظ المقرئ شمس الدين بن الجزري (رحمه الله تعالى)، المشتمل على أمور، منها: إسناد لبس الخرقة غير ما ذكر مخرجه ابن الجزري قال: ما صورته، ومنه في إسناد لبس الخرقة أيضاً بعد ذكر السيد الجليل الشيخ عبد القادر الجيلاني (رحمه الله) عليه قال المخرج، وهو من الشيخ أبي سعيد المبارك على المخرمي كذا قال أبو سعيد، وإنما هو بسكون العين يليها الدال فهو أبو سعيد المبارك بن علي ابن الحسين بن بندار البغدادي المخرمي وبكنيته كنى حفيده أبو سعيد المبارك بن أبي الفضل يحيى بن أبي سعد المبارك المخرمي شيخ الشيوخ برباط الحرير الظاهري ببغداد توفي سنة أربع وستين وستمائة.

وفي إسناد الخرقة أيضاً قال المخرّج: عن أبي الفرج محمد بن عبد الله الطرسوسي، وهو من الشيخ أبي الفضل عبد الواحد بن عبد العزيز التميمي، وهو من أستاذه أبي بكر محمد بن خلف بن جحدر الشبلي كذا ذكره، وقد سقط بين التميمي والشبلي رجل فإنّ أبا الفضل التميمي لبس الخرقة من والده عبد العزيز بن الحارث التميمي وعبد العزيز لبسها من أستاذه أبي بكر الشبلي (رحمه الله) عليه وكذا ذكره الإمام أبو المظفر يوسف السومري شيخ المخرج حين روى لبس الخرقة من طريق الإمام موفق الدين أبي محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة عن الشيخ عبد القادر عن أبي سعد المخرمي بن أبي الحسن علي بن أحمد الهنكاري عن أبي الفضل عبد الواحد بن عبد العزيز التميمي، وقال البسني والدي عبد العزيز بن الحارث التميمي عن أبي بكر الشبلي (رحمه الله تعالى) انتهى.

قلت يمكن الجمع بكون أبي الفضل لبس من والده، ومن الشبلي جميعاً إذا تحقق المعاصرة كما أن الفقيه حسن الشمشيري لبس من النجم الأصفهاني، ومن البدر الطوسي، ثم لبس من البدر الطوسي بلا واسطة كما سيجيء أن شاء الله تعالى، وبمثل هذا يجمع أمثال هذا الاختلاف في كل ما سيأتي، وفيما سبق أيضاً إذا تحقق المعاصرة.

♦ **فائدة بعائدة:**

كنت فيما سبق من الزمان كتبت على هامش رسالة في فضائل تميم الداري (ﷺ) ما صورته، وهو -أعني تميما الداري- جدُّنا لجدتِنا أم أبينا، وفي فضائل خالد بن الوليد (ﷺ) جدُّنا لأمّنا،

ونرجو الله بين من ذلك، وأن يكون بفضله كذلك، وما ذلك عليه بعزيز، إذ يقال أنّ جد الجد للأب كتم نسبه فانقطع بيان نسبه، وكان ينسب إلى رسول الله (ﷺ)، ولم يتصل إليّ سند نسبهم للانفصال عن البلاد، وعدم الاجتماع بأحد من نسله مدتنا هذه كلها، ولم نتوجه إلى ذلك اقتداءً به، وعلماً بأنّ الكائن لا يفوت، والفائت لا يرجى، وبالله الرغبة فيما لديه والحمد لله على الإسلام المصحح للنسب بمحمد (ﷺ) النسب الحقيقي ونسأل أنّ دوامَ نعمته به، وشمول رحمته في عباده الصالحين آمين، انتهى.

ثم لما وقع التعارف بالمراسلة بيني وبين حفيد عم والدي، وابن عمتي وهو - أعني ابن العم الأكرم - القائم في القدس الشريف بالخلافة في ذريّة جدّه صاحب المقام الأقوم الشيخ أبو الفتح ابن الشيخ صالح بن الشيخ محمد بن السيد الأكرم القطب الشيخ أحمد الدجاني، كتبت إليه أطلب نسبة الجدّ فجاءنا في أوائل شهر محرم الحرام مفتتح هذه السنة سنة تسع وستين بعد الألف رزقنا الله خيرها، ووقانا ضيرها والمسلمين، وأحسن ختامها ورقةٌ منه بخطّه الكريم، وفيها بعد ذكر ما شاء أن يذكر ما صورته ويا أستاذ ذكرتم لنا في بعض مكاتب منكم أن نذكر لكم نسب الجد فما عندنا نسب منفرد بذكره، بل في الواقفية، ووجدنا بخطه أنّه أحمد ابن السيد الحسيب علي بن السيد الحسيب البدري حسن بن السيد ياسين البدري هذا الذي رأيناه مذكورا في الواقفية وبخطه، وكتب بعد هذا ما صورته، فنسبي أنا أبو الفتح بن الشيخ صالح بن الشيخ محمد بن القطب الشيخ أحمد هذا من جهة الوالد وأما من جهة الوالدة (رحمها الله تعالى) فبنت الشيخ يونس الذي تنسبون إليه ابن ولي الله تعالى الشيخ أحمد الدجاني انتهى.

وقد علم أرباب الحق والصدق مع الله أن هؤلاء القوم الكرماء الذين لا يشقى بهم جليسُهم أهل الوثاقة والأمانة والصدق مع الله في أقوالهم وأفعالهم فلا يقولون إلا حقاً، ولا يقررون إلا صدقاً، فهو بإذن الله كما قال وجُلّ اعتمادهم على نسب التقوى الذي هو نسب الحق في عامة أهل الحق لعلمهم أن النسب بدونه لا يفيد شيئاً كما في علي بن أبي طالب (ﷺ)، وأبي طالب مثلاً.

وقد قال تعالى فيما يحقق ذلك: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ﴾[1] الآية، فلهذا لا يلتفتون من ذكر النسب إلا على ما به نظم الجهة ويصل النسب، ولو بطرف أوله الموصل إلى غايته، والحمد لله المنعم المنان الذي حقق الرجاء بعد حين بما وصل إلينا على أيدي عباده من طرف من البيان لا إله إلا هو فعليه التكلان فيما يكون وكان، والحمد لله رب العالمين.

(١) سورة المجادلة، من الآية/ ٢٢.

فصل في السند:
من أخذ عنهم الشيخ محمد بن يونس

وعلى هذا فأقول: إنّ والدي محمد بن يونس الملقب بعبد النبي بن ولي الله القطب الرباني سيّدنا السيد الحسيب النسيب أحمد الدجاني بن السيد الحسيب النسيب علي بن السيد الحسيب البدري حسن بن السيد ياسين البدري، نور الله ضرائحهم ونفعنا بهم أخذ عن التقي النقي صاحب الورع والعفاف والفضل والفضيلة والإنصاف سيدي عمر بن سيدي الشيخ بدر الدين عمر العادلي، وهو أخذ عن خليفة أبيه الأكبر صاحب الحال الأظهر، والمقام الأفخر بقية العارفين بالله سيدي عبد اللطيف، وهو أخذ عن الإمام الأكمل قدوة الكمال البارز بروح الحياة لمن طلب واستكمل، العارف بالله تعالى القطب المكين سيدي الشيخ بدر الدين العادلي (رحمه الله تعالى) ونفع به، وهو أخذ عن العالم الرباني القطب الأوحد سيدي أحمد ابن أبي العباس الحريثي، وهو أخذ عن سيدي العالم بالله على ابن خليل المرضعي، وهو أخذ عن سيدي أبي عبد الله محمد بن شعيب المغربي، وهو عن سيدي محمد ابن عبد الدائم، وهو عن سيدي حسن التستري، وهو عن الشيخ جمال الدين يوسف بن عبد الله الكوراني، وهو عن الشيخ نجم الدين محمود الأصفهاني، وهو عن الشيخ بدر الدين محمود الطوسي، وهو من الشيخ نور الدين عبد الصمد النطيري، وهو عن الشيخ نجيب الدين علي بن برغش الشيرازي، وهو عن الشيخ شهاب الدين عمر بن محمد السهروردي، وهو عن عمه أبي النجيب ضياء الدين عبد القادر السهروردي، وهو عن الشيخ عبد القادر الجيلاني (قدس الله سرهما) بسندهما المعروف الآتي إن شاء الله تعالى، وقد سبق أحدهما.

وكذا سنَدُنا من طريق سيدنا وشيخنا من انحصرت ذريته بكرم الله في صلبنا قدوة الكمّل، وإمام أهل التقي الشيخ أحمد بن علي بن عبد القدوس بن سيدنا الشيخ الكبير محمد بن أحمد ابن علي القرشي العباسي الشناوي جامع السلاسل الأحمدية[1].....

---

(١) نسبةً إلى أحمد بن إدريس الحسني صاحب الطريقة الأحمدية الإدريسية المنتشرة في المغرب والسودان=

والشاذلية[1] والرفاعية[2]، والقادرية[3]، والوفائية[4]، والقشيرية[5]، والنقشبندية[6]، وسائر الخرق الجنيدية[7] والخضرية[8] والالياسية، والرتنية، والأويسية، والجشبية، والفردوسية بأسانيده إلى جده سيدي الشيخ محمد الشناوي الكبير قدس سره على عدة طرق منها ما ذكر بيعة وإلباساً وتلقينا الذكر.

فمن ذلك ما ذكره شيخنا أبو المواهب أحمد بن علي الشناوي العباسي (قدس سره) في كتابه بيعة الإطلاق وتلقين الذكر والمصافحة والمشابكة عن صهري سيدي أبي المحامد يوسف

=وغيرهما. ولد بفاس وانتقل إلى مكة ثم رحل إلى اليمن فسكن صبياً إلى أن مات. وهو جد الأدراسة الذين كانت لهم إمارة عسير ونواحيها وكان صوفيا على دين ابن عربي. له عدة كتب منها العقد النفيس، والسلوك وروح السنة توفي سنة ١٢٥٣ هـ. ينظر: محبة الرسول بين الإتباع والابتداع عبد الرؤوف محمد عثمان: ص/ ٢٥٣.

(١) نسبة إلى أبو الحسن علي بن عبد الله بن عبد الجبار الشاذلي المغربي، رأس الطريقة الشاذلية وإليه تنتسب. انظر: ترجمته في معجم المؤلفين: ٧ / ١٣٧.

(٢) نسبة إلى أحمد بن علي بن يحيى الرفاعيّ الحسيني، أبو العباس: الإمام الزاهد، له (البرهان) و(والطريق إلى الله) (٥٧٨هـ). ينظر: الأعلام، للزركلي: ١/ ١٧٤، ومعجم المؤلفين: ٢/ ٢٥.

(٣) نسبةً إلى عبد القادر بن موسى بن عبد الله الجيلي أو الجيلاني أو الكيلاني، وهو شيخ الطريقة القادرية من كبار الزهاد، له كتاب (المغني) (ت: ٥٦١هـ). ينظر: شذرات الذهب ٤/ ١٩٨ ٢٠٢، والأعلام، للزركلي: ٤/ ٤٧.

(٤) نسبة إلى أبي الأنوار محمد بن محمد الأوسط بن محمد نجم ينتهي نسبه إلى الحسن المثنى بن الحسن السبط بن سيدنا على بن أبى طالب (ﷺ)، له (نفائس العرفان من أنفاس الرحمن)، و(مناهل الصفا) (ت: ٧٦٥هـ). ينظر: معجم المؤلفين: ١٢/ ١٢٩.

(٥) نسبة إلى عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة أبو القاسم القشيري إمام الصوفية، وصاحب الرسالة القشيرية في علم التصوف، ومن كبار العلماء في الفقه والتفسير والحديث والأصول والأدب والشعر، (ت: ٤٦٥ هـ)، الملقب بـ "زين الإسلام، له (الرسالة القشيرية) و(لطائف الإشارات). ينظر: طبقات الشافعية، للسبكي: ٥/ ١٥٣، وسير أعلام النبلاء: ١٨/ ٢٢٧.

(٦) نسبة إلى خواجه بهاء الدّين محمد بن محمد النقشبندي. ينظر: الشقائق النعمانية: ١/ ١٥٤.

(٧) نسبةً للجنيد (رحمه الله) سبق التعريف به.

(٨) الطريقة الخضرية: تنسب إلى الخضر - عليه السلام - وانتشرت حديثاً، وليس لها شيخ معترف به باقي شيوخ الطرق الصوفية.

جمال الدين ابن سيدي علي داغر الرفاعي، سبط سيدي محمد الشناوي وقد أجازه جدّه لامه سيدي الشيخ محمد الشناوي إجازة عامة على رؤوس الأشهاد في الروضة المشرفة، وقال ذلك عن إذن نبوي، وكان والده سيدي علي داغر (رحمه الله) موسوي المشهد من حدق فيه ذهب ببصره، وأخذت أيضاً ذلك من والدي أبي الحسن علي عن الشيخ عبد الوهاب الشعراني، والشيخ عمر قال ألبسنا الشيخ صالح قال: ألبسني الفتى أحمد بن إبراهيم بن بهادر، قال: ألبسني الشيخ علي البليسي، قال: ألبسني الشيخ عبد العال، قال: ألبسني سيدي أحمد البدوي (قدس سره).

وقال بعد ذكر عهود ووصايا ذكرها في بيعة الإطلاق قبل هذا ما نصه: هذا ما عاهدني عليه عين أعيان المحققين ونور أبصار العارفين والدي أبي الحسن علي، وهو عن والده سيدي عبد القدوس، وعن سيدي عبد الوهاب الشعراني كلاهما عن قطب الأقطاب ونظام دوائر الأحباب صرح احتواء المشاهد وعرش استواء الموارد وفرش اجتلاء المحامد، سيدي محمد الشناوي، وهو عن والده عين أعيان أهل العرفان وعرش استواء الرحمن سيدي أحمد البطل الشناوي الشهير لغلبة صمته بالأخرس، وهو عن والده زمزم الأسرار ومعدن الأنوار سيدي علي، وهو عن ناطقة الوجود ودائرة الشهود سيدي عبد الله الشناوي، وهو عن جده لأمه سيدي عمر الشناوي الشطوحي الشهير بالأشعث، وهو عن جده الفرد الحجاج والكوكب الدري الوضاح الغوث الغيث النور العلوي الحبر البحر القطب النبوي سيدي أبي العباس أحمد البدوي (قدس الله روحه) إلى هنا كلامه قدس سره في بيعة الإطلاق، وساق فيها غير ذلك من الأسانيد، ثم قال: ولولا الملالة من الإطالة لأوردنا أسانيده، يعني به جده الشيخ محمد الشناوي (رحمه الله) الفاخرة بمعاجيمها الزاهرة وآياتها الباهرة انتهى.

وكذا سنَدُنا من طريق شيخنا أبي المواهب أحمد بن علي الشناوي (قدس سره) بسنده إلى سيدنا الشيخ محمد الغوث بذلك، وبكتابه الجواهر الخمس بأسانيده المذكورة في كتاب الدرجات له، والاتصال بالغوث من طريق شيخه سلطان العارفين بالله السيد السند صبغة الله بن روح الله الموسوي الحسيني، وهي أربعة عشر سنداً نذكرها هنا تيمّناً لاختصارها، وذكرى بهم وبأسمائهم الكريمة وما يتلوها ونختم الرسالة لأنّهم من كلمات الله التامات المستعاذ بها من كل مكروه عند أولي الألباب، ولا عبرة بغيرهم كما هم عند الله كذلك.

سند السادة الشطارية واتصالنا به

وهو تلقّن الفقير أحمد المذكور، وصافح ولبس وصحِب وأخذ الجواهر الخمس والعلوم الظاهرة والباطنة من والده وقطب دائرة مشاهدة العالم الرباني المنفرد في أوانه بلا ثاني مدَد الكبراء عند النوازل سيدنا أبي المواهب أحمد بن علي القرشي العباسي الشناوي طاب ثراه، وهو تلقن ذلك عن سلطان العارفين بالله سيدنا السيد صبغة الله بن السيد روح الله، وهو تلقن ذلك من الإمام المقدام قدوةِ العلماء الأعلام ومفيد الطالبين في العلم الخاص والعام سيدنا وجيه الدين العلوي، وهو أخذ عن الغوث الجامع للجوامع سيدنا السيد محمد الغوث بن السيد خطير الدين، وهو أخذ عن سيدنا قطب المدار وقدوة المقربين والأبرار المبرور الشيخ حاج حضور طاب ثراه، وهو أخذ عن سيدنا الشيخ هدية الله ويقال هبة الله سر مست، وهو تلقن من سيدنا الإمام قاضن الشطاري، وهو تلقن من سيدي محمد عارف، وهو تلقن من سيدي محمد عاشق، وهو تلقن من الشيخ خدا قلي الماوراء النهري، وهو تلقن من القطب أبي الحسن الخرقاني، وهو تلقن من الشيخ المظفر مولا ترك الطوسي، وهو تلقن من الشيخ الأعرابي يزيد العشقي، وهو تلقن من الشيخ محمد المغربي، وهو تلقن من روحانية سلطان العارفين أبي يزيد البسطامي، وهو تلقن من روحانية الإمام جعفر الصادق، وهو تلقن من الإمام محمد الباقر، وهو تلقن من الإمام زين العابدين، وهو تلقن من الإمام الحسين الشهيد، وهو تلقن من الإمام المرتضى علي بن أبي طالب (ﷺ)، وهو تلقن من النبيّ (ﷺ).

سند شجرة خلافة السادة الحشتية (قدس الله أسرارهم) وضاعف من يد أنوارهم

وهو كما سبق تلقن الفقير أحمد من الولي النحرير والنقاد الخبير ولي الفتح وواهب النصح سيدنا شيخ الإمام الأوحد أحمد بن علي القرشي العباسي الشناوي، وهو تلقن من واحد الجمع وفريد الصنع السيد صبغة الله، وهو من الإمام المقدام وجيه الدين العلوي، وهو من صاحب الآيات البينات وجامع الكلمات التامات سيدنا السيد محمد غوث الله في العالم، وهو من سيدنا نبراس النور في البطون والظهور الحاج، حضور ومن مولانا الشيخ محمد بن غياث، وهو من مولانا الشيخ معين الدين، وهو تلقن من الشيخ حسام الدين المانكبوري، وهو تلقن من الشيخ نور قطب العالم، وهو تلقن من الشيخ عبد اللطيف اللاهوري، وهو تلقن من الشيخ أخي سراج الدين عثمان الأودهي، وهو تلقن من الشيخ نظام الدين الخالدي الدهلوي المعروف بشيخ نظام الأولياء، وهو تلقن من الشيخ فريد الدين شكر كنج، وهو تلقن من الشيخ قطب الدين بختيار الدهلوي، وهو تلقن من الشيخ معين الدين الجشتي، وهو تلقن من الشيخ عثمان الهاروني، وهو تلقن من الشيخ حاج شريف الزندني، وهو تلقن من الشيخ قطب الدين مودود بن يوسف بن محمد بن سمعان الجشتي، وهو تلقن من والده الشيخ يوسف بن محمد الجشتي، وهو تلقن من خاله الشيخ محمد بن أحمد ابدال الجشتي، وهو تلقن من الشيخ أحمد الجشتي وهو تلقن من الشيخ أبي إسحاق الجشتي، وهو تلقن من الشيخ ممشاد العلوي الدينوري، وهو تلقن من الشيخ أبي هبيرة البصري، وهو تلقن من الشيخ حذيفة المرعشي، وهو تلقن من الشيخ السلطان إبراهيم بن ادهم، وهو تلقن من الشيخ فضيل بن عياض، وهو تلقن من الشيخ عبد الواحد بن زيد، وهو تلقن من الشيخ أبي سعيد الحسن بن يسار البصري وهو تلقن من الإمام المرتضى عليّ بن أبي طالب (كرم الله وجهه)، وهو تلقن من رسولِ الله (ﷺ).

وأيضاً سند ثان لشجرة خلافة السادة الجشتية من طريق ثان

وهو كما سبق تلقن الفقير أحمد من سيده ووالده أحمد بن علي (طاب ثراهما)، وهو عن السيد صبغة الله، وهو عن المولى وجيه الدين، وهو عن الفرد الأوحد السيد محمد الغوث، وهو عن نبراس النور الحاج حضور، وهو عن سيدنا هدية الله سرمست، وهو عن الشيخ محمد علاء الدين المعروف بقاضن الشطاري، وهو تلقن من السيد زاهد وهو تلقن من الشيخ محمد عيسى الجونبوري، وهو تلقن من الشيخ فتح الله الجشتي، وهو تلقن من الشيخ صدر الدين شهاب الناكوري، وهو تلقن من الشيخ نصير الدين محمود الاودهي المعروف بجزاع دهلي، وهو تلقن من الشيخ نظام الدين الدهلوي، وهو تلقن من الشيخ فريد الدين شكر كنج، وهو تلقن من الشيخ قطب الدين الدهلوي، وهو تلقن من الشيخ معين الدين الجشتي، وهو تلقن من الشيخ عثمان الهاروني، وهو تلقن من الشيخ حاجي شريف الزندني، وهو تلقن من الشيخ قطب الدين مودود بن يوسف الجشتي، وهو تلقن من والده الشيخ يوسف بن محمد الجشتي، وهو تلقن من خاله الشيخ محمد بن أبي أحمد ابدال الجشتي، وهو تلقن من أبيه الشيخ أبي أحمد الجشتي، وهو تلقن من الشيخ أبي إسحاق الجشتي، وهو تلقن من الشيخ علو مشاد الدينوري العلوي، وهو تلقن من الشيخ خواجة أبي هبيرة البصري، وهو تلقن من الشيخ حذيفة المرعشي، وهو تلقن من السلطان إبراهيم بن ادهم، وهو تلقن من الشيخ فضيل بن عياض، وهو تلقن من الشيخ عبد الواحد بن زيد، وهو تلقن من الشيخ الإمام أبي سعيد الحسن بن يسار البصري، وهو تلقن من الإمام علي المرتضى (كرم الله وجهه)، وهو تلقّن من الحبيب المجتَبى محمد (ﷺ).

سند خلافة
شجرة السادة الفردوسية وسند المشائخ الكبروية

وهو أخذ الفقير أحمد عن والده وسيده أبي المواهب عبد الله أحمد بن علي القرشي العباسي الشناوي، وهو أخذ عن السيد السند المعتمد صبغة الله ابن روح الله، وهو عن واسطة العقد وجيه الدين العلوي، وهو عن الإمام الأعظم السيد محمد الغوث ابن السيد خطير الدين، وهو عن السلطان المبرور ونبراس النور مولانا الحاج حضور، وهو من سيدنا هدية الله سرمت، وهو عن الشيخ محمد علاء الدين، وهو عن الشيخ أيوب البيكاهي، وهو عن الشيخ محمد بهرام البهاري، وهو عن الشيخ حسن بن حسين بن معز شمس البلخي، وهو عن الشيخ حسين بن معز شمس النخشبي، وهو عن الشيخ مظفر شمس البلخي، وهو عن الشيخ شرف الدين أحمد بن يحيى المنيري، وهو عن الشيخ الإمام ركن الدين الفردوسي، وهو عن الشيخ نجيب الدين الفردوسي، وهو عن الشيخ بدر الدين السمرقندي، وهو تلقن من الشيخ شمس الدين الباخرزي، وهو تلقن من الشيخ الإمام ابن الجناب أحمد بن عمر بن محمد بن عبد الله الخوارزمي الخيوفي الشهير بنجم الدين الكبرى، وهو من الشيخ أبي ياسر عمار بن ياسر الدليسي، وهو أخد من الشيخ ضياء الدين أبي النجيب، وهو من عمه الشيخ وجيه الدين أبي حفص عمر، وهو تلقن من الشيخ نجيب الدين محمد بن عبد الله المعروف بعمويه، وهو تلقن من الشيخ أحمد الأسود الدينوري، وهو تلقن من الشيخ ممشاد علو الدينوري، وهو تلقن من سيد الطائفة أبي القاسم الجنيد البغدادي ولبس واستوصى وأوصى إلى آخرهم، وهو من الشيخ سري السقطي، وهو من الشيخ معروف الكرخي، وهو من الإمام علي بن موسى الرضا، وهو من الإمام موسى الكاظم، وهو من الإمام جعفر الصادق، وهو من الإمام محمد الباقر وهو من الإمام زين العابدين، وهو من الإمام الحسين الشهيد رضي الله عنهم، وهو من الإمام المرتضى علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه)، وهو من رسول الله (ﷺ).

سند خلافة شجرة المشايخ السهروردية

تلقّن الفقير أحمد ولبس، واستوصى من الإمام القدوة أحمد بن علي، وهو من ولي الله سيدنا السيد صبغة الله ومن قدرة الكبراء وجيه الدين العلوي، وهو من مفيض الكمالات الربانية على الطلاب السيد محمد الغوث، وهو من سلطان الموحدين الحاج حضور، وهو من الإمام هدية الله سرمست، وهو من الجامع الشيخ محمد علاء الدين قاضن الشطاري، وهو من الشيخ ركن الدين الجونبوري، وهو من الشيخ تاج الدين، وهو من الشيخ جلال الدين البخاري مخدوم جهانيان، وهو من الشيخ ركن الدين أبي الفتح، وهو تلقن من والده الشيخ صدر الدين أبي الفضل، وهو تلقن من والده الشيخ أبي البركات بهاء الدين زكرياء الملطاني، وهو تلقن من شيخ الشيوخ السيد شهاب الدين عمر السهروردي، وهو تلقن مع عمه الشيخ الإمام أبي النجيب عبد القاهر السهروردي، وهو أخذ من عمه الشيخ وجيه الدين أبي حفص عمر السهروردي، وهو أخذ من والده الشيخ محمد المعروف بعمويه، وهو من الشيخ أحمد الأسود الدينوري، وهو من الشيخ ممشاد علو الدينوري، وهو تلقن من الإمام سيد الطائفة أبي القاسم الجنيد البغدادي، وهو من الشيخ السرى السقطي، وهو من معروف الكرخي، وهو من الشيخ داود الطائي، وهو من الشيخ حبيب العجمي، وهو من الشيخ حسن البصري، وهو من الإمام علي المرتضى (كرم الله وجهه)، وهو من النبي (ﷺ).

سند شجرة خلافة الباس المرقعة من السادة السهروردية

أخذ الفقير أحمد ذلك كذلك ولبس الخرقة من والده أحمد وألبسه قميصه وجبّته السوداء، وولي الفقير كوفية أبيه سيدي علي التي ألبسه إياها وشيئاً من لباسه أيضاً وعمامته الشملة السوداء العباسية، ثم الخلوتية وغير ذلك وأخص منه، وهو أخذ ولبس عن واحد العين السيد صبغة الله، وهو عن السابق المسابق المولى وجيه الدين، وهو عن الفرد الأوحد السيد محمد الغوث، وهو من قدوة الكبراء في البطون والظهور الحاج حضور، وهو من الشيخ أبي الفتح هدية الله سرمست، وهو أخذ من الشيخ علاء الدين قاضن، وهو من الشيخ (رحمة الله)، وهو من الشيخ عمر، وهو من الشيخ مروان، وهو من الشيخ فخر الدين، وهو من الشيخ الأجل حسين دهكربوش، وهو من الشيخ سلمان دهكربوش معناه (لابس المرقعة)، وهو أخذ من الشيخ تقي الدين، وهو تلقّن من الشيخ أحمد الدمشقي، وهو تلقن من الشيخ شهاب الدين عمر السهروردي، وهو من عمه الشيخ ضياء الدين أبي النجيب عبد القاهر السهروردي، وهو من عمه الشيخ وجيه الدين أبي حفص عمر، وهو أخذ من والده الشيخ محمد المعروف بعمويه، وهو من الشيخ أحمد الأسود الدينوري، وهو من الشيخ ممشاد الدينوري، وهو من سيد الطائفة أبي القاسم الجنيد البغدادي، وهو من خاله السري السقطي، وهو من الإمام معروف الكرخي، وهو من الإمام داود الطائي، وهو من الشيخ حبيب العجمي، وهو من الشيخ حسن البصري رضيع أم المؤمنين أم سلمة زوج رسول الله (ﷺ)، وربيب أسرار النبوة، وهو من الإمام عليّ بن أبي طالب (رضي الله عنه)، وهو من رسولِ الله (ﷺ).

سند شجرة خلافة مشائخ الطبقات أعني القادرية قدس الله أسرارهم تلقيناً وإلباساً

وهو أخذ الفقير أحمد ذلك عن والده المذكور في كل السطور الإمام أبي المواهب أحمد بن علي الشناوي، وهو عن السيد السند صبغة الله، وهو عن الشيخ المعتمد وجيه الدين العلوي، وهو عن السيد محمد الغوث، وهو عن الإمام مظهر النور الحاج حضور وهو عن الشيخ هدية الله سرمست، وهو عن الإمام الشيخ محمد علاء الدين المعروف بقاضن القادري، وهو من الشيخ عبد الوهاب القادري، وهو من الشيخ عبد الرؤوف القادري، وهو من الشيخ محمود القادري، وهو من الشيخ عبد الغفار الصديقي، وهو من الشيخ محمد القادري، وهو من الشيخ علي الحسيني، وهو من الشيخ جعفر بن أحمد الحسيني، وهو من الشيخ إبراهيم الحسيني، وهو من الشيخ عبد الله القادري، وهو من الشيخ عبد الرزاق القادري، وهو من والده قطب الأقطاب وسلطان الأولياء سيدي الشيخ محي الدين عبد القادر الكيلاني (قدس الله سره)، وهو من الإمام أبي سعيد المبارك بن علي بن الحسين بن بندار البغدادي المخرمي، وهو من الشيخ أبي الحسن علي بن أحمد بن يوسف الهنكاري القرشي، وهو من أبي الفرح محمد ابن عبد الله الطرسوسي، وهو من أبي الفضل عبد الواحد بن عبد العزيز التميمي، وهو من والده السيد عبد العزيز بن الحارث التميمي، وهو من الشيخ الجليل أبي بكر الشبلي، وهو من الشيخ أبي القاسم الجنيد بن محمد البغدادي، وهو من السري السقطي، وهو من معروف الكرخي، وهو من الإمام علي بن موسى الرضى، وهو من الإمام موسى الكاظم، وهو من الإمام جعفر الصادق، وهو من الإمام محمد الباقر، وهو من الإمام زين العابدين، وهو من الإمام حسين الشهيد رضي الله عنهم، وهو من أبيه علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه)، وهو من سيد المرسلين وخاتم النبيين محمد (ﷺ) وعليهم أجمعين والهم وصحبهم والتابعين لهم أبداً، انتهى.

سند شجرة خلافة السادة الطيفورية

المعروفة بشاه مدارية أعني الصديقية لنسبتها إلى الصديق (ﷺ) وقدّس أسرارهم، وهو أخذ الفقير الحقير أحمد التلقين والوصية بذلك من إسناده أحمد الشناوي، وهو من السيد صبغة الله الحسيني، وهو من المولى سلطان العلماء وجيه الدين العلوي، وهو من القطب السيد محمد الغوث، وهو من سلطان الطريقة الحاج حضور، وهو من الشيخ هدية الله سرمست، وهو من الشيخ الكبير محمد علاء الدين قاضن الشاهداري، وهو من الشيخ حسام الدين الشاه مداري، وهو تلقن من الشيخ بديع الدين الشاه مدار، وهو من الشيخ طيفور الشامي، وهو من الشيخ يمين الدين الشامي، وهو من الشيخ الأجل عبد الله حامل راية النبي (ﷺ)، وهو من خليفة رسول الله أبي بكر الصديق (ﷺ)، وهو تلقن من النبي (ﷺ).

سند شجرة خلافة المشائخ الأويسية نفع الله بهم أجمعين

وهو أخذ الفقير أحمد من وليه أحمد الشناوي، وهو من وليه صبغة الله، وهو من وليه وجيه الدين العلوي، وهو من وليه السيد محمد الغوث، وهو من وليه الحاج حضور، وهو من الشيخ علي الشيرازي، وهو من الشيخ عبد الله المصري، وهو من الشيخ هرم بن حيان، وهو من الشيخ أبي عمران بن زيدان، وهو من الشيخ أويس القرْني (طاب ثراه) وهو من النبي محمد (ﷺ) هكذا، وقد نقل عن أويس القرني أنه حضر مع النبي (ﷺ) واقعة أحد وأنه قال وأقسم أنه ما وطئ ظهر رسول الله (ﷺ) حتى وُطئَ ظهري، وما كسرت رباعيته حتى كسرت رباعيتي، وهذا وإن كان في ثبوته مقال عند النقال لكن اجتماعه بعمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب (رضي الله عنهما) كلام فيه كما سيجيء نقله عن المواهب اللدنية أن هذه صحبة لا مطعن فيها.

وقال الحافظ نور الدين أبو الفتوح أحمد بن عبد الله بن أبي الفتوح الطاووسي في رسالته جمع الفرق لرفع الخرق أن النبي (ﷺ) أوصى خليفتيه أميري المؤمنين عمر وعلياً (رضي الله عنهما) بلقائه، والتبرك بدعائه وتبليغ السلام منه إليه وأعطاهما خرقة ليلبساه إياها فوافياه بوادي أراك بعرفات، وتقربا إليه وألبساه إياها، انتهى.

وسيجيء بعض أسانيدنا إلى أويس القرني من غير طريق الغوث (قدس سره) في أواخر الكتاب إن شاء الله تعالى.

سند شجرة خلافة المشائخ الفردوسية (ﷺ) جميعهم والمشائخ الكبروية أيضاً

تلقن الفقير أحمد لذلك كذلك من وليه في الله عبد الله أحمد بن علي العباسي، وهو من السيد صبغة الله، وهو من المولى وجيه الدين العلوي، وهم من السيد الأوحد محمد غوث العالم، وهو من أستاذه ظهور الحاج حضور، وهو من الشيخ هدية الله سرمست، وهو من الشيخ محمد علاء الدين قاضن، وهو من الشيخ علي البداوني [1]، وهو من الشيخ كريم الدين الأودهي، وهو من الشيخ جمال الدين، وهو من الشيخ شرف الدين أحمد بن يحيى المنيري، وهو من الشيخ نجيب الدين الفردوسي، وهو من الشيخ ركن الدين الفردوسي، وهو من الشيخ بدر الدين السمرقندي، وهو من الشيخ سيف الدين الباخرزي، وهو من القطب الأجل نجم الدين الكبرى، وهو من الشيخ عمار بن ياسر، وهو من أبي النحيب ضياء الدين عبد القاهر السهروردي، وهو من عمه الشيخ وجيه الدين أبي حفص عمر، وهو من والده الشيخ محمد بن عبد الله المشهور بعمويه، وهو من الشيخ أحمد الأسود الدينوري، وهو من الشيخ ممشاد الدينوري، وهو من أبي القاسم الجنيد البغدادي، وهو من الشيخ السري السقطي، وهو من الشيخ معروف الكرخي، وهو من الإمام علي بن موسى الرضى، وهو من الإمام موسى الكاظم، وهو من الإمام جعفر الصادق، وهو من الإمام محمد الباقر، وهو من الإمام زين العابدين، وهو من أبيه الإمام الحسين الشهيد (ﷺ)، وهو من أبيه علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه)، وهو من رسول رب العالمين محمد المجتبى (ﷺ).

(١) بدوان: اسم إقليم في الهند.

سند شجرة خلافة المشائخ الخلوتية قدس الله أسرارهم

تلقى ذلك الفقير أحمد بن محمد بن يونس الملقب بعبد النبي الدجاني المدني الأنصاري من والده أبي المواهب أحمد بن علي العباسي الشناوي القرشي، وهو من السيد السند النجيب صبغة الله، وهو من مشائخ العلماء الأعلام وجيه الدين العلوي، وهو من السيد محمد الغوث، وهو من الشيخ حضور، وهو من الشيخ أبي الفتح هدية الله سرمست وهو من الشيخ محمد علاء الدين قاضن الخلوتي، وهو من الشيخ عبد الله الشطاري، وهو من الشيخ مظفر الكركاني، وهو من الشيخ إبراهيم العشقاباذي، وهو تلقن من السيد نظام الدين الحسيني، وهو تلقن من الشيخ محمد الخلوتي، وهو من الشيخ نجم الدين الكبري الخوارزمي الخيوفي، وهو من الشيخ عمار بن ياسر الأندلسي، وهو من الشيخ ضياء الدين ابن النجيب عبد القاهر السهروردي، وهو من الإمام الغزالي، وهو من الشيخ أبي بكر النساج، وهو من الشيخ أبي القاسم علي الكركاني، وهو من الشيخ أبي عثمان المغربي، وهو من الشيخ أبي علي الكاتب، وهو من الشيخ أبي علي الروذباري، وهو من سيد الطائفة أبي القاسم الجنيد البغدادي، وهو من خاله سري السقطي، وهو من الشيخ معروف الكرخي، وهو من الشيخ داود الطائي، وهو من الشيخ حبيب العجمي، وهو من الإمام حسن البصري، وهو من الإمام عليّ بن أبي طالب (ﷺ)، وهو من النبيّ (ﷺ).

سند شجرة خلافة المشائخ الهمدانية
أتباع سيدي الشيخ علي الهمداني الموحد الفرداني (قدس الله أسرارهم)

تلقن الفقير المسكين أحمد بن محمد من وليه ونقطة دائرته الأوحد سيدنا أحمد بن علي الشناوي، وهو من السيد الأمجد صبغة الله، وهو من العالم الرباني وجيه الدين، وهو من جمال المملكة الغوثية السيد محمد غوث، وهو من سلطان الموحدين الحاج حضور، وهو من أبي المعالي هدية الله سَرمست، وهو من الشيخ قاضن الهمداني، وهو من الشيخ عبد الله الشطاري، وهو من شيخ الشيوخ السيد علي الهمداني، وهو من الشيخ زين الدين الخواجي، وهو من الشيخ عبد الرحمن القرشي، وهو من الشيخ جمال الدين يوسف بن عبد الله الكوراني العجمي، وهو من الشيخ نجم الدين محمود الأصفهاني، وهو من الشيخ عبد الصمد النطيري، وهو من الشيخ نجيب الدين علي بن برغش الشيرازي، وهو من الشيخ الكبير مقتدى الكبراء شهاب الدين أبي حفص عمر البكري السهروردي، وهو من عمه الشيخ الكبير أبي النجيب ضياء الدين عبد القاهر السهروردي، وهو من عمه الشيخ وجيه الدين عمر السهروردي، وهو من والده الشيخ محمد عمويه، وهو من الشيخ أحمد الأسود الدينوري، وهو من الشيخ ممشاد الدينوري، وهو من الإمام أبي القاسم الجنيد البغدادي، وهو من السري السقطي، وهو من الشيخ معروف الكرخي، وهو من الشيخ داود الطائي، وهو من قدوة الأكابر حبيب العجمي، وهو من سيد التابعين رضيع أم المؤمنين أم سلمة (رضي الله عنها) حسن البصري، وهو من يعسوب الموحدين علي بن أبي طالب (ﷺ)، وهو من سيد الأولين والآخرين وحبيب رب العالمين محمد المصطفى (ﷺ).

سند شجرة خلافة المشايخ النقشبندية

أخذ الفقير الذليل أحمد بن محمد من وارث الكمالات الإلهية والأخلاق المحمدية صهره أبي المواهب أحمد بن علي الشناوي (رحمه الله)، وهو أخذ عن السيد الأوحد صبغة الله، وهو عن الوجيه عبد مولاه سيدنا وجيه الدين العلوي، وهو عن السيد الأوحد قطب العالم السيد محمد الغوث، وهو عن شيخه الحاج حضور، وهو عن شيخه هديّة الله سرمست، وهو عن شيخه الشيخ محمد علاء الدين المعروف بقاضن الشطاري، وهو من الخواجة عبيد الله أحرار، وهو من مولانا يعقوب الجرخي، وهو من قطب العارفين الخواجة بهاء الحق والدين محمد بن محمد البخاري المعروف بالنقشبند، وهو من شيخه السيد أمير كلال السوخاري، وهو من الخواجة محمد بابا السماسي، وهو من الخواجة علي الراميتني، وهو من الخواجة محمود الانجير فغنوي، وهو من الخواجة عارف الريوكري، وهو من الخواجة عبد الخالق الغجدواني، وهو من الخواجة يوسف الهمداني، وهو من الشيخ أبي علي الفارمدي، وهو من الشيخ أبي القاسم الكركاني الطوسي، وهو من الشيخ أبي الحسن الخرقاني، وهو من روحانية سلطان العارفين أبي يزيد البسطامي، وهو من روحانية الإمام جعفر الصادق، وهو من الشيخ قاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، (ﷺ)، وهو من سلمان الفارسي، وهو من خليفة رسول الله (ﷺ) أبي بكر الصديق (ﷺ)، وهو من النبيّ (ﷺ) وشرف وكرم وعلى جميع الأنبياء والمرسلين وآلهم وصحبهم وتابعيهم إلى يوم الدين عدد خلقه آمين.

وبهذا انتهى ذكر السلاسل المذكورة وفيها مع ما يأتي يجتمع غالب سلاسلُ أهل طريق الله تعالى.

قال شيخنا الشيخ الإمام أحمد بن علي الشناري (رحمه الله تعالى)، ومن خطّه الشريف نقلت ما نصه: لقيت بمكة المشرفة الشيخ محمود، وهو أخذ عن الشيخ الأكمل علاء الدين شاه قاضن، ولقيَ ولد عمه الشيخ طيفور، وهو أخذ عن والده الشيخ عبد الرحمن، وهو أخذ عن الشيخ علاء الدين شاه قاضن، وهو منتسب إلى الشرف المنيري بن القطب سيدي يحيى المنيري الأنصاري إلى أبي الدرداء (ﷺ) وكلهم بيت علم وولاية ودين ورعاية وكل منهم آية وأي آية عصمنا الله بحبهم وجعلنا من حزبهم، انتهى.

وهذا رفعه له في السند إلى مكان شيخ شيخ سيدنا محمد غوث الله وبه يتصل سندنا هذا إليه، والحمد لله على آلاء الله الكريمة بالصلة في شجرة خلفائه الراشدين وكلماته التامات المستعاذ بهم من المكروه الحسي والمعنوي، والحمد لله لا نحصى الثناء له، وهو الولي الحميد، ورضي الله عن جميعهم آمين، وأحيا الله بهم من بايعنا في الله لله، وتلقن ذكر الله محي ذكرهم، ومظهر ثناهم حمداً لله وشكراً ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾ إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ﴾[1].

وقد جاءتنا من الله بشرى برؤيا صالحة من راءٍ صالح منذُ أعوام سابقة بأنّ من تلقن منا الذكر ثبت الله إيمانه، والحمد لله المحمود بكل لسان، والمعبود بكل مكان، وقبلَ الأكوان، ونسأل الله بكرمه الماضي وإحسانه القديم أن يجعل ذلك كذلك في كل من تلقن منا ولقّن جارياً بفضله، وما ذلك على كرمه بعزيز كما يعلمه كل عزيز.

(١) سورة الأعلى: الآيات/ ١٦ -١٨.

وأما سند الخلافة الباطنية

المتصلة بسيدنا السيد محمد الغوث من أكابر أولياء الله أهل البرزخ كأبي يزيد البسطامي، والشيخ عبد القادر الجيلاني، والشيخ شهاب الدين السهروردي، وغيرهم من ذكر اجتماعه بهم في كتاب الدرجات له، فكذلك هي متصلة بنا على السند المذكور إليه أولا فإنّ السيد الغوث ذكر في كتاب الدرجات له أنه اجتمع بهم والبسوه الخرقة أعاد الله علينا من بركاته وبركاتهم أجمعين في الدارين آمين.

وقد أجزت بهذه الأسانيد الشريفة السابقة منها، واللاحقة الصحيحة أن ينسب إليها كل آخذٍ عنا، وخصوصا أخصّ أولادنا إبراهيم بن حسن، وعيسى بن محمد الجعفري الثعلبي، ومن بارك الله لنا فيهم أجمعين ممن والاهما كالسيد عبد الله بن أحمد، وغيره من السادة ومحمد بن إبراهيم وصالح وغيرهم بالتلقين أو البيعة أو الإلباس أو كل ذلك أو غالبه على قاعدتهم في ذلك ورابطتهم الموصلة إلى ذلك بأذن الله تعالى.

وشرطه في ذلك إجمالاً أن يجتنب المنهيات نهيَ تنزيه أو تحريم وأن يأتي المأمورات أمر إيجاب أو ندب بما استطاع بها للطريقة والشريعة بقدر وسعه لا بقدرهما، مستعينا بالله في ذلك فإذا أتى على ذلك صحّ انتسابه، وانتساب من أخذ عنه إلى السلاسل المذكورة، وربما كان الأخذ عنه أوسع دائرة في القابلية منه كما ورد في السنة «ربَّ مبلغٍ أوْعَى مِنْ سامِع، ورُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ لَيْسَ بِفَقِيهٍ، وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إلى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ»[1] فالانتساب إليه في ذلك صحيح كيف كان انتسابه تلقينا للذكر أو إلباساً للخرقة ما كانت من اللباس أو إعطاء للبيعة على المحافظة على الطاعة واجتناب المعاصي بإذن الله تعالى كما قال تعالى: ﴿عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ﴾[2] الآية.

(١) رواه الحاكم في المستدرك، كتاب العلم: ١/ ١٦٢، برقم (٢٩٤) قال الذهبي: على شرط البخاري ومسلم.

(٢) سورة الممتحنة: من الآية/ ١٢.

فصل في احتياج المتلقي للتلقين للعزلة

وإذا كان المتلقي للتلقين والصحبة متجرداً أو منقطعاً لله بذلك ويريد وجهه، احتاج إلى العزلة فإنْ كان قروياً فلا بدّ له من محل يليق به للانقطاع والذكر في بيته، أو غيره مما يساعده على ذلك حين انقطاعه، وحين خروجه لقضاء حاجته؛ لئلا يكون هوياً ولا مشاركاً للناس فيما يخصه بل يكون محله محل عزلة لا يدخل فيه غيره إلا هو أو شيخه إنْ كان حاضراً، وأن يكون ضيقاً مظلماً بعيداً من الناس قريباً منه وأن يكون له خادماً يخدمه لأموره إذا أراد الخلوة أو العزلة بين يديها تقرباً إلى الله وتحبباً إن كان له إلى ذلك احتياج وإلا بأن يكفى نفسه فهو أتمّ له فإن أراد أنشاء محل له فيكون بابه قصيراً ويكون طوله في العلو طول قامته ومديده للفوق لا غير وعرضه بما يسع حركته عند قيامه وقعوده للصلاة وغيرها ويكون طول أسفله طول قامته إذا نام حيث يصير لا ضيق به عليه وأن يديم الذكر ويلازمه بذكر الأم أو غيره ويكون على طهارة، ولا ينام إلا عن غلبة أو عذر ملجئ لذلك لا ترفها، ولا عادة وأن يكون صائماً؛ لأنه أعون له على ما يريده من رياضةِ نفسه وتهذيب أخلاقه وحصول اليقين والطمأنينة إلى الله، لما ورد أن الصيام مفتاح العبادة لأخذه الفضلات وإذهابه الغفلات فإذا حسنت بذلك سيرته وتطهرت من لوث الاعتماد على الأغيار سريرته ودام ذكره ظفر بمطلوبه بإذن الله تعالى فلا يفارق ذلك متى سهل عليه بإذن الله تعالى طريقه وذهب أو قل تعويقه، فإنّ ذلك عون له من عند الله تعالى أمدّه الله تعالى به ودعاه عليه إلي حضرته فليشكر الله بدوام العمل مخلصاً له به فإنه قبلة المتوجهين، فلا يصرف وجه توجهه عنه إلى غيره، فربما فتح الله عليه بنوره في أقل الزمن، وربما توسط أو طال إلى الأربعين أو أكثر وقلّ ما خلص لله فيها العبد متوالياً أو انقلب خائباً كما ورد: «مَا أَخْلَصَ عَبْدٌ أَرْبَعِينَ صَبَاحاً إلا ظَهَرَتْ يَنَابِيعُ الْحِكْمَةِ مِنْ قَلْبِهِ عَلَى لِسَانِهِ»[1]، وقد يكون بعض الأربعين له قائماً مقام الأربعين عند غيره أو الأربعينات متى توفر الاستعداد والقبول وجمع الهم على الله بلا تفرقة ولا تشويش، وقد تكون الأربعينات المتعددة بعض

---

(١) وقفت عليه في كنز العمال مروياً عن طريق عبد الله بن مغفل برقم (١٩٧٣٤) والحديث صحيح لا غبار عليه، قال الهيثمي (رحمه الله) : رواه أحمد الطبراني في الكبير والأوسط ورجاله ورجال الصحيح.

الأربعين المذكورة عند التفرقة والشتات وعدم جمع الهم، وقد يلابسه عائق لا يشعر به فيمنعه النفع بذلك لوقوفه معه وهو لا يشعر به، فدليله عليه إن لم يكن تحت نظر شيخه فعل المأمور به، وعدم ترقب حصول الموعود عليه فعبارته بالإشارة إليه كمن سافر للحج وقطع الفيافي وبذل النفس والمال وحضر الموقف ولم يرتفع عن بطن عرنة أو وادي محسر بجمع، فضرب الله ذلك مثالاً لأهل السير المعنوي بالسير الحسي ومنازله، فليحذر الناصح نفسه ذلك، وليكن على بينة من دينه وسيره فإنه معاملة ودين الله في عزيمة الشريعة المسماة طريقة عند خواص السائرين إلى الله عليها، ولا يسرق السالك من دينه شيئاً كما ورد: «أَسْرَقَ النَّاسِ مَنْ سَرَقَ صَلَاتَهُ» قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَكَيْفَ يَسْرِقُ صَلَاتَهُ؟ قَالَ: «لَا يُتِمُّ رُكُوعَهَا وَلَا سُجُودَهَا، وَأَبْخَلُ النَّاسِ مَنْ بَخِلَ بِالسَّلَامِ»[1].. الحديث، والسلامة من المخالفات من السلام، ولا يزني بشيء من أبعاضه ولا من خواطره؛ لأن التعرض بأبعاضه موالجة مع الأمور كموالجة الزنا بقلبه وبضعه، ولا يقبل فعله بالإفساد له فإنه ولده كولده الحسي من فعله وكسبه كما ورد ولا يأتين ببهتان يفترينه بادعاء ما ليس له أو ما ليس عنده أو ما لم يصل إليه قلّ أو جلّ بين يديه حالاً، ولا بين يدي مسيره إلى حيث المنقلب مآلاً، ولا يعصي ولاةَ أمره في معروف إجمالاً، ولو رآه مخالفاً عنده لظاهر الأمر فإنه موافق لباطنه كخرق السفينة، وقتل الغلام، وإقامة الجدار، وقس به ما والاه فإنّ هذه المذكورات دفتر الطريق لمن سلكها وعلمه الله من لدنه علماً، فطريق أهل الله طريق الخضر وواقعهم واقعه من أيقن وأبصر، والله اعلم.

(١) رواه الطبراني في الأوسط، باب من اسمه جعفر: ٣/ ٣٥٥، برقم (٣٣٩٢) قال الهيثمي في المجمع: ٢/ ١٢٠: رِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ.

فصل في الدخول في الطريقة

اعلم أن الدخول في الطريقة الكريمة المنسوبة إلى أهل الله بالتلقين المذكور والصحبة والتأديب والوصية والمبايعة والإلباس والانتفاع بعزائمها هو كالدخول في الشريعة أولا بذكر (لا إله إلا الله) فكما يغرس الإسلام في قلب المؤمن القائل مجرد قوله لا إله إلا الله محمد رسول الله إذا تطابق لسانُه مع قلبِه وينتقل بمجرد القول من الكفر إلى الإسلام، ويحرز النفس والمال والعرض والولد، ويتبوّأ بها من جهة الأعمال الصالحة حالا حيث يشاء من قليل ذلك وكثيره، فلم يكفره بها كذلك المتطرق سبيلة التلقين بلا إله إلا الله، وقال (ﷺ) في الحديث الصحيح المتواتر عنه: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إله إلا الله وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ فإذا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إلا بِحَقِّ الإسلام وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ»[1].. الحديث فمجرد القول إذا قال ذلك لقوله (ﷺ) (فإذا قالوها) عُصموا وبقي عليهم حقوقها قصاصاً بقدر الحق، كذلك سالك الطريقة إذا قال ذلك بالتلقين عن أهله أو عن الآخذين عنهم كالشريعة حذواً بحذو صحّ انتسابه إليهم وإن كان قاصراً وعُصم بالتلقين من الانقطاع إلى الله، وقوصص بالحق على قدره ما دام ملتزماً للأمر، فإذا تبرأ منه كان ردةً له وردة عنه فليحذر ذلك، فالعقود الشرعية كلها أقوال عن اعتقادات وتتبعها الأفعال دائما والطريقة كذلك لا غير فتنبّه له واعتصم بالله، فالصلاة تدخلها بالنية ومفتاحها التكبير وتحليلها التسليم، وقس به فالدخول في الخير والشر بالنية والقول قبولاً أو رداً دليلها، فكذلك الطريق فلا تستقلّه والإقبال على ذلك فإنه من مهمات الدين عند أهله، والذين أوتوا العلم درجات، فالدخول بالنية والخروج وإن لم يتكلم فله من ذلك نصيب، والكلام في بعض الأماكن شرط وفي بعضها شرط لما نوى، فاعرف حدود الله عند الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة لتقف عندها إذا بصرت بها كما تقف بقدميك عند المانع لك عن السلوك إلى ما وراءه، وذوق العلم كذوق الطعام الذي تتغذى به فإنّ العلم غذاء روحك ومعراجها في حضرات القرب في الأولى والأخرى فميّز مالحه من معتدله وتفهّمْه كما تميز اللقمة من الطعام كذلك

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الإيمان: ١/ ٢٢، برقم (١٦) عن ابن عمر (رضي الله عنهما).

إن كنت من طلاب هذا الشأن، ومن الله الإعانة وله العبادة، وهو المستعان وعليه التكلان، وقد أدليت بك على متن الطريق وذللت لك صعابا عزّ ببذلها كثير من أهل التحقيق في الطريق ورجوت نفعك في الله وأن تكون أيها الأخ على بصيرة في دين الله فإن من جهل شيئاً عاداه ومن علمه والاه فأدِم الإقبال بذلك على الله مستجيباً الدعوة بلاغ قوله تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ﴾[1] وقوله تعالى: ﴿قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾[2].

(١) سورة يوسف: من الآية/ ١٠٨.

(٢) سورة النساء، الآية/ ٧٧.

فصل في إرادة المريد العزلة أو الخلوة

وإذا عزمَ الأمر للطالبِ وصدق الله في توجهه إليه وأراد العزلة والخلوة الأربعينية أو ما دونها من السبعة أو العشرة أو العشرين أو الثلاثين أو دون ذلك أو فوقه وأحب معاناة الغذاء نظر إلى ما كان أصلح له في تناوله بحسب ما يعتاده من ملاءمته لمزاجه، وما هو أمنع من الرياح وكثرة الحاجة إلى البراز، والوضوء قبل ذلك فإن أسعفه وإلا أخذ من اللوز والبندق والحمص المقلي والسمسم من كل بالسوية قدر المدة والحاجة ويقشر اللوز والسمسم، ويحمس قليلا ويدقّ الجميع ناعماً أو جريشاً مع السكر فإنْ نعّم قرص أقراصاً بقدر الحاجة وإن كان جريشاً سفّ منه بقدر الحاجة وإن لم يكن ثم سكر فزبيب بمثل ذلك أو بمثلَيه، ويكون استعماله بالوزن إما تحديداً أو تقرباً بيده أو بماعون يستكفى به كزبدية صغيرة أو مثل ذلك، ويكون على حسب معرفته بمزاجه فإن كان يكفيه في اليوم والليلة مثلا ثلاثة أواق جعل أوقية في المغرب عند الفطر وأوقيتين عند السحور، وإن كان أقل أو أزيد منه فكذلك الثلث والثلثين ويتدرج إلى التقليل إذا شاء قليلاً قليلاً دخولاً وخروجاً إلى العادة إذا أراد العود فهذا القدر المذكور يبقى في المعتدل المزاج اليوم والليلة، والمنحرف بشدة الحرارة يأخذ بقدر حاله، فإن زاد فهو كالمعتدل وإن قلّ كان به صلاح أمره؛ لأن الحرارة تذيب القليل مسرعة، فإذا زاد ما يصايرها حصل الاعتدال وعدم الانحراف عن الاشتغال بالذكر والطاعة والحلاوة والنشاط فيها ولها، والبارد المزاج دونها، وكذا إن أراد أن يستعمل الحِلبة غذاءً فتبلّ الحلبة بعد ما تغسل وتقشر، ويؤخذ سويق الشعير المقلو نصفه ونصفه غير محمص، ويطحن ويدق الحلبة ويطحن ويخلط بالقند والزيت الطيب أو السليط بقدر مايلته ويصير مقداراً بقدر ما يفطر ويتسحر أجزاء معدودة ويكون الأقل لأول الليل والأكثر لآخره هذا هو الغالب، وقد يندر من يعكس ويراعى مثل ذلك أو ما يقوم مقامه إذا كان في محل لا يجد فيه ما ذكر من الغذاء المذكور فيراعى مثله بدله بما يقرب منه في المزاج والمنافع المذكورة، وليحافظ على الذكر والسهر، ولا ينام إلا عن غَلَبة، ولا يطيل النوم إلا بقدر ما يدفع الضرورة الشاغلة عن الذكر والعمل وأن يكون على طهارة دائماً مستقبلاً مستعملاً للذكر لا نافلة له بعد الفرائض والوتر

ونوافلها ليلاً نهاراً إلا هو، ولكن بالقلب دون اللسان مهما أمكن فإن لم يتمكن من ذلك ذكر باللسان حتى يصل إلى ذلك، وليغمض عينيه عند الذكر، وينظر إلى قلبه كأنه يرى الله تعالى؛ لعل الله أن يفتح له أقفاله ويصلح به أحواله إنه هو الفتاح العليم فدأبُه وهجيره الذكر بالقوة والانقطاع له لا شغل له إلا هو فإنْ لازم ذلك بإذن الله تعالى فتح عليه بعد رحاله: ﴿قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾[1] ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟﴾[2] قلّ ذلك أو كثر طال أو قصر، وكن كما قال تعالى مصابراً مثابراً: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾[3] فكن متابعاً لذلك مطيعاً له ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾[4] لا يريدون منه غير ذلك فتذكر وتبصر ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾[5] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[6].

(١) سورة الطلاق، من الآية/ ٣.

(٢) سورة الأنعام، من الآية/ ١٣٢. سورة الأحقاف من الآية / ١٩.

(٣) سورة الكهف، من الآية/ ٢٨.

(٤) سورة الأنعام، من الآية/ ٥٢.

(٥) سورة العنكبوت، من الآية/ ٤٥.

(٦) سورة آل عمران، الآية/ ٢٠٠.

فصل في اجتماع الإمام الحسن البصري بأمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ﷺ)

وإذا كان غالب السلاسل متصلة بالإمام الحسن البصري (ﷺ) إلى سيدنا علي بن أبي طالب (ﷺ)، وقد تكلّم في ذلك بعضٌ، وقال إنه لم يجتمع به، فنذكر ما يزيل لبس ذلك ويحقق اجتماعه به، فنقول وبالله التوفيق: أخبرني شيخُنا الإمام أحمد بن علي الشناوي (رحمه الله)، عن والده سيدي علي بن عبد القدوس الشناوي، عن الشيخ عبد الوهاب بن أحمد الشعراني، عن الشيخ الإمام شيخ الإسلام الحافظ الزاهد الجامع بين العلم والدين السالك سبيل السادة الأقدمين أبي الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أكمل الدين أبي بكر السيوطي، ثم القاهري (رحمه الله) أنه قال في جامع فتاواه المسمى بالحاوي للفتاوي في الفتاوى الحديثة منه في المسألة المترجمة بإتحاف الفرقة برفع الخرقة ما نصه:

مسألة: أنكر جماعة من الحفاظ سماع الحسن البصري من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ﷺ)، وتمسك بهذا بعض المتأخرين فخدش به في طريق لبس الخرقة والتلقين، وأثبته جماعة وهو الراجح عندي لوجوه، وقد رجحه أيضاً الضياء المقدسي في المختارة، فإنه قال قال الحسن بن أبي الحسن البصري (ﷺ) عن علي بن أبي طالب (ﷺ)، وقيل لم يسمع منه وتبعه على هذه العبارة الحافظ ابن حجر في أطراف المختارة ولكنه بعد رجح سماعه وصححه:

* **الوجه الأول:** أنّ العلماء ذكروا في الأصول في وجوه الترجيح أنّ المثبت مقدم على النافي؛ لأنّ معه زيادة علم.

* **الوجه الثاني:** إنّ الحسن ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر بن الخطاب (ﷺ) باتفاق وكانت أمُّه خَيْرة مولاة أم سلمة (رضي الله عنها)، فكانت أم سلمة تخرجه إلى الصحابة يباركون عليه وأخرجته إلى عمر فدعا له: اللهم فقهّه في الدين وحببه إلى الناس ذكره الحافظ جمال الدين المزي في التهذيب[1]، وأخرجه العسكري في كتاب المواعظ بسنده، وذكر المُزي أنه حضر يوم

(١) تهذيب الكمال، للمزي: ٦/ ١٠٤، وينظر: طبقات الفقهاء، لابن منظور: ص/ ٨٧.

الدار وله أربع عشرة سنة[1]، ومن المعلوم أنه من حين بلغ سبع سنين أمر بالصلاة فكان يحضر الجماعة ويصلى خلف عثمان إلى أن قتل عثمان، وعلي إذْ ذاك بالمدينة، فإنه لم يخرج منها إلى الكوفة إلا بعد قتل عثمان، فكيف يُسْتَنكر سماعُه عنه؟ وهو كل يوم يجتمع به في المسجد خمس مرات من حين نهز إلى أن بلغ أربع عشرة سنة، وزيادة على ذلك ولا شكّ أن علياً (ﷺ) كان يزور أمهات المؤمنين (رضي الله عنهن)، ومنهن أم سلمة والحسن في بيتها هو وأمه.

* **الوجه الثالث:** أنه ورد عن الحسن البصري ما يدلّ على سماعه منه أورد المزي في التهذيب: "عن يُونُسُ بْنُ عُبَيْدٍ: سَأَلْتُ الْحَسَنَ قُلْتُ: يَا أَبَا سَعِيدٍ إِنَّكَ تَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) وَإِنَّكَ لَمْ تُدْرِكْهُ؟ فَقَالَ يَا ابْنَ أَخِي: لَقَدْ سَأَلْتَنِي عَنْ شَيْءٍ مَا سَأَلَنِي عَنْهُ أَحَدٌ قَبْلَكَ، وَلَوْلَا مَنْزِلَتُكَ مِنِّي مَا أَخْبَرْتُكَ، إِنِّي فِي زَمَانٍ كَمَا تَرَى؟ وَكَانَ فِي زَمَنِ الْحَجَّاجِ، كُلُّ شَيْءٍ سَمِعْتَنِي أَقُولُهُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) فَهُوَ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أبي طَالِبٍ (ﷺ) غَيْرَ أَنِّي فِي زَمَانٍ لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَذْكُرَ عَلِيّاً"[2].

ثم قال (رحمه الله تعالى) أيضاً ذكر ما وقع لنا من رواية الحسن البصري عن الإمام علي (ﷺ).

قال الإمام أحمد في مسنده: «حَدَّثَنَا هُشَيْمٌ، أَخْبَرَنَا يُونُسُ، عَنِ الْحَسَنِ، عَنْ عَلِيٍّ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ (ﷺ) يَقُولُ: " رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلاثَةٍ: عَنِ الصَّغِيرِ حَتَّى يَبْلُغَ، وَعَنِ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ، وَعَنِ الْمُصَابِ حَتَّى يُكْشَفَ عَنْهُ»[3]. أخرجه الترمذي وحسنه[4] والنسائي[5] والحاكم وصححه[6]، قال الحافظ زين الدين العراقي في شرح الترمذي عند الكلام على هذا الحديث قال علي بن المديني الحسن رأى عليا بالمدينة[7]، وهو غلام، وقال أبو زرعة[8]: كان الحسن

---

(١) ينظر: التاريخ الكبير، للبخاري: ٢/ ٢٨٩، وشرح السنة، للبغوي: ٢/ ١٦٤.

(٢) تهذيب الكمال: ٦/ ١٢٤.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده: ٢/ ٢٥٤، برقم (٩٣٩).

(٤) سنن الترمذي، بَابُ مَا جَاءَ فِيمَنْ لاَ يَجِبُ عَلَيْهِ الحَدُّ: ٣/ ٨٤، برقم (١٤٢٣).

(٥) السنن الكبرى للنسائي، باب المجنونة تصيب الحد: ٦/ ٤٨٨، برقم (٧٣٠٦).

(٦) المستدرك، للحاكم، كتاب الحدود: ٤/ ٤٣٠، برقم (٨١٧٠).

(٧) وجدته في فتح الباري، لابن رجب: ٢/ ١٤٥، وعمدة القاري: ١/ ٢١٠.

(٨) هو: محمد بن عثمان بن إبراهيم بن زرعة، من موالي ثقيف، قاض، رفيع القدر. من أهل دمشق. ولي القضاء بمصر سنة ٢٨٤ هـ وضمت إليه فلسطين والأردن وحمص وقنسرين. وعزل سنة ٢٩٢ فعاد إلى دمشق (ت: ٣٠٢هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء: ١٤/ ٣٢١، وطبقات الشافعية، للسبكي: ٣/ ١٩٦.

البصري يوم بويع لعلي ابناً لأربعَ عشرة سنة، ورأى علياً بالمدينة، ثم خرج إلى البصرة والكوفة ولم يلقَه الحسن بعد ذلك، وقال الحسن: "رأيت الزبير يبايع علياً (ﷺ)"[1] انتهى.

قال الشيخ جلال الدين (رحمه الله) قلت: وفي هذا القدر كفاية، ويحمل قول النافي أي؛ للاجتماع على ما بعد خروج علي (ﷺ) من المدينة.

وقال النسائي: «أَخْبَرَنَا الْحَسَنُ بْنُ أحمد قَالَ: حَدَّثَنَا شَاذُّ بْنُ فَيَّاضٍ، بَصْرِيٌّ عَنْ عُمَرَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، بَصرِي، عَنْ قَتَادَةَ، عَنِ الْحَسَنِ البَصرِي، عَنْ عَلِيٍّ بن أبي طالب (ﷺ) قال أن رسول الله (ﷺ): أَفْطَرَ الْحَاجِمُ وَالْمَحْجُومُ»[2].

وقال الطحاوي: «حَدَّثَنَا نَصْرٌ، قَالَ: حدثنا الْخَطِيبُ، قَالَ: ثنا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ خِلَاسٍ هُوَ ابْنُ عَمْرٍو، أَنَّ عَلِيّاً(ﷺ) قَالَ: إِذَا كَانَ فِي الرَّهْنِ فَضْلٌ فَأَصَابَتْهُ جَائِحَةٌ فَهُوَ بِمَا فِيهِ»[3] الحديث.

وقال الدار قطني: «حَدَّثَنَا أحمد بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ زِيَادٍ الْقَطَّانُ نا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ شَبِيبٍ الْمَعْمَرِيُّ، قَالَ: سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ صُدْرَانَ السُّلَمِيَّ، يَقُولُ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَيْمُونٍ الْمُرَادِيُّ، حدثنا عَوْفٌ، عَنِ الْحَسَنِ أو جِلَاسٍ، عَنْ عَلِيٍّ (ﷺ) شَكَّ ابْنُ مَيْمُونٍ - أَنَّ النَّبِيَّ (ﷺ) قَالَ لِعَلِيٍّ: «يَا عَلِيُّ قَدْ جَعَلْتُ إِلَيْكَ هَذِهِ السَّبْقَةَ بَيْنَ النَّاسِ» الحديث[4]، وقال الدار قطني: حدثنا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ، حدثنا دَاوُدُ بْنُ رُشَيْدٍ، حدثنا أبو حَفْصٍ الْأَبَّارُ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ السَّائِبِ، عَنِ الْحَسَنِ، عَنْ عَلِيٍّ(ﷺ) قَالَ: «الْخَلِيَّةُ وَالْبَرِيَّةُ وَالْبَتَّةُ وَالْبَائِنُ وَالْحَرَامُ ثَلَاثاً لَا تَحِلُّ لَهُمْ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجاً»[5].

---

(١) تاريخ الطبري: ٣/ ٤٥١، وتهذيب التهذيب: ٢/ ٢٦٧.

(٢) السنن الكبرى، للنسائي : ٣/ ٣٢٦، برقم (٣١٤٩) قال الزيلعي في نصب الراية: ٢/ ٤٧٤: الْحَسَنُ لَمْ يَسْمَعْ مِنْ عَامَّةِ هَؤُلَاءِ، وَلَا لَقِيَهُ عِنْدَنَا مِنْهُمْ ثَوْبَانُ، وَمَعْقِلُ بْنُ سِنَانٍ، وَأُسَامَةُ، وَعَلِيٌّ، وَأَبُو هُرَيْرَةَ، انْتَهَى.

(٣) خلط الشيخ (رحمه الله) بين السند والمتن فالسند الذي ذكره هو لقوله: "أَنَّ عَلِيّاً قَالَ فِي الرَّهْنِ يَتَرَادَّانِ الزِّيَادَةَ وَالنُّقْصَانَ جَمِيعاً فَإِنْ أَصَابَتْهُ جَائِحَةٌ بَرِئَ" : شرح معاني الآثار: ٤/ ١٠٣، برقم (٥٩٠٠)، بينما المتن الذي ذكره سنده هو: "حَدَّثَنَا نَصْرٌ، قَالَ: ثنا الْخَطِيبُ، قَالَ: ثنا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ خِلَاسٍ هُوَ ابْنُ عَمْرٍو، أَنَّ عَلِيّاً (ﷺ) قال: ..": شرح معاني الآثار: ٤/ ١٠٣، برقم (٥٨٩٩).

(٤) سنن الدارقطني، كتاب السبق بين الخيل: ٥/ ٥٥٥، برقم (٤٨٣٦).

(٥) سنن الدار قطني، كتاب الطلاق: ٥/ ٥٨، برقم (٣٩٧٦).

وقال الطحاوي: "حَدَّثَنَا ابْنُ مَرْزُوقٍ، قَالَ: ثنا عَمْرُو بْنُ أبي رَزِينٍ، قَالَ: ثنا هِشَامُ بْنُ حَسَّانَ، عَنِ الْحَسَنِ، عَنْ خَمْسَةٍ، مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ (ﷺ) مِنْهُمْ عَلِيُّ بْنُ أبي طَالِبٍ، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ، وَحُذَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانِ، وَعِمْرَانُ بْنُ حُصَيْنٍ، وَرَجُلٌ آخَرُ: أَنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرَوْنَ فِي مَسِّ الذَّكَرِ وُضُوءاً"[1]، وقال أبو نعيم في الحلية: "حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدٍ، ثَنَا أبو يَحْيَى الرَّازِيُّ، ثَنَا هَنَّادٌ، ثَنَا ابْنُ فُضَيْلٍ، عَنْ لَيْثٍ، عَنِ الْحَسَنِ، عَنْ عَلِيٍّ، قَالَ: طُوبَى لِكُلِّ عَبْدٍ نُومَةٍ[2]، عَرَفَ النَّاسَ وَلَمْ يَعْرِفْهُ النَّاسُ، عَرَفَهُ اللهُ بِرِضْوَانِهِ، أُولَئِكَ مَصَابِيحُ الْهُدَى، يَكْشِفُ اللهُ عَنْهُمْ كُلَّ فِتْنَةٍ مُظْلِمَةٍ، سَيُدْخِلُهُمُ اللهُ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ، لَيْسَ أُولَئِكَ بِالْمَذَايِيعِ الْبُذُرِ، وَلَا الْجُفَاةِ الْمُرَائِينَ"[3].

وقال الخطيب في تاريخه: "أَخْبَرَنَا الْحَسَن بْن أبي بَكْر، قَالَ: أَخْبَرَنَا أبو سهل أحمد بْن مُحَمَّد بْن عَبْد الله بْن زياد القطان، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن غالب، قَالَ: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْن عمران فِي شارع دار الرقيق، قَالَ: حَدَّثَنَا سُلَيْمَان بْن أرقم، عَن الْحَسَن، عَن علي، قَالَ: كفنتُ النَّبِيّ، (ﷺ) فِي قميص أبيض، وثَوْبَيْ حِبَرَةٍ"[4].

وقال جعفر بن محمد بن محمد في كتاب العروس حدثنا وكيع عن الربيع عن الحسن عن علي (ﷺ) رفعه: "مَنْ قَال في كُلِّ يَوْمٍ ثَلاثَ مَرَّات: صَلَوَاتُ الله عَلَى آدمَ، غُفِرَ لَهُ الذُّنُوب وَإِن كَانَتْ أَكْثَرَ مِنْ زَبَدِ البَحْرِ، وَكَان في الْجَنَّةِ رَفِيقَ آدَمَ"[5]. أخرجه الديلمي في مسند الفردوس من طريقه.

قال الحافظ ابن حجر وقع في مسند أبي يعلى قال حدثنا جويرية بن أشرس قال أخبرنا عقبة بن أبي الصهباء الباهلي قال سمعت الحسن يقول سمعت عليا يقول قال رسول الله (ﷺ):

---

(١) شرح معاني الآثار: ١/ ٧٨.

(٢) قال ابن منظور: عن ابن عباس انه قال لعلي: والنُوَمَة ؟ فقال: الذي يسكت في الفتنة فلا يبدوا منه شيء، انظر لسان العرب مادة (ن وم).

(٣) حلية الأولياء، لأبي نعيم، باب وَثِيقُ عِبَارَاتِهِ وَدَقِيقُ إِشَارَاتِهِ: ١/ ٧٦.

(٤) تاريخ بغداد: ١٦/ ٢٤٣، برقم (٧٤٢٩).

(٥) وجدته في جمع الجوامع: ٩/ ٦٦٤، برقم (٢٢٥٤٠) قال الفتني في تذكرة الموضوعات: ١/ ٨٩: حديث منكر.

«مَثَلُ أُمَّتِي مَثَلُ الْمَطَرِ»[1] الحديث. قال محمد ابن الحسن الصيرفي شيخ شيوخنا هذا نص صريح في سماع الحسن عن علي (ﷺ) رجاله ثقات جويرية وثقه ابن حبان، وعقبة وثقه أحمد ابن حنبل وابن معين انتهى.

من إتحاف الفرقة برفع الخرقة للسيوطي (رحمه الله تعالى) وفي هذا القدر كفاية للطالبين، والله أعلم.

وقال (رحمه الله) تعالى في زاد المسير، وقال الإمام شمس الدين ابن الجزري بعد سوق سند لبس الخرقة من طريق الحسن البصري عن علي: كذا وصلت إلينا خرقة التصوف من طريق القوم، وأهل الحديث لا يعرفون للحسن البصري سماعاً عن علي (ﷺ) مع أنه عاصره بلا شك وثبت أنه رآه، وأنه ولد في خلافة عمر (ﷺ) وصحّ انه سمع خطب عثمان (ﷺ)[2]، وروى الترمذي من طريق قتادة وأحمد، والنسائي من طريق يونس بن عبيد كلاهما عن الحسن البصري عن علي حديث: «رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثٍ»[3] الحديث، وقال الترمذي: حديث حسن

---

(١) تمام الحديث: «إِنَّ مَثَلَ أُمَّتِي مَثَلُ الْمَطَرِ، لَا يُدْرَى أَوَّلُهُ خَيْرٌ أو آخِرُهُ» أخرجه أحمد في مسنده: ١٩/ ٣٣٤، برقم (١٢٣٢٧) قال الأرناؤوط: قوي بشواهده، والترمذي في سننه: ٤/ ٤٤٩، برقم (٢٨٦٩) قال الترمذي غريب من هذا الوجه، ولم أجد مثل هذا الإسناد عند أبي يعلى، والحديث موجود ولكن بالسند الآتي: حَدَّثَنَا بِشْرُ بْنُ الْوَلِيدِ الْكِنْدِيُّ، حَدَّثَنَا أبو سَهْلٍ يُوسُفُ بْنُ عَطِيَّةَ الصَّفَّارُ قَالَ: سَمِعْتُ ثَابِتاً يَقُولُ: قَالَ أَنَسٌ...الحديث.: ٦/ ٣٨٠، برقم (٣٧١٧)، وقال ابن حجر في الفتح: ٧/ ٦: "وَهُوَ حَدِيثٌ حَسَنٌ لَهُ طُرُقٌ قَدْ يَرْتَقِي بِهَا إِلَى الصِّحَّةِ وَأَغْرَبَ النَّوَوِيُّ فَعَزَاهُ فِي فَتَاوِيهِ إِلَى مُسْنَدِ أَبِي يَعْلَى مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ بِإِسْنَادٍ ضَعِيفٍ مَعَ أَنَّهُ عِنْدَ التِّرْمِذِيِّ بِإِسْنَادٍ أَقْوَى مِنْهُ من حَدِيث أَنَس وَصَححهُ بن حِبَّانَ مِنْ حَدِيثِ عَمَّارٍ". وقد روى بنص آخر قال أبو يعلى (رحمه الله): حدثنا أبو ياسر عمار بن نصر، حدثنا يوسف ابن عطية أخبرنا ثابت أنس بن مالك أن النبي (ﷺ) قال: مثل أمتي مثل السنبلة تميل أحياناً وتستقيم أحياناً، ومثل أمتي كمثل المطر لا يُدرى أوله خير أو آخره، مسند ابن يعلى رقم (٣٤٧٥) ص / ٦٦٦.

(٢) لم أجده.

(٣) تمام الحديث: «رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثَةٍ: عَنِ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ، وَعَنِ الصَّبِيِّ حَتَّى يَشِبَّ، وَعَنِ الْمَعْتُوهِ حَتَّى يَعْقِلَ» رواه الترمذي، بَابُ مَا جَاءَ فِيمَنْ لاَ يَجِبُ عَلَيْهِ الحَدُّ: ٣/ ٨٤، برقم (١٤٢٣)، قال الترمذي: حَسَنٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الوَجْهِ، والنسائي في الكبرى، باب المجنونة تصيب الحد: ٦/ ٤٨٨، برقم (٧٣٠٦) قال هو موقوف.ينظر: الدراية، لابن حجر: ٢/ ١٩٨.

غريب من هذا الوجه ولا نعرف للحسن سماعاً عن علي، وكذا روى النسائي حديث: «أَفْطَرَ الْحَاجِمُ وَالْمَحْجُومُ» [1] من طريق قتادة عن الحسن من علي انتهى.

قال السيوطي: قلت الحفاظ مختلفون في سماع الحسن البصري عن علي (ﷺ) فمنهم من لم يثبته: كالبخاري، ويحيى بن معين، ومنهم من أثبته ورجحه كالحافظ ضياء الدين المقدسي في المختارة، ثم نقل عن الحافظ ابن حجر ما نقله في آخر (الإتحاف) من حديث: «مثلُ أمّتِي مثلَ المَطَر» [2] المذكور في مسند أبي يعلى، ثم قال: وقد ألّفت في ذلك جزء سميته (إتحاف الفرقة بوصل الخرقة) وفي بعض النسخ برفع الخرقة انتهى.

فإن قلت: جميع ما ذكر في الإتحاف إنما يثبت اللقي والسماع، وأما لبس الخرقة وتلقين الذكر فلا فأين الإتحاف؟ قلت: قد ذكر في أول الكلام أن من خدش في طريق لبس الخرقة من المتأخرين فتمسّكه في ذلك عدم سماع الحسن عن علي (ﷺ) بناءً على إنكار جماعة من الحفاظ سماعه، ولم يُقم دليلا على نفس اللبس غير إنكار السماع، فإذا صح السماع وثبت بأسانيد الأئمة المعتبرة في الكتب المعتمدة كالإمام أحمد، والترمذي، والنسائي، والحاكم، والضياء المقدسي، وأبي نعيم، والدار قطني، وأبي يعلي وغيرهم لم يبق للخادش النافي متمسك في الخدش، وهنا مقدمة معلومة مشهورة قد أشير إليها في نفس ترجمة المسألة وهي أنّ لبس الخرقة من طريق الحسن البصري قد رواه جماعة من أكابر أهل الله المرادون بالفرقة في لفظ الترجمة، ومن المعلومِ أنّ فيهم من هو جامع بين الفقه والتصوف وطرف صالح من الحديث: كالشيخ عبد الكريم بن هوازن القشيري فقد قال الحافظ أبو القاسم بن عساكر (رحمه الله) في كتابه (تبين كذب المفتري): أخبرنا الشيخان أبو الحسن علي بن أحمد بن منصور، وأبو منصور محمد راوي مسند أبي العباس بن إسحاق السراج، وهو مرتب على الأبواب عن ابن عبد الملك بن الحسن قالا: قال لنا الشيخ أبو بكر محمد بن علي الحافظ عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة بن محمد أبو القاسم القشيري النيسابوري، سمع أحمد بن محمد بن عمر الخفاف، ومحمد بن أحمد بن عبدوس المزكي، وأبا نعيم عبد الملك،

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

وأبا الحسن الاسفرايني، وعبد الرحمن بن إبراهيم المزكي، ومحمد بن الحسن بن فورك، والحاكم أبا عبد الله بن البيع، ومحمد بن الحسن العلوي أبا عبد الرحمن السلمي، وقدم علينا في سنة ثمان وأربعين وأربعمائة، وحدث ببغداد وكتبنا عنه، وكان ثقة، وكان يعرف الأصول على مذهب الأشعري، والفروع على مذهب الشافعي، ثم قال بعد نحو ورقة ولقد عقد لنفسه مجلس الإملاء في الحديث سنة سبع وثلاثين وأربعمائة وكان يملي إلى خمس وستين يذنّب أماليه بأبياته، وربما كان يتكلم على الأحاديث بإشاراته ولطائفه، انتهى.

وقال التاج السبكي في الطبقات الصغرى في ترجمته شيخ المشايخ أستاذ الجماعة ومقدم الطائفة أحد أخبار الأمة وعلماء الملة تفقه علي أبي بكر الطوسي وقرأ الأصول على ابن فورك والأستاذ أبي إسحاق إلى آخر ما قال (رحمه الله) [1].

وكالشيخ عبد القاهر بن عبد الله السهروردي، فقد قال التاج عبد الوهاب السبكي في الطبقات الصغرى في ترجمته احد أئمة الطريقة ومشائخ الحقيقة تفقه بنظامية بغداد على اسعد الميهني وكان من هداة الدين وأئمة المؤمنين انتهى [2].

وكابن أخيه الشيخ شهاب الدين عمر بن محمد بن عبد الله السهروردي صاحب عوارف المعارف الذي فيه ما فيه من الأحاديث المسندة عن عمه وغيره المعرف لطرف من فضلهما في الحديث كما يشير إليه قوله حدثنا شيخنا أبو النجيب أملاه [3].

وفي الطبقات الصغرى للسبكي في ترجمته كان هذا الرجل شيخ [4] وقته في علم الحقيقة وإليه المنتهى في تربية المريدين ودعاء الخلق إلى الخالق وتسليك طريق العبادة والخلوة صحب عمه وتفقه عليه، ثم تفقه على أبي القاسم بن فضلان، ثم لاح له الفلاح فراح مع أهل الله واستراح، وصار بركة زمانه وبهلوان أقرانه انتهى [5].

---

(١) ينظر: طبقات الشافعية، للسبكي: ٥/ ١٥٣.

(٢) ينظر: طبقات الشافعية، للسبكي: ٧/ ١٧٤.

(٣) المصدر نفسه: ٨/ ٣٣٨.

(٤) وكتاب المشيخة كما في فهرست أسانيد المغربي ١٢ هامش الأصل.

(٥) المصدر نفسه: ٨/ ٣٣٩.

وغيرهم ممن هو مقبول ثقة عند الفريقين فإذا انتفى سبب الخدش، وقد رواه من هو ثقة ومقبول ما ظهر أنّ ما توهم انقطاعه مرفوع موصول، وبذلك يحصل الإتحاف وبالله التوفيق والاستعانة، وكان السبب في عدم شهرة اللبس والتلقين عند أوائل أهل الحديث أن هذا أمرٌ خاص لخواص من أهل سلوك طريق العزلة الذين يميلون إلى ستر أحوالهم وأعمالهم، وليس كرواية الأحاديث ونقل الأحكام الشرعية المطهرة المراد بها العموم حيث يشتهر.

وفي حديث شداد بن أوس الذي عند الطبراني وغيره ما فيه تلويح إلى ذلك، وهو ما أخبرني به شيخنا الإمام أحمد بن علي الشناوي بسنده السابق في وصل بيعة الصغير من طريق البدر المنير إلى أبي القاسم الطبراني، قال: ومن خط الحافظ ابن حجر نقلت: حدثنا أحمد بن عبد الوهاب بن نجدة الحوطي، حدثنا أبي، حدثنا إسماعيل بن عياش، حدثنا راشد بن داود، حدثنا يعلى بن شداد بن اوس، حدثني أبي شداد بن أوس، وعبادة بن الصامت يصدقه قال: كنا عند رسول الله (ﷺ) قال: «هَلْ فِيكُمْ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الكتابْ؟ فَقُلْنَا: لا يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَأَمَرَ فَأَغْلَقَ الْبَابَ، ثُمَّ قَالَ: ارْفَعُوا أَيْدِيكُمْ فَقُولُوا: لا إله إلا الله »، فَرَفَعْنَا أَيْدِينَا سَاعَةً، ثُمَّ وَضَعَ النَّبِيُّ (ﷺ) يَدَهُ، ثُمَّ قَالَ: الْحَمْدُ للَّهِ، اللَّهُمَّ إِنَّكَ بَعَثْتَنِي بِهَذِهِ الْكَلِمَةِ، وَأَمَرْتَنِي بِهَا، وَوَعَدْتَنِي عَلَيْهَا الْجَنَّةَ، إِنَّكَ لا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ، وَقَالَ: أَبْشِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ غَفَرَ لَكُمْ»[1].

حدثنا أحمد بن المعلى الدمشقي، والحسين بن إسحاق التستري قالا: حدثنا هشام بن عمار، حدثنا عبد الملك بن محمد الصنعاني، حدثنا راشد بن داود الصنعاني، فذكره نحوه عن شداد وحده من غير ذكر عبادة، انتهى.

وعزاه الحافظ ابن حجر في هامش البدر المنير إلى البزار، وكذلك الحافظ السيوطي في جمع الجوامع وزاد: عزوه إلى الإمام أحمد في مسنده[2]، والى الحاكم[3] مع عزوه إلى

---

(١) الطبراني في الكبير: ٧/ ٢٨٩، برقم (٧١٦٣)، قال الهيثمي في المجمع: ١٠/ ٨١: فِيهِ رَاشِدُ بْنُ دَاوُدَ، وَقَدْ وَثَّقَهُ غَيْرُ وَاحِدٍ، وَفِيهِ ضَعْفٌ، وَبَقِيَّةُ رِجَالِهِ ثِقَاتٌ.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده: ٢٨/ ٣٤٨، الطبعة الأخيرة برقم (١٧١٢١)، قال الهيثمي في المجمع: ١٠/ ٨١: فِيهِ رَاشِدُ بْنُ دَاوُدَ، وَقَدْ وَثَّقَهُ غَيْرُ وَاحِدٍ، وَفِيهِ ضَعْفٌ، وَبَقِيَّةُ رِجَالِهِ ثِقَاتٌ.

(٣) المستدرك، للحاكم، كتاب الدعاء: ١/ ٦٧٩، برقم (١٨٤٤) قال الحاكم: حَالُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ عَيَّاشٍ يَقْرُبُ مِنَ الْحَدِيثِ قَبْلَ هَذَا فَإِنَّهُ أَحَدُ أَئِمَّةِ أَهْلِ الشَّامِ، وَقَدْ نُسِبَ إلى سُوءِ الْحِفْظِ، وَأَنَا عَلَى شَرْطِي فِي أَمْثَالِهِ.

الطبراني أيضاً، ثم وقفت على مسند البزار قال حدثنا عمر بن الخطاب السجستاني، حدثنا الحسن بن علي السكوني، حدثنا إسماعيل بن عياش به، وقال فيه وعبادة حاضر يصدقه، وقال: بايعنا رسول الله (ﷺ) فقال: «هَلْ فِيكُمْ غَرِيبٌ؟ يَعْنِي أَهْلَ الْكِتَابِ..»[1] الحديث.

وذلك أن أمره (ﷺ) بغلقِ الباب بعد السؤال المذكور تنبيه على أنّ هذا أمرٌ خاصٌّ لا ينبغي أن يشرع فيه مع حضور أجنبي منكِر، ثم إنه يصانُ عن أن يدخل عليهم من ليس منهم على قلتهم في ذلك الأمر شيء ولو من غير أهل الكتاب لئلا يشوش عليهم فان الأجنبي المنكر بتغير برويته منهم ما ينكره فيقبضهم بتغيره فتفوت البركة المطلوبة من هذا الأمر كما يشير إليه قول (ﷺ): «لِأُخْبِرَكُمْ بِلَيْلَةِ الْقَدْرِ فَتَلَاحَى فُلَانٌ وَفُلَانٌ فَرُفِعَتْ»[2] الحديث الصحيح.

ثم فيه إشارة إلى أنّ المتلقّن بهذا التلقين الخاص أخذ في سلوكِ طريق وهب الأسرار فمن شرطِه الحفظ والأمانة، فان الأسرار لا توهب إلا للأمناء، كالتلقين العام لكلّ داخل في الإسلام المستفاد من قوله (ﷺ): «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إله إلا الله»[3] الحديث الصحيح، بل المتواتر عند أهل الحديث على ما ذكره الحافظ السيوطي (رحمه الله) فإنّ المقصود به فتح باب الإسلام على القائل فيُلقّن ولو بين اظهر المشركين في صف القتال؛ ليدخل به في حصن الله الذي من دخله أمِن من عذابه المخلد، ثم لكل درجات مما عملوا فمنهم ومنهم والسالكون طريق الحق أفراد، وكلٌّ ميسَّر لما خلق له، والله أعلم بالصواب.

وكذلك إلباس الخرقة إذا كان لبسها للإرَادة لا للتبرك فقط فإنّ الشيخ المربي من أغراض إلباسِه الخرقة للمريد بإذن الله تعالى، كما سيجيء أن ينظر في حال المريد الذي يريد أن يلبسه فأيّ حال يكون للمريد فيه نقص فإن الشيخ يُلبس بذلك الحال حتى يتحقق ويغمره، فتسري قوة ذلك الحال في الثوب الذي يكون على الشيخ فيجرّده في الحال ويكسوه ذلك المريد فيسري في سريان الخمر في أعضائه فيغمرَه، ويتم له الحال، ولا عجب من أمر الله، كما وقع لسيّدنا يوسف (ﷺ) مع أبيه يعقوب (ﷺ) وكما وقع للشيخ نجم الدين الكبري مع

---

(١) مسند البزار: ٧/ ١٥٦، برقم (٢٧١٧).

(٢) صحيح البخاري، بَابُ تَحَرِّي لَيْلَةِ الْقَدْرِ: ٣/ ٤٧، برقم (٢٠٢٣) عن عبادة بن الصامت (رضي الله عنه).

(٣) صحيح البخاري، بَاب فَضْلِ اسْتِقْبَالِ الْقِبْلَةِ: ١/ ٨٧، برقم (٣٩٢) عن أنس بن مالك (رضي الله عنه).

الشيخ بابا فرج التبريزي حيث تلبس بابا فرج بحالة عظمت فيها صورته، وكان يتلألأ كالشمس، وانشق ثوبه الذي كان عليه، فلما سُرّي عنه قام فألبس ذلك الثوب الشيخ نجم الدين الكبري، وكان ذلك في أيام طلبه للحديث على بعض تلامذه محى السنة، قال فتغير على الحال وانقطع تعلّق باطني عما سوى الحق (سبحانه وتعالى) إلى آخر القصة المفصلة في النفخات وغيره، وهذا وإن كان عزيزاً اليوم لكن سيدنا علي لكونه من أكابر الورثة المحمدية من الصحابة (ﷺ) أجمعين فلا ينبغي أن يشكّ في أنه كان من أهل هذا الشأن العليّ، والفيض الساري، والحسن البصري أيضاً لا يليق التوقف في كونه ذلك الوقت من أهل الإرَادة بهذا الإلباس الخاص فخبر ذلك مسترسل، ولكل منهم نصيب بقدر، والله اعلم.

وهذا السريان من الثوب في لابسِهِ من باب وراثة مضمون ما في جمع الجوامع معزواً إلى ابن عساكر: «عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ (ﷺ) قَالَ: هَلْ مِنْ رَجُلٍ يَأْخُذُ مِمَّا فَرَضَ الله -تَعَالَى- وَرَسُولُهُ كله أو ثِنْتَيْنِ أو ثَلاثاً، أو أَرْبَعاً أو خَمْساً فَيَجْعَلُهُنَّ في طَرَف عِمَامَتِهِ فَيَعْمَلُ بِهِنَّ وَيعَملهن؟ قُلتُ: أَنَا وَبَسَطتُ ثَوْبِي، وَجَعَلَ رَسُولُ الله (ﷺ) يُحِدِّثُ حَتَّى سَكَتَ، فَضَمَمْتُ ثَوْبِي صَدْرِي، فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ أكوُنَ لَمْ أَنْسَ حَدِيثاً سَمِعْتُهُ مِنهُ بَعْدُ»[1] انتهى.

فإنه (ﷺ) لما لم يجبه عن سؤاله الذي استخرج به ما يدلّ على تفاوت درجات استعداداتهم إلا أبو هريرة كان (ﷺ) في ذلك الوقت والحال أقربهم استعداداً لقبول ذلك الأمر، ومن قوة إيمانه بسط ردائه (ﷺ) فجعل الكلمات البارزة في عالم المثال من لفظ رسول الله (ﷺ) مجسّدة في خياله المتصل، وجعلها مجموعة في ردائه بقوة تخيله الناشئة من قوة إيمانه، وضم الرداء إلى صدره فسرَتْ قوةُ الحال الذي تلبس به رسول الله (ﷺ) من تجلي اسم الحفيظ العليم عند حديثه في ذلك المجلس الخاص متوجهاً بهمته إلى سراية قوةِ الحال منه إلى كلماته الشريفة الممثلة المجعولة بتخيّل أبي هريرة الناشئ من قوة إيمانه وكمال استعداده في ردائه لتسري منها إلى ثوبه المحسوس، ومنه إلى باطن أبي هريرة (ﷺ)، وقد ظهرت النتيجة بفضل الله كما قال فإني أرجو أن أكون لم أنسَ حديثاً سمعته من بعد ويشهد له قوله (ﷺ): «أَبُو هُرَيْرَةَ وِعَاءُ الْعِلْمِ»[2].

---

(١) جمع الجوامع: ٢٢/ ٧٥٤.

(٢) المستدرك، للحاكم، مناقب أبي هريرة (ﷺ): ٣/ ٥٨٢، برقم (٦١٥٩) عن أبي سعيد الخدري (ﷺ)، سكت عنه الذهبي.

وقوله (ﷺ): «لِكُلِّ أُمَّةٍ حَكِيمٌ، وحَكِيمُ هَذِهِ الأُمَّةِ أبو هُرَيرَةَ»[1] فقد ظهر عنه ذلك الخير، وسرى في الأمة إلى قيام الساعة عند العاملين، والحمد لله رب العالمين.

هذا ولما كان من أقسام إلباس الخرقة هذا الإلباس الخاص الذي لا يخفى على كل منصف أن لا خفاء فيه عن غير الأهل مطلوب، وكان الظن أنْ لم يكن يقيناً بسيدنا علي وبالحسن حسنا في كونهما من أكابر هذا الشأن كان وجه خفاء شأنهما في اللبس والتلقين على أكثر رواة الأخبار الذين ليس لهم اعتناء بهذا الشأن مكشوفاً غير مشهور عند من عرف فأنصف وليس عدم العلم بالشيء علماً بعدم ذلك الشيء وهو ظاهر، والله أعلم وبالله التوفيق[2].

---

(١) الديلمي في الفردوس، باب اللام: ٣/ ٣٣٧، برقم (٥٠١٣) عن ابن عباس (رضي الله عنهما)، وجمع الجوامع، للسيوطي: ٦/ ٧٢٤، برقم (١٧٤٥٩) عن ابن عمر (رضي الله عنهما).

(٢) وقد فصل الملا علي القاري مسألة الخرقة تفصيلاً ممتعاً إذ قال حديث لبس الخرقة الصوفية وكون الحسن البصري لبسها من علي (ﷺ)، وقال ابن دحية وابن الصلاح: انه باطل وكذا قال العسقلاني: إنه ليس في شيء من طرقها ما يثبت، ولم يرد في خبر صحيح ولا حسن ولا ضعيف ان النبي (ﷺ) البس الخرقة على الصورة المتعارفة بين الصوفية لأحد من الصحابة ولا أمر أحداً من أصحابه بفعل ذلك، وكل ما يروى في ذلك صريحاً فباطل، قال: إن من الكذب المفترى قول من قال: إن علياً ألبس الخرقة الحسن البصري فإن أئمة الحديث لم يثبتوا للحسن من علي سماعاً فضلاً عن أن يلبسه الخرقة.
قال السخاوي: ولم ينفرد بذلك شيخنا بل سبقه إليه جماعة حتى من لبسها وألبسها كالدمياطي والذهبي وابن حبان والعلائي والعراقي وابن الملقن والبرهان للحلبي وغيرهم تشبها بالقوم وتبركاً بطريقتهم، إذ ورد لبسهم لها مع الصحبة المتصلة إلى كميل بن زياد وهو صحب علي كرم الله وجهه اتفاقا وفي بعض الطرق أيضاً اتصالها بأويس القرني وهو قد اجتمع بعمر وعلي (رضي الله عنهم)، قلت وكذا نسبة التلقين المتعارف بين الصوفية لا أصل له، وكذا نسبة المصافحة المتصلة إلى النبي عليه الصلاة والسلام ليس له أصل عند العلماء الأعلام، وكذا نسبة الخرقة إلى أويس وأنه عليه الصلاة والسلام أوصى بخرقته لأويس وأن عمر وعلي سلماها إليه، وأنها وصلت إليهم منه، وهلم جرا، فغير ثابت ولو ذكره بعض المشايخ فالمداد على طريق الصحة ومتابعة الكتاب والسنة ومجانبة الهوى ومقارية الهدى والعاقبة للتقوى، الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة للعلامة المشهور الملا علي القاري ص٢٧٤ – رقم (٣٥٦).

فصل

قال الشيخ شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد القسطلاني (في المواهب اللدنية) بعد نقل خدش الخادشين في اتصال لبس الخرقة من طريق الحسن وأول عبارته هكذا: «جَاءَتْ امْرَأَةٌ إلى النَّبِيِّ (ﷺ) بِبُرْدَةٍ فَقَالَ سَهْلٌ لِلْقَوْمِ أَتَدْرُونَ مَا الْبُرْدَةُ فَقَالَ الْقَوْمُ هِيَ الشَّمْلَةُ فَقَالَ سَهْلٌ هِيَ شَمْلَةٌ مَنْسُوجَةٌ فِيهَا حَاشِيَتُهَا فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَكْسُوكَ هَذِهِ فَأَخَذَهَا النَّبِيُّ (ﷺ) مُحْتَاجاً إليها فَلَبِسَهَا فَرَآهَا عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ الصَّحَابَةِ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَحْسَنَ هَذِهِ فَاكْسُنِيهَا فَقَالَ نَعَمْ فَلَمَّا قَامَ النَّبِيُّ (ﷺ) لَامَهُ أَصْحَابُهُ قَالُوا مَا أَحْسَنْتَ حِينَ رَأَيْتَ النَّبِيَّ (ﷺ) أَخَذَهَا مُحْتَاجاً إليها ثُمَّ سَأَلْتَهُ إِيَّاهَا وَقَدْ عَرَفْتَ أَنَّهُ لَا يُسْأَلُ شَيْئاً فَيَمْنَعَهُ» رواه البخاري من حديث سهل بن سعد[1]، وفي رواية ابن ماجة والطبراني: «قَالَ: «نَعَمْ». فَلَمَّا دَخَلَ طَوَاهَا وَأَرْسَلَ بِهَا إِلَيْهِ»[2] وأفاد الطبراني في رواية زمعة بن صالح أنه (ﷺ) أمر أن يصنع له غيرها فمات قبل أن يفرغ منها، وفي هذا الحديث من الفوائد حسن خلقه (ﷺ) وسعة جوده، واستنبط منه السادة الصوفية جواز استدعاء المريد خرقة التصوف من المشايخ تبركا بلباسهم، كما استدلوا لإلباس الشيخ للمريد بحديث أنه (ﷺ) ألبس أم خالد خميصة سوداء ذات علم لكن قال شيخنا ما يذكرونه من أنّ الحسن البصري لبسها من علي بن أبي طالب (رضي الله عنه)، فقال ابن دحية وابن الصلاح: إنه باطل، وقال شيخ الإسلام الحافظ ابن حجر ليس في شيء من طرقها ما يثبت، ولم يرِ في خبر صحيح ولا حسن ولا ضعيف أنه الحسن البصري ما نصّه نعم ورد لبسهم لها مع الصحبة المتصلة إلى كميل بن زياد، وهو صحب علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) من غير خلاف في صحبته بين أئمة الجرح والتعديل، وفي بعض الطرق اتصالها بأويس القرني، وهو اجتمع بعمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب (رضي الله عنهما) وهذه صحبة لا مطعن فيها، وكثير من السادة يكتفي بمجرد الصحبة كالشاذلية، وشيخِنا أبي إسحاق إبراهيم المتبولي، وكان الشيخ يوسف العجمي يجمع بين تلقين الذكر وأخذ العهد واللبس، وله في ذلك رسالة (ريحان القلوب) قرأتُها على ولد ولده العارف المسلك سيدي علي مع إلباسِه الخرقة والتلقين والعهد انتهى بلفظه.

---

(١) صحيح البخاري، بَاب حُسْنِ الْخُلُقِ وَالسَّخَاءِ: ٨/ ١٤، برقم (٦٠٣٦).

(٢) سنن ابن ماجه، بَابُ لِبَاسِ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ): ٢/ ١١٧٧، برقم (٣٥٥٥) صححه الألباني، والطبراني في الكبير: ٦/ ١٦٩، برقم (٥٨٨٧).

والقسطلاني هذا أحد مشايخ عبد الوهاب الشعراني شيخ والد شيخنا، فإنه قال في (المنن الكبرى): وقرأت على الشيخ العالم الصالح المحدث المقري الشيخ شهاب الدين القسطلاني شارح البخاري غالب شرحه على البخاري وقطعة من المواهب اللدنية انتهى بلفظه رحمه الله.

قلت: لنا اتصال بطريق كميل بن زياد من جهة الشيخ نجم الدين الكبري من طريق شيخه إسماعيل القصري لا من طريق عمار بن ياسر، وقد مرّ بعض أسانيدنا إلى النجم الكبري، ولنورد غيره تبركاً وتأييداً، فنقول لبست الخرقة من شيخنا أبي المواهب أحمد بن علي الشناوي (قدس سره)، وهو من والده علي بن عبد القدوس الشناوي، وهو من الشيخ عبد الوهاب الشعراني، وهو من شيخ الإسلام زين الدين أبي يحيى زكريا بن محمد الأنصاري السنيكي القاهري، وهو من الشمس أبي عبد الله محمد بن عمر الواسطي الأصل الغَمري، وهو من الشيخ أبي العباس أحمد الزاهد، وهو من الشهاب الدمشقي، وهو من عبد الله الشرفي، وهو من أحمد الروذباري، وهو من الشيخ رضي الله علي بن سعيد بن عبد الجليل الغزنوي المعروف بلالا، وهو من المجد البغدادي، وهو من الشيخ نجم الدين أبي الجناب أحمد بن عمر بن محمد الخوارزمي الخيوقي المشهور بالكبري، وهو من الشيخ إسماعيل القصري، وهو من الشيخ محمد المانكيل، وهو من الشيخ داود بن محمد المعروف بخادم الفقراء، وهو من الشيخ أبي العباس بن إدريس، وهو من الشيخ أبي القاسم بن رمضان، وهو من الشيخ أبي يعقوب الطبري، وهو من الشيخ عبد الله بن عثمان، وهو من الشيخ أبي يعقوب النهرجوري، وهو من الشيخ أبي يعقوب السوسي، وهو من عبد الله بن زيد، وهو من كُميل بن زياد، وهو من علي بن أبي طالب (ﷺ) وقدّس أسرارهم جميعاً.

وعلي (ﷺ) لبسها من يد النبي (ﷺ)، فقد روينا بالسند السابق إلى الحافظ جلال الدين السيوطي أنه قال في جامعه الكبير معزواً إلى ابن أبي شيبة، والطيالسي وابن منيع، والبيهقي ما نصه: «عَنْ عَلِيٍّ، (ﷺ) قَالَ: عَمَّمَنِي رَسُولُ اللهِ (ﷺ) يَوْمَ غَدِيرِ خُمٍّ بِعِمَامَةٍ سَدَلَهَا خَلْفِي ثُمَّ قَالَ: "إِنَّ اللهَ أَمَدَّنِي يَوْمَ بَدْرٍ، وَحُنَيْنٍ بِمَلَائِكَةٍ يُعْتَمون هَذِهِ الْعِمَّةَ"، وَقَالَ: "إِنَّ الْعِمَامَةَ حَاجِزَةٌ بَيْنَ الْكُفْرِ وَالْإِيمَانِ، وفي لفظ بينَ المسلمينَ والمُشركِين»[1] الحديث.

---

(١) أخرجه الطيالسي في مسنده: ١/ ١٣٠، برقم (١٤٩)، والسنن الكبرى، للبيهقي، باب التحريض على الرمي: ١٠/ ١٤.

وقال معزواً إلى ابن شاذ أن في مشيخته: «عَنْ عَلِيٍّ (ﷺ) أَنَّ النَّبِيّ (ﷺ) عَمَّمَهُ فَذَنَّبَ الْعمامَةَ مِنْ وَرَائِهِ، وَمِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ، ثُمَّ قَالَ لَهُ النَّبِيّ (ﷺ): أَدْبِرْ، فَأَدْبَر، ثُمَّ قَالَ لَهُ: أَقْبِلْ، فَأَقْبَلَ عَلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ النَّبِيّ (ﷺ): هَكَذَا تَكُونُ تِيجَانُ الْمَلَائِكَةِ»[1] انتهى.

وقال في فتاواه الفقهية من كتابه الحاوي الفتاوي في باب اللباس، قال الطبراني حدثنا بكر ابن سهيل نا عبد الله بن يونس نايجي ابن حمزة أنا أبو عبيدة الحمصي عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُسْرٍ قَالَ: «بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) عَلِيَّ بْنَ أبي طَالِبٍ إلى خَيْبَرَ فَعَمَّمَهُ بِعِمَامَةٍ سَوْدَاءَ ثُمَّ أَرْسَلَهَا مِنْ وَرَائِهِ - أو قَالَ: عَلَى كَتِفِهِ الْيُسْرَى»[2] انتهى.

وأورده في فتاواه التفسيرية في آل عمران وقال رواه في الكبير وإسناده حسن انتهى. وقد مر إسنادنا إلى المعجم الكبير من طريق النور الهيثمي صاحب البدر المنير.

تأييد: وبالسند السابق إلى الحافظ جلال الدين السيوطي قال في زاد المسير: قال ابن الصلاح من القرب لبس الخرقة [3]، وقد استخرج لها بعض المشايخ أصلاً من سنة النبي (ﷺ) وهو حديث أم خالد فذكر الحديث الذي ذكره السهروردي في العوارف، وهو مخرج في الصحيحين، ثم قال السيوطي (رحمه الله) وقد استنبطت للخرقة أصلاً أوضح مما تقدم وهو ما أخرجه البيهقي في شعب الإيمان من طريق عطاء الخراساني: «أَنَّ رَجُلاً أَتَى ابْنَ عُمَرَ وَهُوَ فِي مَسْجِدِ مِنًى فَسَأَلَهُ عَنْ إِرْخَاءِ طَرَفِ الْعِمَامَةِ فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللهِ، إِنَّ رَسُولَ اللهِ (ﷺ) بَعَثَ سَرِيَّةً وَأَمَّرَ عَلَيْهَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ وَعَقَدَ لِوَاءً فَذَكَرَ الْحَدِيثَ إلى أَنْ قَالَ وَعَلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ عِمَامَةٌ مِنْ كَرَابِيسٍ مَصْبُوغَةٌ بِسَوَادٍ، فَدَعَاهُ رَسُولُ اللهِ (ﷺ) فَحَلَّ عِمَامَتِهِ، ثُمَّ عَمَّمَهُ بِيَدِهِ وَأَفْضَلُ عِمَامَتِهِ، مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعَ أو نَحْوِ ذَلِكَ فَقَالَ: «هَكَذَا فَاعْتَمَّ فَإِنَّهُ أَحْسَنُ وَأَجْمَلُ»[4]، وفي الجامع الكبير: «كَانَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ) لَا يُوَلِّي وَالِياً حَتَّى يُعَمِّمَهُ، وَيُرْخِيَ لَهَا عَذَبَةً مِنْ

---

(١) جمع الجوامع: ١٨/ ٤٦٥، برقم (٢٥٩٦).

(٢) وجدته في مجمع الزوائد، للهيثمي: ٥/ ٢٦٧، برقم (٩٣٨١) وقال: رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ عَنْ شَيْخِهِ بَكْرِ بْنِ سَهْلٍ الدِّمْيَاطِيِّ قَالَ الذَّهَبِيُّ: وَهُوَ مُقَارِبُ الْحَدِيثِ.

(٣) لم أجده في زاد المسير.

(٤) شعب الإيمان، فصل في العمائم: ٨/ ٢٩٠، برقم (٥٨٤٠).

جَانِبِ الْأَيْمَنِ نَحْوَ الْأُذُنِ»[1]، عن أبي أمامة قال الفربري بإسناد ضعيف، انتهى.

وأخرج أبو داود والبيهقي عن عبد الرحمن بن عوف قال: «عَمَّمَنِي رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ)، فَسَدَلَهَا بَيْنَ يَدَيَّ، وَمِنْ خَلْفِي»[2] فالاستدلال بهذا الإلباس للخرقة انسب والله اعلم، انتهى.

قلت: هو كذلك أي؛ إنّ الاستدلالَ بحديث ابن عوف لإلباس الخرقة ولإثبات الكيفية وأيضا للإرسال من خلفه وبين يديه، ولفعله ذلك بيده، وفي علي (ﷺ) عممه وأرسلها من بين كتفيه فهذا الاستدلال أنسب من الاستدلال بحديث أم خالد، ولكن الاستدلال بما نقلناه من جامعه الكبير وفتاواه، أعني حديث علي بن أبي طالب (ﷺ) انسب من الاستدلال بحديث ابن عوف لوضوح أن السلاسل لا تنتهي إلى ابن عوف وإنما تتصل بعلي بن أبي طالب (ﷺ) وعن سائر الصحابة أجمعين.

وفي حديث عبد الرحمن بن عوف أثبات أصل الإلباس وأنّه سنة مشروعة لمن تبعها من الكبراء من تابعيه مطلقاً، والآخر هو الأخص لما ذكروا، الله اعلم.

♦**تنبيه:**

قال الشيخ شهاب الدين أحمد بن محمد بن حجر الهيتمي المكي في (اشرف الوسائل إلى فهم الشمائل) «وعن عائشة (رضي الله عنها) قلت عَمّم رسولُ الله (ﷺ) عبدَ الرحْمَن ابن عوف وأرخَى موضِع أربعَ أصَابع»[3]، رواه الطبراني في الأوسط وشيخه مقدام بن داود ضعيف، وقد وثق، وعنها: «عَمَّمَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ، وَأَرْخَى لَهُ أَرْبَعَ أَصَابِعَ، وَقَالَ: إِنِّي لَمَّا صَعِدْتُ إِلَى السَّمَاءِ رَأَيْتُ أَكْثَرَ الْمَلَائِكَةِ مُعْتَمِّينَ»[4] هكذا رواه ابن عساكر، والترمذي كما قاله إلى فهم الشمائل، في باب ما جاء في عمامة رسول الله (ﷺ): "اعلم أنه (ﷺ) كان له

---

(١) الطبراني في الكبير: ٨/ ١٤٤، برقم (٧٦٤١)، قال الهيثمي في المجمع: ٥/ ١٢٠: فيه جَمِيعُ بْنُ ثَقت وَهُوَ مَتْرُوكٌ.

(٢) سنن أبي داود، باب في العمائم: ٤/ ٥٥، برقم (٤٠٧٩)، والبيهقي في الكبرى، باب التحريض على الرمي: ١٠/ ١٤.

(٣) أشرف الوسائل إلى فهم الشّمائل، لابن حجر الهيثمي: ص/ ١٧٢.

(٤) الطبراني في الأوسط، باب من اسمه مقدام: ٨/ ٣٦٩، برقم (٨٩٠١)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد: ٥/ ١٢٠: رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ عَنْ شَيْخِهِ مِقْدَامِ بْنِ دَاوُدَ.

عمامة تسمى السحاب وكان يلبس تحتها القلانس -جمع قلنسوة- وهي غشاء مبطن يستر به الرأس قاله الفراء وقال غيره هي التي تسميها العامة الشاشية، وروى الطبراني وأبو الشيخ والبيهقي في الشعب من حديث ابن عمر كان رسول الله (ﷺ) يلبس قلنسوة بيضاء مضرّبة وقلنسوة ذات آذان يلبسها في السفر وربما وضعها بين يديه إذ أخلا وإسناده ضعيف، ولأبي داود والمصنف يعني: الترمذي «فَرْقُ مَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْمُشْرِكِينَ، الْعَمَائِمُ عَلَى الْقَلَانِسِ»[1] قال المصنف غريب وليس إسناده بالقائم»[2]، وقال في الكلام على قوله سوداء في صفة عمامته (ﷺ) قيل: لم يكن سوادها أصلياً بل لحكايتها ما تحتها من المِغْفر، وهذا تكلف لا دليل له ولا معنى يعضده، بل في مسلم: «رأيت النبي (ﷺ) عَلَى الْمِنْبَرِ وَعَلَيْهِ عِمَامَةٌ سَوْدَاءُ قَدْ أَرْخَى طَرَفَيْهَا بَيْنَ كَتِفَيْهِ»[3] وهو (ﷺ) لم يخطب في مكة على منبر، بل على باب الكعبة.

قال وبما ذكرته من خبر مسلم يندفع قول بعضهم في الخبر الآتي الذي أطلق فيه أنه رآه وعليه عمامة سوداء هذا خاص بفتح مكة، وروى ابن أبي شيبة: «أنه دَخَلَ مَكَّةَ يَوْمَ الْفَتْحِ وَعَلَيْهِ عِمَامَةٌ سَوْدَاءُ»[4] قال وقد لبس السواد جماعة: كعلي يوم قتل عثمان[5] وغيره وكالحسن كان يخطب بثياب سود وعمامة سوداء[6] وابن الزبير كان يخطب بعمامة سوداء[7]، ومعاوية فإنه لبس عباءة سوداء وجبة سوداء وعصابة سوداء إلى أن قال وابن عباس كان يعتم بها[8].

ثم بعد ما ساق حديث هبوط جبريل وعليه قباء أسود وعمامة سوداء، قال: والخلفاء

---

(١) سنن أبي داود، باب في العمائم: ٢/ ٣٧٦، برقم (٢٤).

(٢) أشرف الوسائل: ص/ ١٦٩ -١٧٠.

(٣) صحيح مسلم، باب جَوَازِ دُخُولِ مَكَّةَ بِغَيْرِ إِحْرَامٍ: ٤/ ١٢، برقم (٣٣٧٨) عن عَمْرِو بْنِ حُرَيْثٍ.

(٤) المصنف، لابن أبي شيبة، باب في العمائم السود: ٥/ ١٧٩، برقم (٢٤٩٦٥).

(٥) روى ابن أبي شيبة في مصنفه، باب في العمائم السوداء: ٥/ ١٧٨، برقم (٢٤٩٥١): عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ الْأَنْصَارِيِّ، قَالَ: «رَأَيْتُ عَلَى عَلِيٍّ عِمَامَةً سَوْدَاءَ يَوْمَ قُتِلَ عُثْمَانُ».

(٦) روى ابن ماجه في سننه، باب ما جاء في الخطبة يوم الجمعة: ١/ ٣٥١، برقم (١١٠٤): عَمْرِو بْنِ حُرَيْثٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: رَأَيْتُ النَّبِيَّ (ﷺ) «يَخْطُبُ عَلَى الْمِنْبَرِ، وَعَلَيْهِ عِمَامَةٌ سَوْدَاءُ».

(٧) ينظر: عون المعبود، للعظيم آبادي: ١١/ ٨٩.

(٨) ينظر: أشرف الوسائل: ص/ ١٧٠.

العباسيون باقون على لبس السواد[1]، وهو المذكور أولا لأنه كان من لباس شيخنا أحمد بن علي القرشي العباسي، ومما لبسناه منه، وألْبَسَناه عنه كما سلف، وألبسناه من يد ابن أخيه سيدي جمال الدين بن عبد القدوس بن علي والد شيخنا أحمد (رحمهم الله) ونفع بهم أمين.

وكثير من الخطباء على المنابر ومتعمديهم ما مرّ من دخوله (ﷺ) مكة بعمامة سوداء أرخى طرفها بين كتفيه وخطبته بها لتفاؤل الخلفاء بذلك لأنه نصرٌ وعز وسؤدد.

ثم قال في قول الشمائل سدلَ عمامته[2] أي؛ أرخى طرفها، وفي رواية عند أبي محمد ابن حبان عن ابن عمر (رضي الله عنهما) أيضاً: «أنه قيل له كيف كان يعتم (ﷺ) فقال: كَانَ يُدِيرُ كَوْرَ الْعِمَامَةِ عَلَى رَأْسِهِ وَيُغْرِزُهَا مِنْ وَرَائِهِ وَيُرْسِلُ لَهَا شَيْئاً بَيْنَ كَتِفَيْهِ»[3] رواه مسلم كما مر، وروى ابن أبي شيبة «عنْ عليٍّ (ﷺ) أنه (ﷺ) عمّمَه بعمامَة وسَدَل طَرفَها أعْلَى منكبه»[4]، وأبو داود «أنه عَمّم ابنَ عَوْف وسَدَلها بينَ يديهِ ومِن خَلفه»[5] ولا تنافي؛ لأن السدل يحصل بكل لكن الأفضل أن يكون بين الكتفين لأنه الذي صحّ من فعله (ﷺ) بنفسه ويحتمل أنّ السدل من وراء وأمام إنما يسن لمن أراد أرخاء طرفيها وأما من اقتصر على طرف فالأفضل له بين الكتفين، ثم المنكب، انتهى.

♦ **تبصرة:**

في تذنيب العمامَة وإرخاء العذبة إشارة إلى استنزال الإمداد الإلهي للّابس من بين يديه ومن خلفه في متقابلات أفعاله كالإقبال والإدبار والكر والفر والأمر والنهي والائتمار والانتهاء في الظاهر والباطن والغيب والشهادة فإنّ المريد السالك من المجاهدين معنى كما أن الملائكة يوم بدر، وكذا أمراء السرية من المجاهدين حسّا، فيفتقر المالك إلى الإمداد الإلهي كافتقارهم أو أشد.

---

(١) ينظر: تاريخ الإسلام، للذهبي: ١٤/ ١٧.

(٢) الشمائل المحمدية، للترمذي: ص/ ٨٣.

(٣) رواه ابن حبان في المجروحين: ٣/ ١٥٣، برقم (١٢٦٨)، ووجدته في أخلاق النبي لأبي الشيخ الأصفهاني: ١/ ٣١٧.

(٤) سبق تخريجه.

(٥) سبق تخريجه وهو عند الطبراني في الأوسط وليس أبي داود.

فصل

ولنا أيضاً اتصال بأوَيس القرني من غير طريق الغوث (قدس سره) فلنورده ها هنا تبركاً وتأييداً، وذلك من طريق الشيخ شهاب الدين عمر بن محمد السهروردي، وطريق الشيخ محي الدين محمد بن علي بن العربي (قدس الله سرهما).

فأما طريق السهروردي فهو أني لبست الخرقة من يدِ شيخِنا أبي المواهب أحمد بن علي القرشي العباسي الشناوي (قدس سره)، وهو من والده علي بن عبد القدوس الشناوي، وهو من الشيخ عبد الوهاب بن أحمد الشعراني، وهو لبسها من يد شيخ الإسلام القاضي زين الدين أبي يحيى زكريا بن محمد الأنصاري وأرخى له العَذَبة[1]، وذلك في محرم الحرام سنة أربع عشرة وتسعمائة، وهو لبسها من الشيخ شهاب الدين أحمد بن الفقيه علي بن محمد الدمياطي الشهير بالزلباني، وهو من الشيخ زين الدين أبي بكر بن محمد الخوافي، وهو من الشيخ زين الدين عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن عبد السلام القرشي الشبريسي ثم القاهري، وهو من الشيخ أبي المحاسن جمال الدين يوسف بن عبد الله الكوراني العجمي الذي قال فيه الشعراني هو الذي أحيى طريق الجنيد بمصر بعد اندراسهما، وهو من الفقيه حسن الشمشيري، والشيخ نجم الدين محمود بن سعد الله الأصفهاني بلباس أولهما عن ثانيهما، وكذا عن الشيخ بدر الدين محمود الطوسي، وهما لبسا من الشيخ نور الدين عبد الصمد النطيري، وهو من الشيخ نجيب الدين علي ابن بزغش الشيرازي، وهو من الشيخ شهاب الدين عمر بن محمد بن عبد الله السهر وردي وهو من عمه الشيخ ضياء الدين أبي النجيب عبد القاهر بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن سعد السهروردي، وهو من عمه الشيخ وجيه الدين عمر بن محمد المعروف بعمويه السهروردي، وهو من والده الشيخ المعمر محمد عمويه ابن عبد الله بن سعد السهروردي، ومن الشيخ أخي فرج الزنجاني كلاهما يد أحدهما مشاركة ليدِ الآخر، فأما أبو عمويه في الشيخ أحمد الأسود الدينوري، وهو من الشيخ ممشاد علو الدينودي الزنجاني فمن الشيخ أبي العباس النهاوندي، وهو من شيخ مشائخ وقته وأعلمهم بالعلوم الظاهرة القائل فيما أسنده عنه الحافظ ابن عساكر ما سمعت شيئا من سُنَن النبي (ﷺ)

---

(١) العَذَبة وهي طَرَفُ الشيء. لسان العرب، مادة (عذب): ١/ ٥٨٣.

إلا استعملته حتى الصلاة على أطراف الأصابع الشيخ أبي عبد الله محمد بن خفيف الشيرازي، وهو من الشيخ أبي محمد رويم بن أحمد البغدادي، وهما أي ممشاد ورويم لبسا من سيد الطائفة أبي القاسم الجنيد بن محمد بن الجنيد البغدادي القائل ما أخرج الله إلى أرض علماً، وجعل للخلق إليه سبيلاً إلا وقد جعل لي فيه حظاً ونصيباً نقله عنه التاج السبكي في الطبقات الكبرى، قال وكان وردُه في سوقه كل يوم ثلاثمائة ركعة وثلاثين ألف تسبيحة، وقال ما نزعت ثوبي للفراش منذ أربعين سنة، وكان عشرين سنة لا يأكل إلا من الأسبوع إلى الأسبوع، ويصلي كل ليلة أربعمائة ركعة، انتهى.

وهو من جعفر الحذاء، وهو من أبي عمرو الاصطخري، وهو من أبي تراب عسكر بن الحصين النخشبي، وهو من أبي علي شقيق بن علي بن إبراهيم البلخي، وهو من أبي إسحاق إبراهيم بن ادهم بن منصور العجلي وقيل التميمي البلخي، وهو من موسى بن يزيد الراعي، وهو من أبي عمرو أويس بن عامر القرني، وهو من عمر بن الخطاب وعلي ابن أبي طالب (رضي الله تعالى عنهما) قدس أسرارهم أجمعين.

وأما طريق الشيخ محي الدين بن العربي فهو أني لبست الخرقة من شيخنا أبي المواهب أحمد بن علي الشناوي (قدس سره)، وهو من والده علي بن عبد القدوس، وهو من الشيخ عبد الوهاب الشعراني، وهو من يد الحافظ أبي الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي في روضة مصر في ثاني عشر ربيع الأول سنة (٩١١)، وهو لبسها من يد الشيخ كمال الدين محمد بن محمد بن عبد الرحمن الشافعي المعروف بابن أمام الكاملية تجاه الكعبة المشرفة في شوال سنة (٨٦٩)هـ، وهو لبسها من الشيخ شمس الدين محمد بن محمد بن الجزري، وهو لبسها من الشيخ زين الدين أبي حفص عمر بن الحسن بن يزيد بن أُميلة المراغي، وهو لبسها من الإمام عز الدين أحمد بن إبراهيم الغاروثي، وهو لبسها من الإمام محي الدين محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن العربي الحاتمي الطائي الأندلسي، قال في (رسالة الخرقة) ما نصه أني لبست الخرقة أيضاً بمدينة فاس بالمسجد الأزهر بعين الخيل سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة من يدِ زكي الدين أبي عبد الله محمد بن قاسم بن عبد الرحمن بن عبد الكريم التميمي الفاسي العدل، ومن يد تقي الدين عبد الرحمن بن علي بن ميمون بن آب التوزي

المصري بمسجد ابن الحدسات الجديد من اشبيلية (حماها الله) سنة ست وثمانين وخمسمائة، وكلاهما لبِسا من يد أبي الفتح محمود بن أحمد بن علي المحمودي، ولبس المحمودي من يد أبي الحسن علي بن محمد البصري، ولبس البصري من يد أبي الفتح ابن شيخ الشيوخ، ولبس أبو الفتح من يد أبي إسحاق بن شهريار المرشد، ولبس المرشد من يد حسين الأكّار، ولبس الأكّار من يد أبي عبد الله بن خفيف، وابن خفيف صحب جعفر الحذاء، والحذاء صحب أبا عمرو الاصطخري، والاصطخري صحب أبا تراب النخشبي، وأبو تراب صحب شقيقاً البلخي، وشقيق صحب إبراهيم بن ادهم، وابن أدهم صحب موسى بن يزيد الراعي، وموسى صحب أويساً القرني، وأويس صحب عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب، وكلاهما صحبا محمداً رسول الله (ﷺ) وأخذا عنه وتأدّبا بآدابه، انتهى ما قال (ﷺ) وقدس أسرارهم أجمعين.

♦ **تنبيه:**

ولم يصرح الشيخ (قدس سره) من ابن الخفيف إلى منتهى السند باللبس، وإنّما ذكر الصحبة بناء على عدم ثبوت الاتصال عنه كما دلّ عليه كلامُه في الفتوحات المكية في الباب الخامس والعشرين فإنه بعدما حكى ما جرى له مع سيدنا الخضر (عليه السلام) قال ما نصه: "واجتمع معه رجل من شيوخنا وهو علي بن عبد الله بن جامع من أصحاب علي المتوكل وأبي عبد الله قضيب البان كان يسكن بالمقلى خارج الموصل في بستان له، وكان الخضر (عليه السلام) قد ألبسه الخرقة بحضور قضيب البان، والبسنيها الشيخ بالموضع الذي ألبسه فيه الخضر من بستانه، وبصورة الحال التي جرت له معه في إلباسه إياها وقد كنت لبست خرقة الخضر بطريق أبعد من هذا من يد صاحبنا تقي الدين عبد الرحمن بن علي بن ميمون بن آب التوزري، وهو لبسها من يد صدر الدين شيخ الشيوخ بالديار المصرية وهو محمد بن حمويه، وكان جده قد لبسها من يد الخضر (عليه السلام) ومن ذلك الوقت قلت بلباس الخرقة وألبستها الناس لما رأيت الخضر قد أعتبرها، وكنت قبل ذلك لا أقول بالخرقة المعروفة الآن فإن الخرقة عندنا إنما هي عبارة عن الصحبة والأدب والتخلق، ولهذا لا يوجد لباسها متصلاً برسول الله (ﷺ) ولكن يوجد صحبةً وأدباً وهو المعبر عنه بلباس التقوى فجرت عادة أصحاب الأحوال إذا رأوا أحداً من أصحابهم عنده نقص في أمرها وأرادوا أن يكملوا له حاله يتحد به هذا الشيخ، فإذا اتّحد به أخذ ذلك الثوب الذي عليه في حاله ذلك الحال ونزعه وأفرغه على

الرجل الذي يريد تكملة حالَه ويضمه فيسرى فيه ذلك الحال فيكمل له ذلك الأمر، فهذا هو اللباس المعروف عندنا والمنقول عن المحققين من شيوخنا، انتهى[1].

فصرح بأنه لم يتحقق عنده لباسها متصلاً برسول الله (ﷺ) وأنه إنما اقتدى في ذلك بسيدنا الخضر (عليه السلام)، وكذلك كلامه في (رسالة الخرقة) يدلّ على أنه إنما اقتدى في ذلك بالمشايخ حيث قال بعد تمهيد سيجيء نقله إن شاء الله تعالى ما نصه فظهر الجمع بين اللبستين من زمان الشبلي وابن خفيف إلى هلم جرا، فجرينا على مذهبهم في ذلك فلبسناها من أيدي مشايخ جمة سادات بعد أن صحبناهم وتأدّبنا بآدابهم ليصحّ اللباس ظاهراً وباطنا انتهى.

وحيثُ إنّ هذا أمرٌ متعلق بالرواية لا بكشف الحقائق فخلافُ أهلها معتبر، وقد أثبته جماعة ممن جمع بين الفقه والحديث والتصوف، ومن المقرّر في الأصول كما مر أنّ المثبِت مقدّمٌ على النافي، وقد قال الشيخ محي الدين (قدس سره) في الباب التاسع والستين من الفتوحات المكية ما نصه: "ولا يعتبر عندنا ما يخالفنا فيه علماء الرسوم إلا في نقل الأحكام المشروعة فإن فيها تساوي الجميع ويعتبر فيها المخالف بالقدح في الطريق الموصل أو في المفهوم باللسان العربي وأما في غير هذرا فلا يعتبر إلا مخالفة الجنس وهذا سار في كل صنف من العلماء بعلم خاص"[2] انتهى بلفظه (قدس سره)، وفيه الكفاية والحمد لله رب العالمين.

ولكن ينبغي أن يقيّد بما ذكره في كتابه (عقلة المستوفر) حيث قال ما نصه: "ثم نقول إنّا ما أوردنا شيئا مما ذكرناه أو نذكر من جزئيات العالم إلا وإسناد نافيه إلى خبر نبوي بصحة الكشف، ولو كان ذلك الخبر مما تُكُلّم في طريقه فنحن لا نعتمد فيه إلا على ما يخبر به رجال الغيب (رضي الله عنهم)" انتهى.

فالحاصلُ أنّ كلّ حديث تكلم في طريقه أئمة الجرح والتعديل فإنّ حكمهم معتبر إلا ما صححه الكشف فإنّ الحكم للكشف وإنْ ضعّفه أئمة النقل، وربَّ حديث يورده في الفتوحات يقول فيه ما معناه صحيح كشفاً غير ثابت نقلاً كقوله في الباب الثاني والثلاثمائة ما نصّه: "ولقد وردَ في حديث نبوي صحيح عند أهل الكشف، ولم تثبت طريقه عند أهل النقل لضعف الراوي،

---

(١) الفتوحات المكية، لابن عربي: ١/ ١٩٦.

(٢) الفتوحات المكية: ١/ ٤٩٧.

ولقد صدق فيه، قال: قال رسول الله (ﷺ): «لولا تزيِيد في حَدِيثكم وتَمْزِيج في قلوبِكُم لرأَيْتُم ما أَرى ولَسَمِعتم ما أَسْمع»[1] انتهى.

وسيجيء النقل عنه في شرح (الرسالة اليوسفية) أنه قال: "وقال في الخبر الصحيح نقلاً وكشفاً.." الخ فاتفقا على التصحيح، ومن هنا قالوا في أصول الحديث إذا وجدت حديثاً بإسناد ضعيف فلكَ أن تقول هذا ضعيف، وتعني بذلك الإسناد وليس لك أن تعني بذلك ضعفه مطلقاً بناءً على ضعف ذلك الطريق، إذ لعلّ له إسناداً آخر صحيحا ثبت بمثله الحديث، والله أعلم وبالله التوفيق.

وممن أثبت اللباس من طريق أُويس القرني (قدس سره) الحافظ الصوفي الشيخ نور الدين أبو الفتوح أحمد بن عبد الله بن أبي الفتوح الطاووسي (قدس الله روحه) وأعلاه في أعلى غرف الجنان فتوجّه في رسالته (جمع الفرق) وكذلك الشيخ جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن عبد الله الكوراني العجمي في رسالته (ريحان القلوب) صرح باللباس من ابن خفيف إلى أُويس إلى عمر وعلي (رضي الله عنهما) كما صرح به منه إلى ابن خفيف.

♦ **تكملة:**

ذكر الحافظ السخاوي في (المقاصد الحسنة) ما نصه: "حديث لبس الخرقة الصوفية وكون الحسن البصري لبسها من علي(ﷺ)، قال ابن دحية وابن الصلاح أنه باطل، وكذا قال شيخُنا أنه ليس في شيء من طرقه ما يثبت، ولم يرِدْ في خبر صحيح ولا حسن ولا ضعيف أن النبي (ﷺ) ألبس الخرقة على الصورة المتعارفة بين الصوفية لأحد من أصحابه، ولا أمر أحداً من أصحابه يفعل ذلك، وكل ما يروى في ذلك صريحاً فباطل قال ثم إن من الكذب المفترى قول من قال: إنّ علياً ألبس الخرقة الحسن البصري فإنّ أئمة الحديث لم يثبتوا للحسن من علي (ﷺ) سماعاً فضلا عن أن يلبسه الخرقة"[2] انتهى.

قلت: أما ما نقله من القدح في سماع الحسن البصري من علي (ﷺ) فقد مرّ ما فيه الكفاية لردّه من الوجوه التي ذكرها الحافظ السيوطي في (الإتحاف)، بلْ مرّ أن الحافظ ابن حجر

---

(١) لا أصل له عند أهل الحديث وقد أورده ابن عربي في الفتوحات في ثلاثة مواطن: ١/ ١٤٣، ٤/ ٤٥٣، ٥/ ١١٠.

(٢) المقاصد الحسنة: ص/ ٥٢٧.

نفسه رجّح سماعه وصححه فإثباته لسماعه (في أطراف المختارة) كما نقله عنه السيوطي فيما مرّ مقدّم على نفيِه له فيما نقله عنه السخاوي، إذْ قد مرّ أن المثبتَ مقدمٌ على النافي؛ لأنّ معه زيادة علم، وقد تقدم ما يدلّ على تحقق زيادة علم، إذ قد مرّ في حديث «إِنَّ مَثَلَ أُمَّتِي مَثَلُ الْمَطَرِ»[1] الحديث، أن الحسن قال سمعت علياً الخ، وقال هو نقلا عن الصيرفي أنّه نص صريح في سماع الحسن من علي (ﷺ) ورجاله ثقات والحسن وإن قالوا أنه كان يدلس لكنه ثقة، قال الحافظ ابن حجر في تقريب التهذيب الحسن بن أبي الحسن البصري واسم أبيه يسار بالتحتانية والمهملة الأنصاري مولاهم ثقة فقيه فاضل مشهور، وكان يرسل كثيرا ويدلّس وهو رأس الطبقة الثالثة مات سنة عشر ومائة وقد قارب التسعين[2] انتهى.

ومن المقرّر أنّ المدلس الثقة إذا عبّر في روايته عن شيخه بصيغةٍ صريحة في السماع كسمعت، وحدثني، فروايته مقبولة وإسنادُه متصِل فرواية الحسن في الحديث المذكور مقبولة وإسناده متصل لكونِه ثقة صرح بلفظ سمعت، وكلما صح السماع انتفى خدش الخادشين في وصل الخرقة، وقد مرّ أنه إذا انتفى سبب الخدش وقد وصله من هو ثقة ومقبول ظهر أنّ ما حكم بانقطاعه مرفوع موصول وبالله التوفيق، والله أعلم.

وأما قوله: "ولم يرد أنّ النبي (ﷺ) ألبس الخرقة على الصورة المتعارفة بين الصوفية لأحدٍ من أصحابه.." الخ، فليس فيه إلا نفي ورود الكيفية المخصوصة لهم، وأما الكيفية المخصوصة من فعله (ﷺ) فقد فعلها بعليّ بن أبي طالب وعبد الرحمن بن عوف في إلباس العمامة، وبالعباسِ وولدِه، فحصلَ عند كلّ أحدٍ من هؤلاء كيفية، فدلّ على الإطلاق وجواز الكيفيات بعد ثبوت الإلباس أيضاً بالعمامة والانبجانية[3] وغيرها، فنفيُ الكيفية كما ذكر غير قادح، إذ لا يلزم من ذلك نفيُ أصلِ الإلباس بغير تلك الكيفية، وهو ظاهر أولاً، ومما يقرر الكيفيّة حلّ عمامة عبد الرحمن وإنشاءها إذا أرادها على تلك الكيفية التي فعلها به، وأرخى طرفاً بين كتفيه

---

(١) تمام الحديث: «إِنَّ مَثَلَ أُمَّتِي مَثَلُ الْمَطَرِ، لَا يُدْرَى أَوَّلُهُ خَيْرٌ أو آخِرُهُ» أخرجه أحمد في مسنده: ١٩/ ٣٣٤، برقم (١٢٣٢٧) قال الأرناؤوط: قوي بشواهده، والترمذي في سننه: ٤/ ٤٤٩، برقم (٢٨٦٩) قال الترمذي غريب من هذا الوجه.

(٢) تقريب التهذيب: ١/ ١٦٠.

(٣) انجبانية: ضرب من نسيج الصوف الغليظ له خمل تكملة المعاجم ج/ ١ ص١٩٥.

وطرفاً من بين يديه، ولم يفعل ذلك في إلباس علي، بل بين كتفيه، وقال: «إِنَّ اللهَ أَمَدَّنِي يَوْمَ بَدْرٍ، وَحُنَيْنٍ بِمَلَائِكَةٍ يُعْتِمُونَ هَذِهِ الْعِمَّةَ»[1]، وهذا سندٌ أيضاً بالرفع، إذ الملائكة لا يفعلون إلا ما يؤمرون، فهو متصل السند بهذه الصورة والكيفية إلى الله تعالى، فحصلَ أصلُ الإلباس وبعض الكيفيّات، ودعا إلى السند الحسن فالكلّ به وله.

وفي الروايةِ الأخرى لعلي(ﷺ) «فَذَنَّبَ الْعمامَةَ مِنْ وَرَائِهِ، وَمِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ، ثُمَّ قَالَ لَهُ النَّبِيُّ (ﷺ) أَدْبِرْ، فَأَدْبَر، ثُمَّ قَالَ لَهُ: أَقْبِلْ، فَأَقْبَلَ عَلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ النَّبِيّ (ﷺ) هَكَذَا تَكُونُ تِيجَانُ الْمَلَائِكَةِ»[2]، وكلّ هذه كيفيّات لمن أدركها، فأصلُ الإلباس وأصلُ الكيفية ثابت والمتعارف موسّع فيها لعدمِ الحصر، وللإذن في السند الحسن ولا سند باختلاف الحقيقة ولا قادح يرى أن الشيخ شهاب الدين السهروردي (قدس سره) قد قال في العوارف ولا خفاء بأنّ لبسّ الخرقة على الهيئة التي يعتمدها الشيوخ في هذا الزمان لم تكن في زمان رسول الله (ﷺ) وهذه الهيئة والاجتماع لها والاعتداد بها من استحسان الشيوخ، انتهى.

ومع أنّه لم يذكر هذا الكلام إلا بعد ما روى حديث أم خالد بسندِه المثبت لأصل اللبس بكيفيةٍ ما، مع أنه مخرج في الصحيح فظهر أن عدمَ ورود الكيفية المخصوصة لا ينافي ورود أصل اللبس بغير تلك الكيفية على أنه قد ثبت تعدّد الإلباس منه (ﷺ) بكيفيات مختلفة كما مر، وهو دليلٌ على أنّ الأمر فيه توسعة وليس محصوراً في كيفية خاصة ولا في ثوب خاص ولا مختص بالذكر ولا بالأنثى ولا بالصغير ولا بالكبير، فقد مرّ أنه ألبس علياً وابن عوف العمامةَ وأرخى للأول طرفها، وللثاني طرفيها وكلاهما كيفية، وثبتَ في حديثِ أمّ خالد أنه ألبسها خميصة سوداء صغيرة بيده وقال لها: «أَبْلِي وَأَخْلِقِي»[3]، وثبت في حديث ابن عباس

---

(١) أخرجه البيهقي في الكبرى، باب التحريض على الرمي: ١٠/ ١٤، برقم (١٩٧٣٦).

(٢) جمع الجوامع، للسيوطي، ما ورد في علي (ﷺ): ١٨/ ٤٦٥، برقم (٢٥٩٦).

(٣) صحيح البخاري، بَاب الْخَمِيصَةِ السَّوْدَاءِ: ٧/ ١٤٨، برقم (٥٨٢٣) تمام الحديث: «عَنْ أُمِّ خَالِدٍ بِنْتِ خَالِدٍ أُتِيَ النَّبِيُّ (ﷺ) بِثِيَابٍ فِيهَا خَمِيصَةٌ سَوْدَاءُ صَغِيرَةٌ فَقَالَ مَنْ تَرَوْنَ أَنْ نَكْسُوَ هَذِهِ فَسَكَتَ الْقَوْمُ قَالَ ائْتُونِي بِأُمِّ خَالِدٍ فَأُتِيَ بِهَا تُحْمَلُ فَأَخَذَ الْخَمِيصَةَ بِيَدِهِ فَأَلْبَسَهَا وَقَالَ أَبْلِي وَأَخْلِقِي وَكَانَ فِيهَا عَلَمٌ أَخْضَرُ أو أَصْفَرُ فَقَالَ يَا أُمَّ خَالِدٍ هَذَا سَنَاهْ وَسَنَاهْ بِالْحَبَشِيَّةِ حَسَنٌ».

عند الترمذي أنه (ﷺ) ألبس عباساً وولده كساء ودعا لهم[1]، وهو ما أخبرني به شيخنا أبو المواهب أجازة عن الشمس محمد بن أحمد الرملي، وأخبرني الشمس محمد بن أحمد الرملي بالإجازة العامة، عن شيخ الإسلام أبي يحيى زكرياء بن محمد الأنصاري، عن العلامة الشمس أبي عبد الله محمد بن علي الفاياني قال: أنا الحافظ الحجة أبو زرعة أحمد بن حافظ الوقت الزين أبي الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقي، قال أنا به أبو حفص عمر بن حسن ابن اميلة المراغي، قال أنا الفخر أبو الحسن علي بن عبد الواحد المقدسي الحنبلي عرف بابن البخاري: أنا أبو حفص عمر بن محمد البغدادي عرف بابن طبرزد: أنا أبو الفتح عبد الملك بن أبي سهل الكروخي: أنا القاضي أبو عامر محمود بن القاسم الازدي: أنا أبو محمد عبد الجبار بن محمد الجراحي المروزي: أنا أبو العباس محمد ابن أحمد المحبوبي: أنا الحافظ الحجه أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، قال: حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهري قال حدثنا عبد الوهاب بن عطاء عن ثور ابن يزيد عن مكحول عن كريب عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: «قَالَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ) لِلْعَبَّاسِ: إِذَا كَانَ غَدَاةَ الإِثْنَيْنِ فَأْتِنِي أَنْتَ وَوَلَدُكَ حَتَّى أَدْعُوَ لَهُمْ بِدَعْوَةٍ يَنْفَعُكَ اللَّهُ بِهَا وَوَلَدَكَ، فَغَدَا وَغَدَوْنَا مَعَهُ فَأَلْبَسَنَا كِسَاءً ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْعَبَّاسِ وَوَلَدِهِ مَغْفِرَةً ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً لاَ تُغَادِرُ ذَنْباً، اللَّهُمَّ احْفَظْهُ فِي وَلَدِهِ» قال الترمذي: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ، لاَ نَعْرِفُهُ إلا مِنْ هَذَا الْوَجْهِ، انتهى بلفظه (رحمه الله).

وإذا ثبت إلباسه (ﷺ) للصغير والكبير والمفرد والجمع والذكر والأنثى بالكيفيات المختلفة دلّ على أنّ الأمر فيه توسعه وأنه كان يفعل بما أراه الله بنور النبوة ما هو اللائق بالحال والشخص والثوب فكذلك الشيخ الوارث له يفعل ما أراه الله بنور الولاية لائقا بحال الشخص وزمانه ومكانه إذ لا شكّ أن الأحوال تختلف باختلاف الأشخاص والأزمان، بل والأمكنة

---

(١) سنن الترمذي، باب مناقب أبي الفضل عم النبي (ﷺ): ٦/ ١١٣، برقم (٣٧٦٢)، تمام الحديث: «عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ) لِلْعَبَّاسِ: إِذَا كَانَ غَدَاةَ الإِثْنَيْنِ فَأْتِنِي أَنْتَ وَوَلَدُكَ حَتَّى أَدْعُوَ لَهُمْ بِدَعْوَةٍ يَنْفَعُكَ اللَّهُ بِهَا وَوَلَدَكَ، فَغَدَا وَغَدَوْنَا مَعَهُ فَأَلْبَسَنَا كِسَاءً ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْعَبَّاسِ وَوَلَدِهِ مَغْفِرَةً ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً لاَ تُغَادِرُ ذَنْباً، اللَّهُمَّ احْفَظْهُ فِي وَلَدِهِ» قال الترمذي: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ، لاَ نَعْرِفُهُ إلا مِنْ هَذَا الْوَجْهِ.

فيراعي الشيخ بنور الولاية الموروثة له بالإتباع للنبي (ﷺ) ما هو اللائق بالحال والزمان والمكان على اختلافهما، وهو في كل ذلك متبع للسنة لما عرفت من عدم الحصر في كيفيته، والله اعلم.

وحيث إنّ الخرفة كما قال السهروردي في العوارف عتبة الدخول في الصحبة والمقصود الكلي هو الصحبة، وبالصحبة يرجى كل خير للمريد، انتهى.

كان الظن بهم أنهم ما اختاروا هذه الهيئة لا لكونها في زمانهم أنفع للمريد في ما هو المقصود منه من التخلق بأخلاقهم، والتأدب بآدابهم، وكل ما يكون وسيلة إلى المطلوب فهو مطلوب وإن لم يكن وارد بخصوصه عن رسول الله (ﷺ).

وقد يدخل في عموم قوله (ﷺ): «مَنْ سَنَّ سُنَّةً حَسَنَةً»[1] حيث حصل به ما هو أحسن وإن كان حدثا فقد قررته السنة القولية وإن لم يرد في الفعل، ولم يرد بذلك مخالفة ولا نكير ولا مشقة فدلّ على حسنِهِ، وأنه من الحسنة: «فإنما الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى»[2].

قال الإمام حجة الإسلام أبو حامد الغزالي (رحمه الله) في كتابه (المنقذ من الضلال) بعد تمهيد: "إني علمتُ يقيناً أن الصوفية هم السالكون لطريق الله خاصة وأن سيرتهم أحسن السير وأن طريقتهم أصوب الطرق وأخلاقهم أزكى الأخلاق، بل ولو جمع عقل العقلاء وحكمة الحكماء وعلم الواقفين على أسرار الشرع من العلماء ليغيروا شيئا من سيرتهم وأخلاقهم ويبدلوه بما هو خير منه لم يجدوا إليه سبيلاً، وأن جميع حركاتهم وسكناتهم في ظاهرهم وباطنهم مقتبسة من مشكاة النبوة وليس وراء نور النبوة نور يستضاء به" انتهى[3].

أي؛ واقتباسهم من مشكاة النبوة بما أعطاهم الله من الفَهم عنه ما لم يعطه كثير من خلقه، فيخفي على بعض الناس بعض ما أسّسوا عليه أمورهم من الأصول لذلك، فيظنّ أنها لا أصل لها بمبلغ علمه، والأمر بخلاف ظنه إذا حقق، ومن هنا قال الشيخ محي الدين (قدس سره) في

---

(١) صحيح مسلم، باب مَنْ سَنَّ سُنَّةً حَسَنَةً: ٤/ ٢٠٥٩، برقم(١٥)، "من سَنّ في الإسلام سنة حسنة، فعمل بها بعدها، كتب له مثل اجر من عمل بها، ولا ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة فعمل بها بعده كتب عليه مثل وزر من عمل بها ولا ينقص من أوزارهم شيء".

(٢) صحيح البخاري، كَيْفَ كَانَ بَدْءُ الْوَحْيِ: ١/ ٦، برقم (١) عن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه).

(٣) المنقذ من الضلال، للغزالي: ص/ ١٤.

الباب التاسع عشر من الفتوحات المكية ما نصه: "السعيد من وقف عند حدود الله ولم يتجاوزها وإنا والله ما تجاوزنا منها حداً ولكن أعطانا الله تعالى من الفهم عنه تعالى ما لم يعطه كثيراً من خلقه فدعونا إلى الله على بصيرة من أمره إذ كنا على بينة من ربنا انتهى وتفاوت مراتب الفهم عنه تعالى بين أهل الإسلام ما لا ينازع فيه"[1].

وفي البخاري، في باب فكاك الأسير: «عَنْ أَبِي جُحَيْفَةَ (ﷺ) قَالَ قُلْتُ لِعَلِيٍّ (ﷺ) هَلْ عِنْدَكُمْ شَيْءٌ مِنْ الْوَحْيِ إلا مَا فِي كِتَابِ اللَّهِ قَالَ لَا وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وَبَرَأَ النَّسَمَةَ مَا أَعْلَمُهُ إلا فَهْماً يُعْطِيهِ اللَّهُ رَجُلاً فِي الْقُرْآنِ..» [2] الحديث.

وفي باب كتابة العلم عنه: «قَالَ قُلْتُ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ هَلْ عِنْدَكُمْ كِتَابٌ قَالَ لَا إلا كِتَابُ اللَّهِ أو فَهْمٌ أُعْطِيَهُ رَجُلٌ مُسْلِمٌ» [3] الحديث.

ويشهد له قوله تعالى: ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ﴾[4] فاثبت الله الفهم حكما وعلما على اختلافه، ويوضح ذلك ما في (الرياض النضرة) للمحب الطبري (رحمه الله) ما نصه من عمر (ﷺ) قال: "كنت أدخل على رسول الله (ﷺ) وهو وأبو بكر يتكلمان في علم التوحيد فأجلس بينهما كأني زنجي لا اعلم ما يقولون:[5] أخرجه الملا في سيرته انتهى.

هذا وهو عمر الذي يقول فيه مثل ابن مسعود: "لما ماتَ ماتَ تِسْعَةَ أَعْشَارِ الْعِلْمِ"[6] وهذا ما في معناه فيه الكفاية لحسن الظن بأهل الله والوقوف عن الوقوع فيهم بأول احتمالات الكلام لمن أنصف ونَصَح نفسه فإنّهم من أشدّ الناس احتراماً للشريعة المطهرة.

---

(١) الفتوحات المكية: ٦/ ٢٠٧.

(٢) صحيح البخاري، باب فكاك الأسير: ٤/ ٦٩، برقم (٣٠٤٧).

(٣) صحيح البخاري، بَاب كِتَابَةِ الْعِلْمِ: ١/ ٣٣، برقم (١١١).

(٤) سورة الأنبياء: من الآية/ ٧٩.

(٥) الرياض النضرة، لمحب الدين الطبري: ص/ ٧٠.

(٦) المعجم الكبير، للطبراني: ٩/ ١٦٣، برقم (٨٨٠٩) قال الهيثمي في مجمع الزوائد: ٩/ ٦٩: رجال رجاله الصحيح.

قال الشيخ محي الدين طاب ثراه في كتابه (مواقع النجوم) في بعض المنازل المذكورة في الفلكِ القلبي بعد الذكر الإجمالي لِما يعطيه الله تعالى عبده من الأسرار ما نصّه، وهذا كله مما أعطتنا حالة الاستقامة كالأسرار التي صدرت عن رابعة العدوية[1]، والجنيد، وأبي يزيد[2]، وفي زماننا كأبي العباس بن العريف[3]، وأبي مدين[4]، وأبي عبد الله العراك، وأما إنْ كان الناطق بها غير محترمٍ للشرعِ صفَعْنا قفاه وضربنا وجهه بدعواه عصمنا الله من الآفات وفضلنا بالعلم والهبات انتهى بلفظه (رحمه الله تعالى) وبالله التوفيق، والحمد لله رب العامين.

---

(١) إليك أيّها القارئ الكريم أزفّ نفحة عن رابعة العدوية: وفي الليلة التي أتت فيها رابعة العدوية إلى الدنيا، لم يكن في بيت أهلها شيء مما يصلح للوليد عند ولادته. فقد كان أبوها فقيراً، حتى إنه لم يكن ثمة مصباح للنور، ولا نقطة سمن للخلاص ولا قطعة من قماش يلف بها المولود، وكان له ثلاث بنات فسميت رابعة لأنها رابعتهن.

وكان الأب الصالح قد عاهد الله إلا يطلب من عبد من عباده شيئاً ولكنه ذهب استجابة لضراعة زوجته، وشفقة على وليدته، ذهب يطرق أبواب جيرته، يلتمس عوناً، ولكن الأبواب صمّت فلم يستجب له من ورائها أحد. ورجع الأب حزيناً آسفاً. وبكت الزوجة وأقبل الأب على صلاته وتسبيحه. فأخذه النوم، فرأى النبي صلواته عليه وسلامه في منامه. فقال له النبي: لا تحزن فهذه الوليدة سيدة جليلة ؛ وإن سبعين من أمتي ليرجون شفاعتها. ثم أمره صلوات الله وسلامه عليه بالتوجه إلى عيسى زادان أمير البصرة ويكتب له رقعة يخبره فيها: أن النبي زاره في المنام وأمره أن يذهب إليه وأن يقول له: إنك تصلي مائة ركعة كل ليلة. وفي ليلة الجمعة أربعمائة. ولكنك في الجمعة الأخيرة نسيت. إلا فلتدفع أربعمائة دينار لصاحب هذه الرقعة كفارة عن هذا النسيان. ويستطرد فريد الدين فيقول:

وفي الصباح كتب والد رابعة الرسالة التي أمر بكتابتها وأرسلها عن طريق الحاجب إلى الأمير، فلما قرأها الأمير أمر بإعطائه أربعمائة دينار فوراً وإحضاره إليه، ثم راجع نفسه في الحال. وقال: بل أنا أذهب إليه، إجلالاً لمن أرسله وسأتولى بنفسي العناية بابنته الجليلة القدر، من كتاب رابعة العدوية لطه عبد الباقي سرور (ص٣٦).

(٢) هو: طيفور بن عيسى البسطامي، أبو يزيد، ويقال بايزيد: زاهد مشهور، سماه ابن عربي (أبا يزيد الأكبر) (ت: ٢٦١هـ). ينظر: الأعلام، للزركلي: ٣/ ٢٣٥.

(٣) هو: أحمد بن محمد بن موسى الصنهاجي الأندلسي المري، أبو العباس: فاضل شهير بالصلاح، له شعر ومشاركة في العلوم. وصنف كتاب (محاسن المجالس) (ت: ٥٢٦هـ). ينظر: الأعلام، للزركلي: ١/ ٢١٥.

(٤) هو: شعيب بن الحسن الأندلسي التلمساني، أبو مدين: صوفي، من مشاهيرهم. أصله من الأندلس. أقام بفاس، له (مفاتيح الغيب لإزالة الريب) (ت: ٥٩٤هـ). ينظر: الأعلام، للزركلي: ٣/ ١٦٦.

فصل

قال الشيخ محي الدين (قدس سره) في رسالة الخرقة مما جاء به الرسول الكريم من العلي الحكيم في الكتاب المنزل الذي هو القرآن العظيم: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ﴾[1]، فالضروري من لباس الظاهر ما يستر السوءة وهو لباس التقوى من الوقاية والريش ما يزيد على ذلك مما تقع به الزينة التي هي زينة الله التي أخرج لعباده من خزائن غيوبه وجعلها خالصة للمؤمنين في الحياة الدنيا ويوم القيامة فلا يحاسبون عليها وإذا أُلبسوها وتزينوا بها من غير هذه النية ولا هذا الحضور ولبسوها فجراً وخيلاء فتلك زينة الحياة الدنيا فالثوب واحد، ويختلف الحكم عليه باختلاف المقاصد، ثم أنزل في قلوب العباد الأخيار لباس التقوى وهو خير لباسٍ وهو على صورة لباس الظاهر سواء فمنه لباس ضروري يواري سوءة الباطن وهو تقوى المحارم مطلقاً، ومنه ما هو مثل الريش في الظاهر وهو لباس مكارم الأخلاق مثل نوافل العبادات كالصفح والإصلاح وإن كان الشارع قد أباح لك أخذ حقك ولكن تركه مما يتزين الرجل في باطنه فهي زينة الله في الباطن، وهو كل لباسٍ ندبك الشرع إليه فقد تحقق لباس الباطن أنه على صورة الظاهر شرعاً وكما يختلف الظاهر بالمقاصد والنيات كذلك يختلف لباس الباطن بالنيات والمقاصد.

ولما تقرر هذا في نفوس أهل الله أرادوا أن يجمعوا بين اللبستين ويتزينوا بالزيتين ليجمعوا بين الحسنيين فيثابوا من الطرفين فسنّ لباس هذه الخرقة على الهيئة المعلومة عندهم ليكون تنبيها على ما يريدونه من لباس بواطنِهم وجعلوا ذلك صحبة وأدباً، ثم قال: فظهر الجمع بين اللبستين من زمان الشبلي وابن خفيف إلى هلم جرا، فجرينا على مذهبهم في ذلك فلبسناها من أيدي مشايخ سادات بعد أن صحبناهم وتأدبنا بآدابهم ليصحّ اللباس ظاهراً وباطناً ومذهبنا في لباس مريدي التربية هو على غير ما هو عليه الأمر اليوم، وذلك أنّ الشيخ المربي ينظر في حال المريد الذي يريد أن يلبسه فأيّ حال يكون للمريد فيه نقص فإنّ الشيخ يتلبس بذلك الحال حتى يتحقق به ويغمره فتسري قوة ذلك الحال في الثوب الذي يكون على الشيخ فجرّده في الحال ويكسوه ذلك المريد فيسري فيه سريان الخمر في أعضائه فيغمره ويتم له

---

(١) سورة الأعراف: من الآية/ ٢٦.

الحال وهذا اليوم عزيز، فلما قصرت همم الناس عن مثل ما ذكرناه رجعوا إلى منزلة العامة لكنهم شرطوا فيها شروطاً.

وشروط هذه الخرقة المعروفة على صورة ما أظهرها الحق من ستر السوءة، فتستر سوءة الكذب بلباس الصدق وتستر سوءة الخيانة بلباسِ الأمانة، وسوءة الغدر بلباسِ الوفاء وسوءة الرياء بخرقة الإخلاص، وسوءة سفساف الأخلاق بخرفة مكارم الأخلاق وسوءة المذام بخرقة المحامد، وكل خلق دنيء بخرقة كل خلق سني وترك الأسباب بتوحيد التجريد، والتوكل على الأكوان بالتوكل على الله وكفر النعمة بشكر المنعم.

ثم تتزين بزينة الله من ملابس الأخلاق المحمودة مثل الصمت عما لا يعنيك وغض البصر عما لا يحل النظر إليه، وتفقد الجوارح بالورع وترك سوء الظن بالناس وتصفح ما مضت به الأيام من أفعالك وما سطّرته أقلام الكتبة الكرام عليك والقناعة بالموجود وعدم التشوق إلى طلب المزيد إلا من أفعال الخير، وتفقد أخلاق النفس ومعاهدة الاستغفار وقراءة القرآن والوقوف مع الآداب النبوية، وتعرف أخلاق الصالحين والمنافسة في الدين وصلة الرحم، وتعاهد الجيران بالرفق، وبذل العرض، وقد رغب رسول الله (ﷺ) في ذلك بقوله: «أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكُونَ مِثْلَ ضَمْضَمٍ كَانَ إِذَا أَصْبَحَ قَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي قَدْ تَصَدَّقْتُ بِعِرْضِي عَلَى عِبَادِكَ»[1] وسخاوة النفس وهو أن يبذلَها في قضاء حوائج الخلق وصنائع المعروف مع الصديق والعدو، والتواضع، ولين الجانب، واحتمال الأذى، والتغافل عن زلل الأخوان، وعدم الخوض فيما شجر بين الصحابة، ومن تقدم من الأكابر، وترك مجالسة الغافلين إلا أن تذكرهم أو تذكر الله فيهم، والكف عن الخوض في الاعتراض في آيات الله، وترك الطعن على الملوك والمذنبين من أمة محمد (ﷺ) وترك الغضب إلا عند انتهاك محارم الله، وترك الحقد والغل من الصدور، والصفح عن المسيء وهو أن لا تغضب لنفسك وإقالة عثرات أهل المروءات ذوي الهيئات والإبقاء على أهل الستر، وتعظيم العلماء وأهل الدين، وإكرام ذي الشيبة وإكرام كريم القوم كانوا من كانوا من مسلم أو كافر، كل ذلك على الحدّ المشروع مما يجوز لك أنْ تكرمَ به ذلك الشخص وحسن الأدب مع الله ومع كل أحد من حي وميت وحاضر وغائب، ورد الغيبة عن عرض

---

(١) سنن أبي داود، بَابُ مَا جَاءَ فِي الرَّجُلِ يُحِلُّ الرَّجُلَ قَدْ اغْتَابَهُ: ٤/ ٢٧٢، برقم (٤٨٨٦) عن قتادة، قال الألباني في صحيح أبي داود: ١٠/ ٣٨٦: صحيح مقطوع.

المسلم، وإياك والتصنع والتشدّق فان كثرة الكلام يؤدي إلى سقطه، وتوقير الكبير، والرفق بالضعيف، والرحمة بالصغير، وتفقد المحتاجين ومواساتهم بالبر والصلة، وميسور القول والهداية، وقرى الضيف، وإفشاء السلام، والتحبب إلى الناس على الحد المشروع، ولا تكن لعاناً ولا طعاناً ولا عياباً ولا سخاباً، ولا تجزئ أحدا بالسيئة في حقك إلا أحساناً، والنصيحة لله تعالى ولرسوله ولأئمة المؤمنين وعامتهم، ولا تنتظر الدوائر بأحد ولا تسبّ أحداً من عباد الله على التعيين من حي ولا ميت فإن الحي لا يُعرف إن كان كافراً بما يختم له وإن كان مؤمناً بما يختم له، ولا تعيّر أحداً من أهل الشهوات بشهواتهم، ولا ترد الرياسة على أحد، ولا توطئ عقبك خدمة عن أمرك، وإياك أن تترك الناس أن يقولوا في ذاتك بنقل ما يسوءك عنك وعن غيرك، ولتحب المؤمنين كلهم مسيئهم إليك ومحسنهم لحبهم الله ورسوله ولا تبغضهم أبغضهم إياك أو من كان من غير الله ورسوله.

فبهذا أوصاني رسول الله (ﷺ) في المنام "في رؤيا رأيتُها في حقّ شخصٍ وقع في بعض شيوخي فأبغضتُه فرأيت رسول الله (ﷺ) في المنام وقال لي لم أبغضت فلاناً؟ فقلت له: لبغضه ووقوعه في شيخي، فقال (ﷺ) ألستَ تعلمْ أنّه يحبُّ اللهَ ويحبني؟ قلت له: بلى، قال: فلم لا تحبه أياي وأبغضته لبغضه شيخك؟ فقلت له: يا رسول الله من الساعة فما أحسنك من معلم لقد نبهتني على أمر كنتُ عن مثله غافلاً"، ولا تفرح بما ينتشر في العامة من ذكرك ما تحمد وإن كنت عليه فانك لا تدري هل يبقي عليك أو يسلب عنك، ولا تتميّز بين المؤمنين بخلق غريب محمود يعرف منك إلا أن كنت ممن يقتدى به، ولا تظهر الخشوع في ظاهرك بجمع أكنافك وأطرافك إلى الأرض إلا أن تكون في باطنك كذلك، ولا تحب التكاثر من الدنيا، ولا تبال بجهل من جهل قدرك، بل لا ينبغي أن يكون لنفسك عندك قدر، ولا ترغب لإنصات الناس لكلامك، ولا تجزع من الجواب بما لا يسرك في حقك، واصبر الحق ومع الحق ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ﴾[1]، وأنصف من نفسك ولا تطلب الإنصاف من أحد في حقك، وسلم

(١) سورة الكهف: الآيتان/ ٢٨ -٢٩.

على المؤمنين ابتداء وردّ السلام على من سلم عليك، وإياك والطعن على الأغنياء إذا بخِلوا أو على أبناء الدنيا إذا تنافسوا فيها، ولا تطمع فيما في أيديهم، وادع للملوك وولاة الأمر ولا تدع عليهم وإن جاروا، وجاهد نفسك وهواك فإنه أكبر أعداءك، ولا تكثر الجلوس في الأسواق، ولا المشي فيها، وكف ضررك عن أئمة الدين، واترك الشهادة على أهل القبلة بما يؤدي عند السامعين إلى الخروج عنها أو عليك بالإمساك عن الخوض في الأموات فإنهم قد أفضوا إلى ما قدموا، واترك المراء في القرآن والقدر، واترك مجالسة أهل الأهواء والبدع القادحة في الدين، وعليك بإخراج الحرص والحسد والعجب من قلبك بأن تصرف هذه الصفات في غير مواطنها المشروعة، وعليك بالدخول في الجماعة فإن الذئب لا يأكل إلا القاصية، وإياك والعجلة في أمرك إلا في خمس: في الصلاة لأول وقتها، والحج عند وجود الاستطاعة، وتقديم الطعام للضيف قبل الكلام، وتجهيز الميت، وتجهيز البكر إذا أدركت، وبذل الجهود في نصح عباد الله من مسلم وكافر ومشرك، وقطع أسباب الغفلة، والمحافظة على أقامة الصلوات وتحسين نشأتها، والقيام على النفس بالحسبة، والخروج من الجهل بطلب العلم، وأن تستوصي بطالب العلم خيراً، والندم على التفريط في استعمال الخير، والتجافي عن الشهوات ودار الغرور، واعتقاد مقت النفس فإنّ النفسَ في اعتقاد أهل الله كل خاطر مذموم، ورد المظالم، وإصلاح الطعمة، والسعي في أصلاح ذات البين فإنّ الله تعالى يصلح بين عباده يوم القيامة، وإسقاط الريب، والحذر الدائم والخشية والهم في الله والحب والبغض في الله، والمودة في قرابة رسول الله (ﷺ) وموالاة الصالحين، وكثرة البكاء، والتضرع إلى الله تعالى، والابتهال ليلا ونهاراً، والحرب من طريق الراحات، والتذلل في كل حال إلى الله تعالى، ومراقبة الكمد، وتنغيص العيش بالفكر فيما يتعين عليك من شكر المنعم على ما انعم به عليك، والقصد إلى الله تعالى في كل حال، والتعاون على البر والتقوى، وإجابة الداعي، ونصرة المظلوم، وإجابة الصارخ، وإغاثة الملهوف، وتفريج الكرب عن المكروب، وصوم النهار، وقيام الليل وإن كان بالتهجد فهو أولى، وذكر الموت، وتعاهد زيارة القبور، وان لا تقول وأنت فيها هجراً، والصلاة على الجنائز واتباعها أن كنت ماشياً فأمامها وإن كنت راكبا فمن خلفها، ومسح رؤوس اليتامى، وعيادة المرضى، وبذل الصدقات، ومحبة أهل الخير، ودوام الذكر، والمراقبة، ومحاسبة النفس على أفعالها الظاهرة والباطنة، والأنس بالأمان، وأخذ الحكمة من

كلام كل متكلم بل من نظرك في كل منظور، والصبر على أحكام الله فانك بعينه كما قال لك ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾[1] والإيثار لأمر الله، والتعرض لكلّ سبب يقرب إلى الله تعالى، واستفراغ الطاقة في محاب الله ومراضيه، والرضاء بالقضاء لا بكل مقضيّ، بل بالقضاء به وتلقي ما يرد من الله تعالى بالفرح وموالاة الحق بأن تكون معه فإنّ الله مع عباده أينما كانوا ودُر مع الحق حيثما دار، والتبري من الباطل والصبر في مواطن الامتحان، والزهد في الحلال والاشتغال بالأهم في الوقت، وطلب الجنة بالشوق إليها لكونها محل رؤية الحق تعالى، ومجالسة أهل البلاء بالاعتبار، ومحادثة المساكين، والقعود معهم في محال فقرهم، ومعونة من يطلبك حاله بإعانته، وسلامة الصدر، والدعاء للمسلمين بظهر الغيب، وخدمة الفقراء وأن تكون مع الناس على نفسك فإنك إذا كنت عليها فأنت لها والسرور بصلاح الأمة والغم بفسادها، وتقديم من قدّمه الله ورسوله وتأخير من أخّره الله ورسوله فيما قدمه وفيما أخره، فإذا لبست هذه الملابس صلح لك أن تقعد في صدور المجالس عند الله تعالى، وتكون من أهل الصفوف الأول انتهى كلامه في رسالة الخرقة.

وقال الشيخ محي الدين (قدس سره) في شرح (الرسالة اليوسفية) عند قول الماتن وإنْ دَفع إليك ملبوساً فلا تناوله أصلا انتهى ما نصه.

اعلم أنّ الملبوس ملبوسان: لباسُ تقوى، ولباس زينة، فلباسُ التّقوى هو الفرض وهو ما يتقي به ضرر جسمك أو روحك هذا معنى لباس التقوى، وتتقي به ظهور عورتك وهو خير لباس لأنه لباس فرض، وأما لباس الزينة هو الريش وهو لباس التجمل، وله من الله محبة خاصة ولباس الزينة على أقسام:

فمن ذلك ما هو فرض بالنص، وله موطن خاص مع كونه زينة وموطنه حال مناجاة الحق، والوقوف بين يديه وتلك زينة الله والأمر بها ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾[2] فأمروا، وأمره واجب عند كل مسجد، وذكر الحال والموطن الذي يقتضي التجمل فيه لله تعالى بزينته فإن النبي (ﷺ) قال لنافي الحق: «أنَّه أحقُّ من تجَمّل لَه»[3]، وقال في الخبر

---

(١) سورة الطور: من الآية/ ٤٨.

(٢) سورة الأعراف: من الآية/ ٣١.

(٣) لم أجد له أصلاً.

الصحيح نقلاً وكشفاً: «للرجل الذي قال له: يا رسول الله أني أحب أن يكون نعلي حسناً وثوبي حسنا فأخاف أن يكون ذلك من البطر، فقال له رسول الله (ﷺ) إن الله جميل يحب الجمال»[1] فجعل للجمال حباً ألهياً لا يحصله إلا من أخذَ زينة الله عند كل مسجد، فمن كان على صلاته دائماً في عموم أحواله فتكون الزينة عليه لا تبرح وهو من ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ﴾[2] في عموم أحوالهم بخلاف من ليس له هذه الحالة، ويجعل ذلك في حال الصلاة المشروعة خاصة فهم في وقت دون وقت، وهؤلاء في عموم الأحوال يناجون الله فهُم في صلاةٍ دائمةٍ وإن اختلفت مشاربهم فيها فإنّ اختلاف المشارب أيضاً موجود في الصلاة المعهودة المعلومة، فذوق الوقوف فيها غير ذوق الركوع غير ذوق الرفع من الركوع غير ذوق القيام بين الركوع والسجود غير ذوق السجود الأول غير ذوق الرفع من السجود غير ذوق الجلوس بين السجدتين غير ذوق السجود الثاني غير ذوق جلوس الاستراحة غير ذوق جلوس التشهد.

فهذهِ مشاربُ مختلفة في الصلاة المعهودة، والمصلى يناجي ربه من حضرة الشركة والقسمة فيكون كل صاحب قسم على قسم معين، وكذلك الكامل في جميع أحواله على قسمه يعطي الله قسمه من حاله فإنّ الله في كل حال قسماً معيناً وحقاً واجباً، ولذلك كان له في كل حال وحركة وسكون حكم شرعي بفعلٍ أو ترك على وجوب أو ندب أو حظر أو كراهة أو أباحة فاعلم ذلك.

وهذه الأحكام للمعرفة بمنزلة صور الأجسام للأرواح المدبّرة لها أو للقوى القائمة بها فاعلم ذلك.

فلا ترد أن كنت في هذا المقام لباساً يعرض عليك فإنه دين، وكذا فسّره رسول الله (ﷺ) وعبّره في الرؤيا جعل الثوب للدين، وبه ضرب المثل في الطول والتقلص فإن لم تكن لك

---

(١) تمام الحديث في سنن الترمذي، باب ما جاء في الكبر: ٤/ ٣٦١، برقم (١٩٩٩): «عَنْ عَبْدِ اللهِ، عَنِ النَّبِيِّ (ﷺ) قَالَ: لاَ يَدْخُلُ الجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ، وَلاَ يَدْخُلُ النَّارَ، يَعْنِي، مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ، قَالَ: فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: إِنَّهُ يُعْجِبُنِي أَنْ يَكُونَ ثَوْبِي حَسَناً وَنَعْلِي حَسَنَةً، قَالَ: إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الجَمَالَ، وَلَكِنَّ الكِبْرَ مَنْ بَطَرَ الحَقَّ وَغَمَصَ النَّاسَ» قال الترمذي : حسن صحيح غريب.

(٢) سورة المعارج: الآية/ ٢٣.

هذه الحالة، وتفرق بين الأمور بأحوالك فخذ زينة الله في مواطنها، ورد من اللباس زينة الشيطان وزينة الحياة الدنيا التي لا روح لها وما ثمّ زينة سوى هذه الثلاثة: زينة الشيطان، وزينة الحياة الدنيا، وزينة الله التي في زينتك فأضاف زينة الله لك دون غيرها،، فقال ﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ﴾ فأضافها إليك وقال عقب ذلك ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾[1] فأضافها إليه، ثم قال قل يا محمد ﴿هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ فعيّن صاحبها بصفته ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ ذات الروح ﴿خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ من الثوب بزينة الحياة الدنيا التي لا روح لها، ثم قال ﴿كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ﴾.

وكذا فعل ففصّل كلَّ زينة من غيرها لقوم يعلمون فنبّه على شرف العلم انتهى الغرض منه، والله الموفق للمتخلق والمتحقق، والحمد لله رب العالمين.

فصل

ولبست الخرقة من شيخنا أبي المواهب (قدس سره) بسنده السابق إلى الشيخ محي الدين، وهو لبسها من يد جمال الدين يونس بن يحيى العباسي بمكة تجاه الركن اليماني من الكعبة المعظمة بالمسجد الحرام سنة (٥٩٩)هـ، وهو لبسها من يد شيخ الوقت عبد القادر الجيلي (قدس سره) بسنده المعروف من طريق أهل البيت من معروف الكرخي قدس الله أسرارهم أجمعين.

فصل

ولبستُ الخرقةَ من والدي محمد بن يونس عبد النبي بسنده إلى الشيخ إسماعيل الجبرتي، ومن شيخنا أبي المواهب (قدس سره) بسنده إلى ابن الجزري، وهو صحبَ الوليَّ الكبير الشيخ إسماعيل بن إبراهيم بن عبد الصمد الجبرتي الهاشمي المقيلي الزبيدي بواسطة وبلا واسطة، وهو لبس الخرقة من جمال الدين محمد بن أبي بكر الضجاعي الزبيدي، وهو لبسها من الحافظ برهان الدين إبراهيم بن عمر بن علي العلوي الزبيدي، وهو من الإمام جمال الدين عبد الحميد

---

(١) سورة الأعراف: من الآية/ ٣٢.

ابن عبد الرحمن بن عبد الحميد بن كوهي الأشكاهي، وهو من نجم الدين عبد الله بن محمد الأصفهاني، وهو من عز الدين أحمد الفاروثي الواسطي، وهو من الشيخ محي الدين محمد ابن علي بن العربي بأسانيده، ومن الشيخ شهاب الدين السهروردي بإسناده من طريق عمه أبي النجيب، ومن طريق الشيخ عبد القادر الجيلي (قدس الله أسرارهم أجمعين)، ومن والده إبراهيم ابن عمر بن الفرج، وأبوه لبسها من أبيه أبي حفص عمر بن الفرج، وعمر المذكور لبسها من الشيخ أبي العباس أحمد بن أبي الحسن علي بن أحمد الرفاعي، وهو على ما ذكره المولى نور الدين عبد الرحمن بن أحمد الجامي (قدس سره) في حاشية النفحات لبس من علي القادري، وهو من أبي الفضل بن كامخ، وهو من أبي علي غلام ابن تركان، وهو من الشيخ علي البازيادي، وهو من مَمْلى العجمي بفتح الميم الأولى وسكون الثانية وفتح اللام بضبط تلميذ الجامي عبد الغفور اللاري في حاشيته، وهو من الشبلى بسنِدِه، وعلى ما في (زاد المسير) للجلال السيوطي (رحمه الله) أنّ الرفاعي لبسها من الشيخ أحمد الواسطي، وهو من أبي الفضل بن كامخ، وهو من الشيخ علي بن غلام، وهو من الشيخ علي بن بازيادي، وهو من الشيخ مَمْلى العجمي، وهو من أبي بكر الشبلي، وهو من الجنيد بسنده المعروف والله اعلم.

فصل

ولبست الخرقة من شيخِنا أبي المواهب بسنده إلى النجم عبد الله بن محمد الأصفهاني، وهو على ما في النفحات من تلامذة أبي العباس المرسي توفي سنة إحدى وعشرين وسبعمائة بمكة، ودفن قريب قبر الفضيل بن عياض، وكان انتقاله إلى مكة بعد وفات شيخه أبي العباس، وأبو العباس تلميذ الشيخ قطب الزمان أبي الحسن علي بن محمد الشاذلي الشريفي الحسيني، وهو على ما في الفهرست الصغير للشيخ ابن حجر الملكي (رحمه الله تعالى) تلقى الذكر وتلقنه بالعهد والصحبة من السيد الشريف عبد السلام بن مشيش، وهو من الشريف الزيات المدني، وهو من الصوفي التقي المعروف بالفقير الصغير، وهو من الشيخ فخر الدين، وهو من الشيخ أبي الحسن علي، وهو من الشيخ تاج الدين محمد، وهو من الشيخ محمد شمس الدين بأرض الترك، وهو من الشيخ القطب الغوث الفرد زين الدين محمود القزويني، وهو من الشيخ أبي إسحاق إبراهيم، وهو من الشيخ أبي القاسم المرواني، وهو من الشيخ فتح المسعودي، وهو

من الشيخ سعيد القيرواني، وهو من الشيخ أبي محمد جابر، وهو من الإمام المرتضى والحبيب المجتبى الحسين بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ﷺ) وهو من أبيه (ﷺ) وهو من أكمل الخلق محمد رسول الله (ﷺ) وعلى إله وصحبه وتابعيهم عدد خلق الله بدوام الله أمين وهو من جبريل (ﷺ)، انتهى.

فصل

ولبستها بالسند إلى الشيخ الشعراني، وهو صحب الشيخ محمد المغربي، وهو صحب أبا العباس المرسي، وهو صحب الشيخ شمس الدين محمد الحنفي الشاذلي، وهو أخذ الطريقة الشاذلية عن ناصر الدين سبط ابن الميلق، وهو عن جده الشهاب بن الميلق، وهو عن التاج بن عطاء الله وياقوت القرشي، وهما عن أبي العباس المرسي، وهو عن ابن الحسن الشاذلي بسنده.

فصل

ولبستها من يد شيخنا المواهب (قدس سره)، وهو كما قال في بعض رسائله ممن صحب الشيخ محمد بن أبي الحسن البكري (قدس سرهما) قال: وفيها عندي أسانيده الزاهرة وسلاسله الباهرة لكنها بعيدة على الآن، وأنا اذكر لكم ما أحفظه فإن أسانيد سيدي الشيخ الكبير كثيرة جداً، وساق بعض أسانيده إلى أن قال: وطريقته العظمى إلى سيدي أبي الحسن الشاذلي فقد أخذ من طرق كثيرة: منها عن أبيه أبي الحسن عن أبيه جلال الدين عن أبيه جمال الدين عن أبيه عبد الرحمن عن سيدي الإمام الحق محمد وفا عن سيدي تاج الدين بن عطاء الله بن سيدي أبي العباس المرسي عن سيدي أبي الحسن الشاذلي، وسنده الباهر مذكور في (شمس الآفاق) للبسطامي انتهى.

فصل

المعروف المكتوب في بعض الأسانيد عبد السلام بن مشيش بالميم، وعن الشيخ محي الدين عبد القادر بن الحسين بن علي الشاذلي المعروف: بابن مغيزل في كتابه (الكواكب الزاهرة في اجتماع الأولياء يقظة بسيد الدنيا والآخرة) عبد السلام بن بشيش بالباء حيث قال

أبو الحسن الشاذلي (قدس سره) طريقته في الصحبة والاقتداء بالقطب سيدي عبد السلام بن بشيش بفتح الموحدة، وكسر المعجمة والمثناة التحتية ومعجمة ابن منصور بن إبراهيم الحسيني، ثم الإدريسي من ولد إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب (ﷺ) أجمعين، وهو كذلك عن القطب الشريف عبد الرحمن الحسني المدني العطار المعروف: بالزيات، وهو كذلك عن القطب الرباني الشيخ تقي الدين الفقير الصوفي الذي لقب نفسه بتقيّ الدين الفُقَير بالتصغير فيهما، وذلك بأرض العراق، وهو كذلك عن القطب الشيخ نور الدين أبو الحسن علي، وهو كذلك عن القطب الشيخ تاج الدين، وهو كذلك عن القطب الشيخ شمس الدين بأرض الترك، وهو كذلك عن القطب الشيخ أبي إسحاق إبراهيم البصري، وهو كذلك عن القطب أبي القاسم أحمد المرواني، وهو كذلك عن القطب أبي محمد فتح المسعودي، وهو كذلك من القطب الشيخ سعيد القيرواني، وهو كذلك عن القطب الشيخ جابر، وهو كذلك عن أول الأقطاب أبي محمد الحسن الشهيد المسموم ابن علي بن أبي طالب (ﷺ)، وهو كذلك عن سيد الكونين وسند الثقلين سيدنا رسول الله (ﷺ) أي بلا واسطة، انتهى والله اعلم.

فصل

ولبستها من والدي محمد بن يونس عبد النبي ومن شيخنا أبي المواهب (قدس سرهما) بسندهما السابق من طريق الشيخ إسماعيل الجبرتي إلى الإمام الحافظ برهان الدين إبراهيم ابن عمر العلوي الزبيدي، وهو من تقي الدين الشعيبي، وهو من أحمد بن موسى الحموي، وهو أمين الدين أبي اليمن ابن عساكر، وهو من الشيخ تقي الدين أبي عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري المعروف بابن الصلاح، قال الحافظ جلال الدين السيوطي في (زاد المسير) قال ابن الصلاح ولي في الخرقة إسناد عال جدا ألبسني الخرقة أبو الحسن المؤيد محمد الطوسي، قال أخذت الخرقة من أبي الأسعد عبد الرحمن بن عبد الواحد بن أبي القاسم القشيري، قال: أخذت الخرقة من جدي الأستاذ أبي القاسم القشيري، وهو أخذها من أبي علي الدقاق، وهو أخذها من أبي القاسم إبراهيم بن محمد بن حمويه النصر اباذي، وهو أخذها من أبي بكر الشبلي وهو أخذها من الجنيد وساق سنده إلى

الحسن البصري قال: هو أخذها من علي بن أبي طالب (ﷺ)، وهو أخذها من النبي (ﷺ) قال: قال ابن الصلاح: وليس بقادح فيما أوردناه كون لبس الخرقة ليس متصلا إلى منتهاه على شرط أصحاب الحديث في الأسانيد فإن المراد ما تحصل به البركة والفائدة باتصالها بجماعة من السادات الصالحين انتهى.

قلت: هو مبني على ما مر منه بنقل السخاوي من عدم ثبوت الاتصال عنده، وقد مر ما فيه من بيان لاتصال، والله اعلم.

ثم قال السيوطي: قلت: أخبرني بهذا الطريق العالي محمد بن مقبل أجازة عن ابن الصلاح أبي عمرو عن الفخر بن البخاري عن المؤيد الطوسي به، قلت: وروينا هذا الطريق العالي عن شيخنا المواهب، عن أبيه علي، عن عبد الوهاب الشعراني عن الحافظ جلال الدين السيوطي به مع اتصال اللبس أيضاً منا إلى السيوطي (رحمه الله).

فصل

ولبستها من والدي محمد بن يونس عبد النبي، ومن شيخنا أبي المواهب بسندهما السابق إلى البرهان العلوي الزيدي، وهو من الشهاب أبي العباس أحمد ابن موفق الدين منصور الشماخي السعدي، وهو من أبيه موفق الدين، وهو من الحافظ جمال الدين بن مسدي، وهو من أبي أحمد جعفر بن عبد الله بن سيد بونة الخزاعي، وهو من شيخ الشيوخ سيدي أحمد بن أبي الحسن علي بن أحمد الرفاعي، وهو من القطب الكبير الشيخ أبي مدين شعيب بن الحسن المغربي الاشبيلي ثم البجائي، وهو من الشيخ أبي الحسن علي بن حرزهم، وهو من فخر المغرب الإمام القاضي الشهير أبي بكر محمد بن عبد الله بن العربي المعافري الأندلسي، وهو من حجة الإسلام أبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي، وقد لقيه ببغداد، وهو من إمام الحرمين أبي المعالي عبد الملك بن ركن الإسلام أبي محمد عبد الله بن يوسف الجويني، وهو من جمال الإسلام أبي القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري النيسابوري بسنده السابق.

فصل

ولبستها بالسندِ إلى الشيخ محي الدين ابن العربي (قدس سره)، وهو صحب الشيخ أبا يعقوب يوسف بن يخلف الكوفي القيسي، والشيخ أبا محمد عبد الله ابن الأستاذ المورودي، والشيخ موسى أبا عمران السدراتي والمشائخ الثلاثة كما ذكره الشيخ محي الدين (في روح القدس) صحبوا الشيخ أبا مدين، وأبو مدين على ما في الفهرست الصغير للشيخ ابن حجر الملكي لبسها من الشيخ أبي يعزى بلنور معناه بالزناتية لغة لبعض المغاربة ذو النور، وهو من أبي شعيب السارية الصنهاجي، وهو من الشيخ عبد الجليل، وهو من أبي الفضل الجوهري، وهو من والده لحسين الجوهري، وهو من أبي الحسن النوري المعروف بابن البغوي صاحب الجنيد، وهو من الجنيد بسنده السابق من طريق أهل البيت.

♦ **تذكرة:**

أخبرني شيخُنا أبو المواهب، عن والده، عن الشعراني، عن الحافظ جلال الدين السيوطي، عن الحافظ تقي الدين بن فهد، عن عبد الوهاب بن عبد الله بن أسعد اليافعي، عن أبيه الولي الكبير عفيف الدين عبد الله بن أسعد اليافعي، ثم المكي أنه قال في كتابه (نشر المحاسن الملقب بكفاية المعتقد) ما نصه: قلت: ومما حكي واشتهر ورويناه عن الشيخ العارف بالله أبي الحسن الشاذلي (ﷺ) أنه رأى النبيَّ (ﷺ) في النوم باهلَ موسى وعيسى (عليهما الصلاة والسلام) بالإمام الغزالي (ﷺ) وقال أفي أمتكما حبر كهذا؟ قالا لا، وقال الشيخ العارف بالله أبو العباس المرسي (ﷺ) لما ذكر الغزالي إنّا لنشهدُ له الصديقية العظمى.

وفي السيرة المشهور للشيخِ الكبير العارف بالله أبي العباس أحمد بن آل أبي الخير اليمني المعروف بالصياد (ﷺ) بالإسناد إليه أنه رأى في بعض الأيام وهو قاعد أبواب السماء مفتحة وإذا بعصبة من الملائكة قد نزلوا إلى الأرض ومعهم خُلَع خضر ودابة من الدواب فوقفوا على رأس قبر من القبور وأخرجوا شخصاً من قبره وألبسوه الخلع وأركبوه على الدابّة، وصعدوا به إلى السماء ثم لم يزالوا يصعدون به من سماء إلي سماء حتى جاوز السموات السبع كلها، وخرق بعدها سبعين حجاباً، قال: فتعجبتُ من ذلك وأردتُ معرفة ذلك الراكب فقيل: هذا الغزالي، ولا علم به أين بلغ انتهاؤه، قلت: وأخبرني بعض الصالحين من ذرية

الشيخ أبي الحسن بن حِرْزهم بكسر الحاء المهملة وسكون الراء وبعدها زاي بالضبط المحقق، والمعروف بين الناس ابن حرازم أنه لما وقف أبو الحسن المذكور على كتاب الإحياء نظر فيه وتأمّله ثم قال هذا بدعة مخالف للسنة، وكان مطاعاً في جميع بلاد الغرب فأمر بإحضار كل ما فيها من نسخ الإحياء وطلب من السلطان أن يلزم الناس ذلك فأرسلَ السلطان إلى جميع النواحي وشدّد عليهم فأحضر الناس ما عندهم من ذلك واجتمع الفقهاء ونظروا فيه، ثم أجمعوا على إحراقه يوم الجمعة وكان اجتماعهم يوم الخميس فلما كان ليلة الجمعة رأى أبو الحسن المذكور في الإمام كأنه دخل من باب الجامع الذي عادته يدخل منه فرأى في ركن المسجد نورا وإذا بالنبي (ﷺ) وأبي بكر وعمر (رضي الله عنهما) جلوس والإمام أبو حامد الغزالي قائم بيده كتاب الإحياء فقال: يا رسول الله هذا خصمي ثم جثا على ركبتيه وزحف عليهما إلى أن وصل إلى النبي (ﷺ) فناوله (كتاب الأحياء) وقال: يا رسول الله أنظر فيه فإن كان بدعةً مخالفاً لسنّتك كما زُعم تبتُّ إلى الله، وإن كان شيئاً تستحسنه حصل لي من بركتك فأنصفني من خصمي، فنظر فيه (ﷺ) ورقة ورقة إلى آخره ثم قال: والله إنّ هذا شيءٌ حسن، ثم ناوله أبا بكر فنظر فيه كذلك، ثم قال: نعم والذي بعثك بالحق يا رسول الله أنه لحسن، ثم ناوله عمر فنظر فيه كذلك، ثم قال كما قال أبو بكر، فأمرَ (ﷺ) بتجريد أبي الحسن من ثيابه وضربه حدّ المفترى فجرّد وضرب، ثم شفع فيه أبو بكر بعد خمسة أسواط، وقال: يا رسول الله إنْ فعل هذا اجتهاداً في سنتك وتعظيماً لها، فغفر له أبو حامد عند ذلك فلما استيقظ من منامه وأصبح أعلم أصحابَه بما جرى له، ومكث قريباً من شهر وجعاً من ذلك الضرب، ثم نظر بعد ذلك في الإحياء فرآه مرأى آخر وفهمه فهماً خلاف الفهم الأول فرآه موافقا للكتاب والسنة، ورأى النبي (ﷺ) مسح لي ظهره بيده المباركة الكريمة فشفى جسمه وقلبه بعد خمسة وعشرين يوماً، ثم فتح عليه بعد ذلك ونال من المعرفة بالله والحظ العظيم ما نال بفضل الله الكريم وصحبه الشيخ أبو مدين فرباه، ثم قال له قد فتحت لك ستة أقفال وبقي السابع يفتحه لك الشيخ أبو يَعزّى بفتح الياء المثناة من تحت والعين المهملة والزاي المشددة فاذهب إليه فذهب فلما رآه الشيخ أبو يعزّى قال له: قال لك الشيخ أبو الحسن إني افتح لك القفل السابع ها أنا أفتحه لك بإذنه ففتحه له ففتح عليه وكان من أمر الشيخ أبي مدين وعظم شأنه ما كان رضي الله عن الجميع ونفعنا بهم.

قال اليافعي: قلت وقد روينا ذلك مختصراً أخبرني الشيخ شهاب الدين بن الميلق الشاذلي، قال أخبرني به الشيخ ياقوت الشاذلي، قال أخبرني به الشيخ أبو العباس المرسي الشاذلي، قال أخبرني به الشيخ أبو الحسن الشاذلي وزاد فيه قال: ولقد مات يوم مات وأثر السياط على جسمه، انتهى.

قلت: والحكاية أوردَها التاج السبكي في الطبقات الكبرى أيضاً، ومما أورده فيها أيضاً قال أبو الفرج بن الجوزي في كتاب الثبات عند الممات، قال أحمد أخو الإمام الغزالي لما كان يوم الاثنين وقت الصبح توضّأ أخي أبو حامد وصلى وقال علي بالكفن فأخذه وقبّله ووضعه على عينيه وقال سمعاً وطاعة للدخول على الملك ثم مدّ رجليه واستقبل القبلة ومات قبل الأسفار قدس الله روحه انتهى.

وقال الشيخُ محي الدين (قدس سره) في مواقع النجوم وبلغ إلي بعض الروحانيين عند اجتماعي به أنّ شيخنا أبا النجاة يعني أبا مِدين ما مات حتى كان قطباً قبل موته بساعة أو ساعتين، ولقد أنباني بذلك أبو يزيد البسطامي في رؤيا رأيتها انتهى.

وقال (قدس سره) في كتاب (منزلة القطب) بعد ما ذكر مقام الإمام الأكمل الذي على يسار القطب ما نصه: وفي هذا المقام عاش الشيخ أبو مدين ببجاية إلى أن قرب موته بساعة أو ساعتين وخلعت عليه خلعة القبطية، ونزعت خلعة هذه الإمامة وصار اسمه عبد الإله وانتقلت خلعته باسم عبد الرب إلى رجل ببغداد اسمه عبد الوهاب، وكان الشيخ أبو مدين قد تطاول له بها رجل من بلاد خراسان ومات الشيخ قطباً كبيراً انتهى بلفظه.

وقال طاب ثراه في الباب (٤٣٨) من الفتوحات المكية ما نصه: "وكان شيخنا أبو يعزّى بالغرب مَوْسوي الورث فأعطاه الله هذه الكرامة، وكان ما يرى أحدٌ وجهه إلا عميَ فيمسح الرائي إليه وجهه بثوب مما هو عليه فيردّ الله عليه بصره، وممن رآه فعمى شيخنا أبو ميدن (رحمه الله عليهما) حين دخل عليه فمسح عينيه بالثوب الذي على أبي يعزّى فردّ الله عليه بصره وخرق عوائده بالغرب مشهورة، وكان في زماننا وما رأيته لما كنت عليه من الشغل"[1] انتهى.

---

(١) الفتوحات المكية: ٦/ ٢١٧.

وقال في الباب (٥٥٦) "في حال قطب كان منزله ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾[1] كان هذا الهجير والمقام لشيخنا أبي مدين وكان يقول سورة من القرآن ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ وهي مختصة بالإمام الواحد من الإمامين ولها الزيادة دائما في الدنيا والآخرة فإنها مختصة بالملك والزيادة إنما تكون من الملك فكلما كررت تضاعف على الذاكر ما ينعم الله به على عبده إلى آخره ما قال (رحمه الله تعالى)"[2]، ومن بدائع الحكم انه قال في الباب (٤٦٣): وأما القطب الثاني عشر الذي على قدم شعيب (عليه السلام) فسورته من القرآن تبارك الذي بيده الملك إلى آخر بيانه (رحمه الله) فحصل لأبي مدين شعيب اتفاق حسن غريب والله ولي التقريب والحمد لله رب العالمين"[3].

فصل

ولبست الخرقة من شيخنا أبي المواهب، وهو من والده، وهو من الشيخ عبد الوهاب الشعراني، وهو صحب الشيخ إبراهيم الكاشني المصري، وهو أخذ من الولي الكبير ددّه عمر الآيديني ثم التبريزي الخلوتي المعروف بالروشني توفي بتبريز سنة إحدى أو اثنتين وتسعين وثمانمائة، و(آيدين) بهمزة ممدودة ومثناة تحتية ساكنة بعدها لفظ دين ناحية في بلاد الروم وروشني تخصصه في الشعر فإنه كان له أشعار بالتركية، وهو عن السيد جلال الدين يحيى الشرواني الشماخي ثم البالوي، وهو عن صدر الدين الخياوي الشرواني، وهو عن الحاج عز الدين الشرواني، وهو عن أخي مرم الشرواني، وهو عن الشيخ عمر الخلوتي وهو عن أخي محمد الشرواني، وهو عن الشيخ إبراهيم الزاهد الكيلاني رئيس الخلوتية، وهو عن الشيخ جمال الدين التبريزي، وهو عن الشيخ شهاب الدين محمد التبريزي، وهو عن الشيخ ركن الدين محمد السنجاني، وهو عن الشيخ قطب الدين محمد الأبهري، وهو عن الشيخ أبي النجيب ضياء الدين عبد القاهر بن عبد الله السهروردي بسنده.

---

(١) سورة الملك: من الآية/ ١.

(٢) الفتوحات المكية: ٦/ ٣٩٨.

(٣) الفتوحات المكية: ٦/ ٢٦٣.

فصل

ولبستها من شيخنا أبي المواهب، وهو من والده، وهو من الشعراني، وهو صحب الشيخ علي الكازروني، وهو أخذ عن السيد علي بن ميمون المغربي الأندلسي الحسني الإدريسي، وهو على ما في طبقات بعض المتأخرين اخذ الطريقة عن قطب العارفين أبي العباس أحمد بن محمد التباسي التونسي، وهو أخذ عن أحمد بن مخلوف الشابي القيرواني، وهو أخذ أولاً عن الشيخ الأديب علي بن المحجوب القيرواني، وثانياً عن عبد الوهاب الهندي، وهو أخذ عن أبي موسى السدراني، وهو عن أبي محمد عبد الله المورووري، وعن أبي يعقوب يوسف بن يخلف، الكومي القيسي، وهؤلاء الثلاثة أخذوا عن القطب الكبير أبي مدين شعيب المغربي الاشبيلي، ثم البجائي بسنده قدس الله أسرارهم أجمعين.

♦ **تذكرة:**

يقول الفقير إلى الله تعالى أحمد بن محمد بن يونس عبد النبي بن ولي الله أحمد بن علي الدجاني أنّ الشيخ عبد الرؤوف المناوي (رحمه الله) لمّا ترجَم جدّ والدي أعني السيد أحمد الدجاني في طبقاته الصغرى ذكرَ أنه تلميذ ابن عراق، وهو الشيخ الإمام الزاهد القدوة العابد محمد بن علي الكناني الشافعي الصالحي نزيل الحرمين الشريفين وابن عراق ذكر في بعض رسائله أنه أخد الطريقة من السيد علي بن ميمون المغربي المذكور وعسى الله أن يمنّ بإظهار الوصل من هذا الطريقة.

قلت: قدْ منّ الله بالوصل وجاءنا بالإلباس من ابن العم الكريم الفاضل الكامل سيدي الشيخ أبي الفتح، وهو عن أبيه الشيخ صالح، وهو عن أبيه الشيخ محمد، وهو عن الشيخ أحمد الدجاني، وهو عن الشيخ الأكمل سيدي محمد بن علي المعروف بابن عراق والحمد لله وبالله التوفيق والحمد لله رب العالمين.

فصل

ولبستُها من شيخنا أبي المواهب بسنده المار إلي شيخ الإسلام القاضي زكريا ابن محمد الأنصاري (رحمه الله)، وهو أخذ من أبي العباس أحمد الفقيه، وهو عن سيدي محمد بن مخلص، وهو عن الشرف العادلي، وهو عن أبي عبد الله محمد بن يحيى بن علي التلمساني، وهو

عن محمد بن موسى، وهو عن والده موسى، وهو عن الولي الكبير الشيخ الشهير القطب الرباني والعالم الصمداني المرشد للصواب المنقطع من الخلق في السرداب الصائم في المهد القائم بوفاء العهد سيدي برهان الدين إبراهيم بن أبي المجد الدسوقي، وهو أخذ عن السيد الشريف عبد السلام بن مشيش، وهو عن القطب الكبرى أبي مدين شعيب البجائي، وهو عن الشيخ أبي الحسن علي بن حرزهم، وهو عن القاضي أبي بكر محمد بن عبد الله بن محمد ابن عبد الله بن العربي المعافري، وهو عن الإمام حجة الإسلام زين الدين أبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي، وهو عن إمام الحرمين أبي المعالي عبد الملك ابن ركن الإسلام أبي محمد عبد الله بن يوسف الجويني، وهو عن أبي طالب محمد ابن عطية الملكي، وهو أخذ عن أبي عثمان سعيد بن سلام المغربي، وهو عن أبي عمرو محمد بن إبراهيم الزجاجي النيسابوري، ثم الملكي، وهو عن أبي القاسم الجنيد البغدادي بسنده قدس أسرارهم أجمعين.

فصل

ولبستها من شيخنا أبي المواهب، وهو من والده سيدي علي، وهو من الشعراني وهو صحب الشيخ علي الخواص، وهو أخذ عن الشيخ إبراهيم المتبولي، وهو أخذ عن رسول الله (ﷺ) مناماً ثم يقظة كما ذكره الشعراني (رحمه الله) وقدس أسرارهم أجمعين، ثم رأيت في بعض مجاميع شيخنا أبي المواهب (قدس سره) بخطه أنه قال: وأخذت عن عمي عبد الوهاب هو الشناوي، والشيخ حسن الدنجيهي، والشيخ أحمد بن قاسم عن سيدي علي الخواص عن سيدي إبراهيم المتبولي عن النبي (ﷺ) بالكيفية المعهودة بين القوم، ولم يمت الخواص حتى أخذ ذلك ووصله ذلك بكثرة الصلاة على النبي (ﷺ) خمسين ألف صلاة كل يوم، انتهى.

ولنكتفِ بما يسره الله تعالى فإنّ استيفاء جميع شعب الأسانيد التي اتصلت لنا تطول وبالله التوفيق، والحمد لله رب العالمين.

♦ **تذكرة:**

إذا كان بين شيخِنا وبين الشيخ علي الخوّاص رجل واحد، وقد ذكر شيخنا أنه (ﷺ) لم يمت حتى أخذ عن النبي (ﷺ) يقظة كالمتبولي دخل في حديث: «طُوبَى لِمَنْ رَآنِي، وَمَنْ رَأَى

مَنْ رَآنِي ثَلَاثاً»[1] فأحببتُ إيراد هذا الحديث مسنداً تبرّكاً مع كونه من أعلى ما يقع لنا من بعض طرقه، وقد أورده الحافظ جلال الدين السيوطي (رحمه الله) في جزئه الذي سماه (النادريات من العشاريات)، فنقول أخبرني شيخنا أبو المواهب أحمد بن علي (قدس سره) عن والده سيدي علي عن الإمام عبد الوهاب الشعراني عن الحافظ جلال الدين السيوطي (رحمه الله) أنه قال في جزئه النادريات بعد تمهيد، وقدْ منّ الله عليّ بالإسناد العالي مع تأخر اشتغالي بالحديث وكون زماني ممن وقع لهم العشاريات بعيداً غير حديث فكان أكثر ما يقع لي عالياً أحدَ عشر ولا شك في ارتقائه وعلوه، فإنه إذا لم يقع للحافظ العراقي إلا في العشاري يكون لنا اثني عشرياً، إذ يكون هو الحادي عشر والراوي لنا عنه اثنا عشر، وقد فحصت بعون الله تعالى فوقع إليّ أحاديث يسيرة عشارية فوقعت مني موقع الزلال من الصادي، بل ثلجت بها أثلج الضال في المهمة ببزوغ الهادي فخرجتها في هذا الجزء وسميته (النادريات من العشاريات) ثم ساقها بأسانيده وهي ثلاثة أحاديث، ومقصودنا هنا الثاني منها فنقول: قال السيوطي (رحمه الله) أخبرني مسند الدنيا أبو عبد الله محمد بن مقبل الحلبي كتابة إليّ منه في رجب سنة تسع وستين وثمانمائة عن محمد بن إبراهيم بن أبي عمر، قال أخبرنا علي بن أحمد المقدسي، عن أبي القاسم عبد الواحد بن القاسم الصيدلاني قال: حدثتنا أم إبراهيم فاطمة ابنة عبد الله الجوزدانية وأبو الفضل جعفر بن عبد الواحد الثقفي سماعاً عليهما قالا: أنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن أحمد بن إبراهيم بن ردنه، قالا: إن أبا القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني، قال أنا أبو جعفر أحمد بن يزيد القصاص، قال حدثنا دينار بن عبد الله مولى أنس، قال: حدثني أنس بن مالك (ﷺ) قال: قال رسول الله (ﷺ):«طُوبَى لِمَنْ رَآنِي، وَمَنْ رَأَى مَنْ رَآنِي، وَمَنْ رَأَى مَنْ رَأَى مَنْ رَآنِي»[2] وأعلى منه بدرجتين أخبرني الشمس محمد الرملي بالإجازة العامة من شيخ الإسلام القاضي زكريا عن محمد بن مقبل به، والحمد لله رب العالمين.

---

(١) المعجم الكبير، للطبراني: ٢٢/ ٢٠، برقم (٢٩)، قال الهيثمي في المجمع: ١٠/ ٢٠: فيه من لم أعرفهم، والمستدرك للحاكم: ٤/ ٩٦، برقم (٦٩٩٤) قال الذهبي: ضعيف.

(٢) المعجم الأوسط، للطبراني: ٦/ ١٧١، برقم (٦١٠٦)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد: ١٠/ ٢٠: فِيهِ مَنْ لَمْ أَعْرِفْهُ.

فصل

قال الحافظ جلال الدين السيوطي (رحمه الله تعالى) في جمع الجوامع، قال الحافظ أبو بكر بن مسدي في مسلسلاته: "صَافَحْتُ أَبَا عَبْدِ الله مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ الله بْنِ عيشوي القرادي بها قال: صَافحتُ أَبَا الْحَسَنِ عليَّ بْنَ سَيْفِ الحُصَرِيِّ بالإسكندرية، وصَافَحْتُ أيضاً أَبَا الْقَاسِمِ عَبْدَ الرحمنِ بْنَ أَبِي الفَضْلِ المالِك بِالإِسْكَنْدَرِيَّةِ، قَالَ: صَافَحْتُ شِبْلَ بنَ أحمد بنِ شِبْلٍ قَدِمَ عَلَيْنَا، قَالَ: كُلُّ واحِدٍ مِنْهُمَا: صَافَحْتُ أَبَا مُحَمَّدٍ عَبْدَ الله بْنَ مُقْبل مُحَمَّد الْعَجَيبِي قَالَ: صَافَحْتُ مُحمَّدَ بْنَ الفَرَجِ بْن الحجَّاجِ السكسكي قال: صافَحْتُ أبا مَرْوَان عَبْدَ الملكِ بْنَ أَبِي مَيْسَرةَ قالَ: صافَحتُ أحمد بنَ محمدٍ القري بِهَا قالَ: صافَحْتُ أحمد الأَسْودَ، قال: صافَحتُ مَمْشَاد الدِّينورِيَّ، قال: صَافَحْتُ عَلَيّ بنَ رزين الخُراسَانِي، قال: صافحت عِيسَى القصّار، قال: صافحْتُ الحسَنَ البَصْرِيَّ، قالَ: صافَحْتُ عليَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ، قال: صَافَحْتُ رسُولَ الله (ﷺ)، قال: "صَافَحَتْ كَفِّي هذِهِ سُرَادِقَاتِ عَرْشِ ربِّي (ﷻ)"[1].

"قال ابن مسدى: غريب لا نعلمه إلا من هذا الوجه، وهذا إسناد صوفي"[2] انتهى.

قال الحافظ السيوطي أخبرتني بهذا الحديث نشوان بنت الجمال عبد الله الكناني أجازة، عن أحمد بن أبي بكر بن عبد الحميد بن قدامة المقدسي، عن عثمان بن محمد النورزي، عن ابن مسدى انتهى.

قلت: وقد أخبرني بهذا الحديث في عموم إجازته شيخنا الإمام أحمد بن علي الشناوي، عن أبيه علي عن عبد الوهاب الشعراني، عن الحافظ السيوطي (رحمه الله) بسنده المذكور، وهذا وإن كان إسناداً صوفياً كما قال ابن مسدي ولكن للقي الحسن علياً شواهد صحيحة كما مر بعضها فانتفى المانع من هذا الوجه من وقوعها، والله اعلم.

♦تنبيه:

قال الشيخ محي الدين في (الأمر المحكم المربوط فيما يلزم أهل طريق الله من الشروط) ما نصه: ومن أحوالهم النظر في عيوبهم والاشتغال بنفوسهم، والتعامي عن عيوب الناس

---

(١) جمع الجوامع: ١٨/ ٢٣٩.

(٢) المصدر نفسه: ١٨/ ٢٤٠.

ولا يعتقدون في أحد إلا خيراً، ثم قال: ومن أوصافهم سلامة الصدر لجميع الخلق والدعاء للمسلمين بظهر الغيب مع قوله فيما بعد الحب في الله والبغض في الله.

ثم قال: ومن أوصافهم نشر محاسن الخلق، وستر مساوئهم، إلا المبتدعين فيجب على كل مسلم أن يعرف بهم حتى يأخذ الناس منهم حذرهم وهو من باب الرحمة بالمسلمين فإنه أذى في طريق الدين تجبُ أماطته، انتهى.

ولا يخفي أنّ الجرح والتعديل من أهله داخل في باب الرحمة بالمسلمين، ولهذا قال الشيخ محي الدين (رحمه الله) في (الأمر المحكم): ومن شرطِهم صدق الحديث ولا سيما فيما يحدثون به من رسول الله (ﷺ) ولا يتكلمون على حسن ظنهم بالناس في الحديث عن النبي (ﷺ) بل في الحديث عن كلّ أحد وليمشوا حالهم على العلم، وقد قال (ﷺ): «حَسبُ المرءِ كذباً أنْ يحدّث بكلّ ما سَمِع»، فالورع في المنطق واجب عليهم وعلى كل مسلم، وكذلك في النظر والطعمة وغير ذلك انتهى.

ولما كان من أحوال أهل القلوب والأحوال منهم وهم الذين لم يبلغوا مبلغ الكمال ما ذكرنا من التعامي عن عيوب الناس وسلامة الصدر لم يكونوا ممن يتفرغ للاشتغال بالناس وأسباب الجرح والتعديل ونقد الرجال، تفرغ أصحاب الحديث فهم كذلك إذا رَوَوا حديثا كانوا مظنة أن يرووه بلا تفتيش عن حالِ راويه فكانوا مظنة أن يروج الكذب عليهم. من هنا كما (في طبقات الحفاظ) للجلال السيوطي (رحمه الله) "قال ابن منده: إذا وجدت في إسنادٍ زاهداً فاغسل يدك من ذلك الحديث" [1] انتهى.

وكأنه إلى هذا ونحوه يشير قول ابن مسدي: وهذا إسناد صوفي، قلت: ومع هذا كلام الحافظ ابن منده إنْ كان ظاهرُ إطلاقه مراداً له فهو إطلاق غير مرضي عند الإنصاف، وإن أراد الزُهّاد من غير الحفاظ.

وذلك إما أولاً: فلأنه كم من زاهد له رواية قد وثقه من أهل الحديث من يعتبر توثيقه كالدار قطني في توثيقه لذي النون المصري.

أخبرني شيخنا أبو المواهب عن الشمس محمد بن أحمد الرملي، عن شيخ الإسلام زين الدين زكريا بن محمد الأنصاري، عن الحافظ نجم الدين أبي حفص عمر بن الحافظ الرحله

---

(١) طبقات الحفاظ، للسيوطي: ١/ ٤٢٥.

تقي الدين أبي الفضل محمد بن فهد الهاشمي المكي، عن الشيخ جمال الدين أبي المحاسن محمد بن إبراهيم المرشدي المكي الحنفي عن الشيخ أبي محمد عبد الله بن محمد بن محمد ابن سليمان المكي، عن أبي نصر محمد بن محمد بن أبي نصر محمد بن هبة الله الشيرازي كتابةً، عن الشيخ محي الدين محمد بن علي بن العربي إذناً أنه قال في كتابه (الكوكب الدري في مناقب ذي النون المصري) باب في أنه كان من أهل الحديث كان ذو النون (رحمه الله) من رواة الحديث أسند عن مالك بن أنس، والليث بن سعد، وسفيان بن عيينة، والفضيل بن عياض وغيرهم، وكان ثقة.

حدثنا محمد بن قاسم، حدثنا أحمد بن محمد، حدثنا القاسم بن الفضل بن محمود، حدثنا أبو عبد الرحمن السلمي قال: سألت علي بن عمر يعني الدار قطني عن أحاديث ذي النون؟ فقال: إذا صحّ السند إليه فأحاديثه مستقيمة وهو ثقة، انتهى بلفظه (قدس سره)[1].

وأما ثانياً: فلِما مرّ أنّهم من شرطهم صدق الحديث ولا سيما في الحديث عن النبي(ﷺ) فهم لا يعمدون إلى الكذب، وحسنِ ظنّهم بالناس وسلامة صدورهم وتعاميهم عن عيوب الناس إنما يكون مظنة لترويج الكذب عليهم إذا لم يكن الشيخُ الذي يروون عنه ثقة، وأما إذا كان ثقة فليس ثمةَ ما يوجب ذلك؛ لأنهم إذا كان من شرطهم صدق الحديث، والشيخ الذي يروي عنه الزاهد ثقة فمن أين يدخل الكذب، وذلك كذي النون فإنه يروي عن مالك عن الزهري عن أنس وعن الليث بن سعد عن نافع عن ابن عمر، وأما ما نقل عن يحيى بن سعيد القطان من قوله: "لَمْ نَرَ الصَّالِحِينَ فِي شَيءٍ أَكْذَبَ مِنْهُمْ فِى الْحَدِيثِ" فهو لكونه على إطلاقه غير مقبول أيضاً أوّله الحافظ أبو الفضل زين الدين العراقي في شرح ألفيته فقال يريد -والله أعلم- بذلك المنسوبين للصلاح بغيرِ علمٍ يفرقون به بين ما يجوز لهم ويمتنع عليهم، يدلّ على ذلك ما رواه ابن عدي والعقيلي بسندهما الصحيح إليه أنه قال: "ما رأيت الكذب في أحدٍ أكثر منه فيمن ينسب إلى الخير، أو أراد أن الصالحين عندهم حسن ظن وسلامة صدر فيحملون ما سمعوه على الصدق ولا يهتدون لتمييز الخطاء من الصواب"[2] انتهى.

---

(١) ينظر: تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي: ٩/ ٣٧٣.

(٢) ينظر: الكامل في الضعفاء، لابن عدي: ١/ ٢٤٦، وضعفاء العقيلي: ١/ ١٤.

قلت: ما دلّ عليه كلام الحافظ من تقسيم المنسوبين للصلاح على قسمين ما ينسب إليه حقيقة وصورة، وما ينسب إليه صورة لا حقيقة صحيح فقد قال الشيخ محي الدين ابن العربي في (الأمر المحكم المربوط) بعد أن أورد قوله تعالى: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾[1]، وقال إنّ الأقربين على نوعين قرابة طينية وهي قرابة النسب، وقرابة دينية والمعتبر في الشرع القرابة الدينية، قال: إنّ المؤمنين انقسموا على مراتب كثيرة من جملتها مرتبة تسمى التصوف أخذتها طائفة تسمى الصوفية آثروا الآخرة على الدنيا واختاروا الحق على الخلق، وما من طائفة في مرتبة إلا وهي في تلك المرتبة على حالين صادقة ذات حقيقة ومدعية لا حقيقة، وقال أبو عاصم النبيل "مَا رَأَيْتُ الصَّالِحَ يَكْذِبُ فِي شَيْءٍ أَكْثَرَ مِنَ الْحَدِيثِ " رواه الخطيب في الكفاية ١٢ هامش الأصل (٢)[2] قال مسلم في مقدمة صحيحه: "يَقُولُ يَجْرِى الْكَذِبُ عَلَى لِسَانِهِمْ وَلاَ يَتَعَمَّدُونَ الْكَذِبَ"[3] قال النووي "وذَلِكَ لِكَوْنِهِمْ لَا يُعَانُونَ صِنَاعَةَ أَهْلِ الْحَدِيثِ فَيَقَعُ الخطأ فى رواياتهم ولا يعرفونه ويرون الْكَذِبَ وَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّهُ كَذِبٌ وَقَدْ قَدَّمْنَا أَنَّ مَذْهَبَ أَهْلِ الْحَقِّ أَنَّ الْكَذِبَ هُوَ الْإِخْبَارُ عَنِ الشَّيْءِ بِخِلَافِ مَا هُوَ عَمْداً كَانَ أو سَهْواً أو غَلَطاً " ١٢ هامش (٣)[4] اسمه فتح المغيث ١٢ عندها فقرابة كل طائفة من كانت معها على طريق واحدة أما بالصورة وهم المدعون الذين لا حقيقية عندهم وأما بالصورة والمعنى وهم المحققون، انتهى الغرض منه.

فنقول إنْ كانَ مرادُ يحيى بن سعيد بالكذب وضع الحديث ابتداءً فالمعنى هو الأول إلا أن مثل هذا يقع فيه من ينسب إليهم صورة من غير علم وتمييز فإنّ من هو منهم حقيقة يبذل جهده أن لا يصدر منه خلاف الأولى والمكروه تنزيهاً، فكيف يعمد إلى إحدى كبائر المحرمات عن علم هذا معلوم الانتفاء عادة، وإن كان مرادُه بالكذب رواية الكذب من غيره فالمعنى هو الثاني ولكن فيه ما مر من أنّ حسنَ ظنه وسلامة صدره إنما يكون مظنة لترويج الكذب عليه إذا روى عن غير ثقة، وأما إذا روي عن ثقة فلا كما مر، ثم على تقدير روايته من غير الثقة

---

(١) سورة الشعراء: الآية/ ١٢٤.

(٢) الكفاية في علم الرواية، للخطيب البغدادي: ١/ ٨٣.

(٣) مقدمة صحيح مسلم: ١/ ١٣.

(٤) شرح صحيح مسلم: ١/ ٩٤.

أيضاً إن كان ذلك الغير معروفاً بكونه من الضعفاء فالزاهد كغيره في الرواية عنه من حيث أنّ الحديث يعَلّ بذلك الضعيف، وإن كان الراوي عنه أوثق الحفاظ إنْ لم يكن ثمة ما يجبر، وإن كان مجهول الحال فيظهر الفرق حينئذ بين الحافظ غير الزاهد وبين الزاهد غير الحافظ حيث أنّ الأول يتعدى للكشف عن حاله حتى إذا روى عنه روى على بيّنة منه في أمره أما بالجرح والتعديل بخلاف الزاهد فإنّه قد يروى بلا تفتيش ولكن أخرج الحافظ أبو نعيم الجامع بين الفقه والتصوف والنهاية في الحديث كما قال التاج السبكي عن علي (ﷺ) على ما في الجامع للسيوطي (رحمه الله) أنه (ﷺ) قال: «منْ تزهّد في الدنيا علّمَه الله بلا تَعَلُّم وهداه بلا هداية وجعله بصيراً، وكشف عنه العمى»[1] انتهى فمن كان من الزاهدين حقيقة لا صورة فهو بمقتضى قول رسول الله (ﷺ) الذي لا ينطق عن الهوى يجعله الله بصيراً أو يكشف عنه العمي، ومن لوازم ذلك ويقرب منه ما رواه القشيري في الزهد من الرسالة عن أبي خلاد[2] وكانت أن يكون على بصيرة في أمور دينه فإذا كانت الأحاديث التي يرويها الزاهد عن مجهول متضمنة لشيءٍ من ذلك كان مقتضى الوعد الصادق من رسول الله (ﷺ) أن يجعله الله بصيراً بذلك بوجه من وجوه التبصير الإلهي لعباده الصالحين فان تحقق عنده التبصير الإلهي أنه حديث صحيح يتلقاه بالقبول فيصدق به، ويرويه للناس وإن تحقق عنده بذلك أنه موضوع رمى به، والله أعلم فقد ظهرَ أن قولَ الحافظ ابن منده ويحيى بن سعيد القطان على إطلاقها غير مراد أو غير مقبول والله اعلم، وبالله التوفيق.

♦ **نكتة:**

إذا علمتَ بمقتضى الحديث المذكور أنّ الزاهد حقيقة لا صورة فقد يبصره الله ويكشف عنه العمى كان معنى كلام ابن منده على خلاف قصده في حق الزاهد الحقيقي إذا وجدت في إسناد زاهداً فاغسل يدك من ذلك الحديث أي لأنه ظهور معنوي لكونه لا يروي إلا الصحيح عنده بالتبصير الإلهي المتضمّن لمهمة من مهمات الدين المطهر لمن استعمله في ظاهره أو باطنه أو فيهما طهارة معنوية كما أن معناه في الزاهد صورة لا حقيقة لما قصده لكن على التفصيل أيضاً، والله أعلم.

---

(١) لم أجده.

(٢) قوله (ﷺ): «إذا رأيتم الرجل قد أوتي زهداً في الدنيا، ومنطقاً، فاقتربوا منه، فإنه يلقن الحكمة» الرسالة القشيرية: ص/ ٥٥.

فصل

ولنذكرْ هنا بعض ما وقع لنا من الأحاديث التي أسندها ذو النون المصري (رحمه الله) تبركاً وذكرى وتجديداً لما قيل إذا ذكر أهل الورع فحيهلا بذي النون.

فنقول: أخبرنا شيخُنا أبو المواهب بسنده المذكور إلى الشيخ محي الدين ابن العربي قال في كتابه (الكوكب الدري) حدثنا أبو الحسن بن الصائغ الزاهد، حدثنا أحمد بن محمد ابن أحمد، حدثنا القاسم بن الفضل، حدثنا أبو عبد الرحمن السلمي، حدثنا عبد الله بن الحسين الصوفي، حدثنا محمد بن حمدون بن مالك البغدادي، حدثنا الحسن بن أحمد بن المبارك، حدثنا أحمد بن صليح الفيومي، حدثنا ذو النون المصري، عن مالك بن أنس، عن الزهري، عن أنس قال: قال رسول الله (ﷺ): «عَلَامَةُ حُبِّ اللهِ حُبُّ ذِكْرِ اللهِ، وَعَلَامَةُ بُغْضِ اللهِ بُغْضُ ذِكْرِهِ»[1]، وبه إلى الشيخ محي الدين قال: حدثنا أبو محمد عبد العزيز بن أبي نصر بن المبارك ابن محمود الأخضر ببغداد، حدثنا يحيى بن عبد الباقي بن محمد بن ابن عبد الواحد الغزال، حدثنا أحمد بن أحمد الحداد، حدثنا أحمد بن عبد الله، حدثنا سهل عبد الله التستري ثنا الحسن ابن أحمد الطوسي، حدثنا أحمد بن صليح، حدثنا ذو النون حدثنا سفيان بن عيينة، عن عبد

---

(١) ينظر: الكوكب الدري في مناقب ذي النون المصري، لمحيي الدين بن عربي، محيي الدين بن عربي. عن: دار الكتب العلمية ، بيروت، ٢٠٠٥م: ص/ ٢٩، والحديث أخرجه البيهقي في الشعب، بلفظ: «أَخْبَرَنَا عَلِيُّ بْنُ أحمد بْنِ عَبْدَانَ، حدثنا أحمد بْنُ عُبَيْدِ الصَّفَّارُ، حدثنا عُبَيْدُ بْنُ شَرِيكٍ، حدثنا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ، حدثنا اللَّيْثُ، عَنِ ابْنِ عَجْلَانَ، عَنْ وَاقِدِ بْنِ سَلَامَةَ، عَنْ يَزِيدَ الرَّقَاشِيِّ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ رَسُولِ اللهِ (ﷺ) أَنَّهُ قَالَ: "إلا أُخْبِرُكُمْ، عَنْ أَقْوَامٍ لَيْسُوا بِأَنْبِيَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ يَغْبِطُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ بِمَنَازِلِهِمْ مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ يَكُونُونَ عَلَيْهَا". قَالُوا: مَنْ هُمْ؟ قَالَ: "الَّذِينَ يُحَبِّبُونَ عِبَادَ اللهِ إلى اللهِ، وَيُحَبِّبُونَ اللهَ إلى عِبَادِهِ، وَهُمْ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ نُصَحَاءَ". قَالَ: قُلْنَا: يُحَبِّبُونَ اللهَ إلى عِبَادِ اللهِ، فَكَيْفَ يُحَبِّبُونَ عِبَادَ اللهِ إلى اللهِ؟ قَالَ: "يَأْمُرُونَهُمْ بِحُبِّ اللهِ وَيَنْهَوْنَهُمْ - يَعْنِي - عَمَّا كَرِهَ اللهُ فإذا أَطَاعُوهُمْ أَحَبَّهُمُ اللهُ" قَالَ الْبَيْهَقِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: "وَجَاءَ عَنْهُ (ﷺ) قَالَ: "عَلَامَةُ حُبِّ اللهِ حُبُّ ذِكْرِ اللهِ، وَعَلَامَةُ بُغْضِ اللهِ بُغْضُ ذِكْرِهِ» فصل في محبة الله: ٢/ ١٢، برقم (٤٠٥)، قال البيهقي: وَهَذَا إِنَّمَا بَلَغَنَا بِإِسْنَادٍ فِيهِ ضَعْفٌ.

الله بن أبي بكر سمع أنس بن مالك يقول قال رسول الله (ﷺ): «يَتْبَعُ الْمَيِّتَ ثَلَاثَةٌ فَيَرْجِعُ اثْنَانِ وَيَبْقَى مَعَهُ وَاحِدٌ يَتْبَعُهُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَعَمَلُهُ فَيَرْجِعُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَيَبْقَى عَمَلُهُ»[1].

وبه إلى الشيخ محي الدين، قال: حدثنا الحاج محمد ابن أخت أبي الربيع المنوفي، حدثنا أحمد ابن محمد بن أحمد بن إبراهيم الحافظ، حدثنا أبو عبد الله الثقفي، حدثنا أبو عبد الرحمن السلمي، حدثنا عبد الله بن الحسين الصوفي، حدثنا محمد بن حمدون، حدثنا الحسن بن أحمد، حدثنا أحمد بن صليح، حدثنا ذو النون المصري، عن الليث بن سعد، عن نافع، عن ابن عمر أنّ النبي (ﷺ) قال: «الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ وَجَنَّةُ الْكَافِرِ»[2]، فهذا بعض ما وقع لنا من مسانيده، والله أعلم.

فصل

وبالإسناد السابق إلى السيوطي قال في جمع الجوامع: قال الديلمي: أنبأنا والدي، أنا أبو الحسن الميداني الحافظ قال: قرأتُ في أمالي عبد الله الحسين بن محمد بن هارون العقبى، ثنا أبو إسحاق إبراهيم بن محمد النيسابوري، ثنا أبو زكريا يحيى بن محمود بن عبد الله بن أسد، حدثنا على بن الحسن الأفطس، حدثنا عيسى بن موسى، حدثنا عمر بن صبيح، حدثنا كثير بن زياد، عن الحسن قَالَ: سَمِعْتُ رِجَالاً مِنَ الأَنْصَارِ وَالْمُهَاجِرِينَ مِنْهُمْ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ يَقُولُونَ: قَالَ رَسُولُ الله (ﷺ): «مَنْ طَلَبَ عِلْماً لَمْ يُصِبْ مِنْهُ بَاباً إلا ازْدَادَ فِي نَفْسِهِ ذُلاً، وَفِى النَّاسِ تَوَاضُعاً، وَالله خَوْفاً، وَفِى الدِّينِ اجْتِهَاداً فَذَلِكَ الَّذِي يَنْتَفِعُ بِالْعِلْمِ، فَلْيَتَعَلَّمْهُ، وَمَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ لِلدُّنْيَا وَالْمَنْزِلَةِ عِنْدَ النَّاسِ وَالْحظْوَةِ عِنْدَ السُّلْطَانِ لَمْ يَصْحَبْ مِنْهُ بَاباً إلا زَادَ في نَفْسِهِ عَظَمَةً، وَعَلَى النَّاسِ اسْتِطَالَةً، وَبِالله اغْتِرَاراً، وَفِى الدُّنْيَا جَفَاءً، فَذَلِكَ لَا يَنْتَفِعُ بِالْعِلْمِ فَلْيُمْسِكْ وَلْيَكُفَّ عَنِ الْحُجَّةِ عَلَى نَفْسِهِ وَالنَّدَامَةِ وَالْخِزْيِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[3].

---

(١) والحديث في صحيح البخاري، بَاب سَكَرَاتِ الْمَوْتِ: ٨/ ١٩٣، برقم (٤٢)، ومسلم، الزهد والرقائق: ٤/ ٢٢٧٣، برقم (٢٩٦٠).

(٢) والحديث في صحيح مسلم، الزهد والرقائق: ٤/ ٢٢٧٢، برقم (٢٩٥٦).

(٣) جمع الجوامع: ١٨/ ٢٧٢، برقم (٢١١٦).

قال الحافظ السيوطي (رحمه الله): "في هذا الإسناد تصريح بسماع الحسن من علي وهي لطيفة لولا أن فيه عمر بن صبيح، وقد أخرجه ابن الجوزي في الموضوعات من وجه آخر، عن علي بن الحسن به، وقال عن الحسن عن علي من غير تصريح بالسماع"[1] انتهى.

قلت: التصريح بسماع الحسن عن علي في غير هذا الحديث قد سبق في الإتحاف[2] بإسناد رجاله ثقات، وقد سبق أن الثقة الذي يدلّس إذا صرح بالسماع فإسناده متصل وروايته مقبولة، فهو دليل على ثبوت أصل السماع عن علي، وإذا ثبت أصل السماع فيحمل وجه ابن الجوزي الظاهر في السماع علي (ﷺ) طريق الديلمي الصريح في السماع علي (ﷺ) ما فيه من ضعف الراوي المذكور، والله أعلم.

فصل

حديث شداد بن أوس السابق مستند لتلقين الشيخ جماعة من المريدين مجتمعين لا إله إلا الله.

فأمّا تلقينه المنفرد لا إله إلا الله فلم أقفْ في شيءٍ من كتبِ المحدثين من السنن والمسانيد والجوامع على شيء خاص ورد في ذلك عن النبي (ﷺ) ولكن رأيت في (رسالة ريحان القلوب في التوصل إلى المحبوب) للشيخ جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن عبد الله بن عمر بن علي ابن خضر الكوراني العجمي شيخ مشايخنا بوسائط السابق في سلسلة الهمدانية من طريق الغوث والاويسية من غير طريق الغوث (قدَّسَ الله أسرارهم) أجمعين.

ومن نسخة عليها خط تلميذه الشيخ عبد الرحمن بن محمد القرشي الشبريسي، ثم القاهري (رحمه الله) نقلت أنه قال بعد ذكر سنده في لبس الخرقة من طريق أويس القرني (رحمه الله) السابق ذكره ونسبة الخرقة نذكر بعد لبسها بخلاف التوبة والتلقين فإنّ نسبتها تذكر قبل العهد والتلفظ بكلمة التوحيد إلى أن قال: «سأل عليٌّ (ﷺ) النبيَّ (ﷺ) فقال يا رسولَ الله دلّني على أقربِ الطرقِ إلى الله وأسهلِها على عبادِه وأفضلِها عند الله تعالى فقال يا عليّ عليك بمداومة ذكر الله تعالى في الخلوات فقال علي هكذا فضيلة الذكر وكل الناس ذاكرون،

---

(١) الموضوعات، لابن الجوزي: ١/ ٢٣١.

(٢) ينظر: إتحاف السادة المتقين، للزبيدي: ٢/ ٣٤٤، ٥/ ٤١.

فقال رسول الله (ﷺ) يا علي لا تقوم الساعة وعلى وجه الأرض من يقول الله الله، فقال علي كيف أذكر يا رسول الله؟ قال: غمض عينيك واسمع مني ثلاث مرات، ثم قل أنت ثلاث مرات وأنا اسمع فقال النبي (ﷺ) إلا الله ثلاث مرات مغمضاً عينيه رافعاً صوته وعلي (ﷺ) يسمع ثم قال علي لا إله إلا الله ثلاث مرات مغمضاً عينيه رافعاً صوته والنبي (ﷺ) يسمع»[1]، ثم لقن عليٌ الحسن البصريَّ، وهو لقن حبيب العجمي، وهو لقّن داود الطائي، وهو لقن المعروف الكرخي، وهو لقّن سرياً السقطي، وهو لقن أبا القاسم الجنيد، وهو لقن ممشاد الدينوري، وهو لقن أحمد الأسود الدينوري، وهو لقن محمد السهروردي الشهير بعمويه، وهو لقن ابنه القاضي وجيه الدين، وهو لقن أبن أخيه أبا النجيب السهروردي، وهو لقن ابن أخيه الشيخ شهاب الدين عمر السهروردي، وهو لقن الشيخ نجيب الدين علي بن بزغش الشيرازي، وهو لقن الشيخ نور الدين عبد الصمد النطنزي، وهو لقن الشيخ بدر الدين الطوسي والشيخ نجم الدين محمود الأصفهاني، وهما لقنا الشيخ الفقيه حسنا الشمشيري، وهو والشيخ نجم الدين لقّنا الشيخ الأوحد قطب العصر وفريد الدهر أبا المحاسن جمال الدين يوسف ابن الشيخ أبي محمد عبد الله الكوراني.

قلت: هكذا في النسخة التي وقفت عليها بهذه الألقاب والظاهر أنه من تصرف بعض تلامذته بقرينة أنه قال بعدها منحنا الله به فوق منتهى الأماني بمحمد وآله وصحبه ذوي التهاني وبدور التداني، وكتب بعد هذا بخط غير خط الرسالة ما نصه، وهو لقن سيدنا الشيخ الإمام المقتدى المرشد الموصل المكمل المحقق الفرد الغوث الجامع زين الملة والدين أبا الميامن عبد الرحمن ابن الشيخ الإمام العالم العامل الكامل شمس الملة والدين محمد ابن الشيخ الأجل الأوحد القدوة العلامة وملاذ الطالبين ملجأ الملهوفين نور الحق والملة والدين أبي المعالي عبد الرحمن القرشي الشبريسي المصري نفعنا الله وسائر المريدين بميامن إرشاده وهدايته انتهى.

وقد مرّ أنه لقّن الشيخ زين الدين الخوافي وهكذا إلى أن اتصل بنا كما في سلسلة السيد علي الهمداني (قدس الله أسرارهم أجمعين)، وكذلك رأيت في مسلسلات السيد هبة الله

---

(١) وجدته في عجائب الآثار، للجبرتي: ص/ ١٧٤، وإيقاظ الهمم، لابن عجيبة: ص/ ٦١، وهما كتابان فاضلان.

ابن عطاء الله الحسن الحسيني الفارسي الشهير بشاه مير سبط الحافظ نور الدين أبي الفتوح أحمد بن عبد الله ابن أبي الفتوح ابن أبي الخير بن عبد القادر الحكيم أحد تلامذة الشمس ابن الجزري بُزْغُش بضم باء موحدة وسكون زاي معجمة وضم غين معجمة وشين، والمجد الفيزوز أبادي (رحمهم الله تعالى) أجمعين بروايته عن جدّه لأمه الحافظ أبي الفتوح المذكور بسنده المتصل نحو ما في (ريحان القلوب) وزاد كيفيات أخرى.

ثم رأيتُ الشيخ الإمام تاج الدين عبد الرحمن بن شهاب الدين مسعود بن محمد المرشدي الكازروني، روي ذلك أيضاً عن الحافظ أبي الفتوح المذكور بسنده الذي ساقه السيد هبة الله وشاهدتُ بخطّ شيخنا أبي المواهب أحمد بن علي العباسي الشناوي (قدس سره) في آخر مسلسلات السيد هبة الله ما نصه: روينا هذه المسانيد عن مولانا السيد غضنفر (ﷺ) وهو عن الخطيب الكازروني جد المؤلف (رحمه الله تعالى)، انتهى بلفظه.

فلنورده مع بعض زوائد فوائد تذكرة وتبصره.

فنقول: قال السيد هبة الله الشهير بشاه مير (رحمه الله) في مسلسلاته السلسلة الحادية والأربعون سلسلة ذكر لا إله إلا الله إلى أن قال وطرق هذا الذكر ستة.

* **أولها**: الذكر المطلق المجرد عن الهيئات يعني المخصوصة المستعمل في كل الأوقات الجاري على ألسنة جميع الكائنات وهو ذكر عامة المخلوقات، وعبارة الإمام تاج الدين عبد الرحمن المرشدي الكازروني المذكور هكذا: اعلم أنّ ذكر لا إله إلا الله نوعان: الأول ذكر مطلق مجرّد عن تقييد بهيئة وضرب، بل يذكر في كل حين وعلى كل حال، والملاحظ في هذا النوع دوام الذكر وكثرة تعداده في يوم وليلة، وهو ذكر عامة الخلق وهو أتم وأتقن.

قال السيدُ هبةُ الله أخذته وتلقنته من شيخي وجدّي وأستاذي وإسنادي ومن به في الدارين استنادي السابق ذكره غير مرة يعني نور الدين أحمد أبا الفتوح المذكور، وقال التاج الكازروني المذكور أخذته من شيخي وسندي نور الدين أحمد بن عبد الله بن أبي الفتوح بن أبي الخير بن عبد القادر الحكيم، ثم ساقا سنده إلى الشيخ الإمام سلطان الأولياء المرشد أبي إسحاق إبراهيم بن شهريار بعشر وسائط بسنده من طريق ابن خفيف إلى الجنيد بسنده.

ثم قال السيد هبة الله: وثانياً الذكر المقيد بالضربين على طريق الحمائلية وهذه السلسلة متصلة برسول الثقلين وسيد الكونين (عليه وعلى إله وصحبه) أفضل الصلوات والتسليمات

في الدارين، وطريقها أن تجلس متربعاً وتضع كفيك على فخذيك مبسوطتين وتغمض عينيك وتبدأ بالذكر من جانبك الأيسر تقصد أن تأخذ ما سوى الله من قلبك وهو تحت ثديك الأيسر بقولك (لا) وتمرها إلى أن تطرح (اله) وهو المنفي فوق كتفك الأيمن وتثبت بقولك (إلا) من فوق كتفك الأيمن (الله) في قلبك الذي ألقيت ما سوى الله تعالى عنه بضرب شديد يستأثر قلبك ويتمكن فيه نور الذكر.

تلقّنت من فِيّ جدّي وشيخي ومقتداي أنعم الله عليه وإياي يعني أبا الفتوح المذكور، وهو من قطب أقطاب عصره غوث أوتاد دهره زين الحق والدين أبي بكر الخوافي أدركه الله بلطفه الوافي، وهو من الشيخ نور الدين عبد الرحمن القرشي البحيري، وهو من الشيخ جمال الدين يوسف بن عبد الله الكوراني العجمي، وهو من الشيخ نجم الدين محمود بن سعد الله الأصفهاني، وهو من الشيخ نور الدين عبد الصمد النطنزي، وهو من شيخ الإسلام بركة الله على الأنام نجيب الدين علي بن بزغش الشيرازي، وهو من الباز الأشهب ولي الله الأقرب علم الهدى السرمدي شهاب الدين أبي حفص عمر السهروردي، وهو من عمه الشيخ ضياء الحق والدين السهروردي، وهو من الشيخ الإمام العارف المقدام أبو الفتوح أحمد بن محمد الغزالي، وهو من الشيخ أبو بكر بن عبد الله النساج الطوسي، وهو من الشيخ أبي القاسم بن عبد الله الكركاني، وهو من أبي عثمان سعيد بن سلام المغربي، وهو من أبي علي الحسن بن أحمد الكاتب المصري، وهو من أبي علي الروذباري، وهو من سيد الطائفة وإمام العصابة أبي القاسم الجنيد البغدادي، وهو من خاله سري بن المغلّس السقطي، وهو من أبي محفوظ معروف بن فيروز الكرخي، وهو من أبي سليمان داود الطائي، وهو من حبيب العجمي، وهو من قدوة التابعين الحسن بن أبي الحسن البصري قدس الله تعالى أرواحهم ونور أشباحهم، وهو من أمير المؤمنين وسيد الأولياء المتقين علي بن أبي طالب (ﷺ) أنه قال: «قلت يا رسول الله دلّني على أقرب الطرق إلى الله وأفضلها عند الله وأشملها على عبادة الله فقال رسول الله (ﷺ) عليك بما وصلت به إلي النبوة، فقلت: وما ذاك يا رسول الله؟ قال: بمداومة الذكر في الخلوات، قلت: هكذا فضيلة الذكر وكل الناس ذاكرون، قال: مه يا علي لا تقوم الساعة وعلى وجه الأرض من يقول الله، ثم قلت: وكيف أذكر يا رسول الله قال اسمع مني حتى أقولها ثلاثا وأنت تسمع ثم

قلها ثلاثا وأنا اسمع، ثم قال رسول الله (ﷺ) لا إله إلا الله لا إله إلا الله لا إله إلا الله وسمعت منه ثم قلت كما سمعت فأجاز لي أن ألقن غيري»[1].

فلقّن سيد الأولياء الحسن البصري، فقال الحسن مثل ما سمع من أمير المؤمنين (علي) (كرم الله وجهه) وهلم جرا إلى أن وصل إلي بتوفيق الله تعالى وفضله فقلت مثل ما سمعت من جدي الإمام، انتهى كلام السيد هبة الله (رحمه الله) قلت: وهلم جرا كذلك بالمذكورين

---

(١) إن عامود الإسلام وصلبه ونخاعه اعتمد على الكلمة المقدسة لا إله إلا الله محمد رسول الله، قال تعالى:

١ - ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [الصافات: ٣٥].

٢ - ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ ۖ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴾ [ص: ٦٥].

٣ - ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴾ [الزمر: ٦].

٤ - ﴿ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ [غافر: ٣].

٥ - ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴾ [غافر: ٦٢].

٦ - ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ [غافر: ٦٥].

٧ - ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ﴾ [الدخان: ٨].

٨ - ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ ﴾ [محمد: ١٩].

٩ - ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ﴾ [الحشر: ٢٢].

١٠ - ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ﴾ [الحشر: ٢٣].

١١ - ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [التغابن: ١٣].

١٢ - ﴿ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴾ [المزمل: ٩].

قال ابن عجيبة الحسني في ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [الصافات: ٣٥] يقول الحق جل جلاله: "إنهم" أي المشركين، "كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله" هو أعمم من إذا قيل لهم: قولوها، أو: ذكرت بمحضرهم، "يستكبرون" أي يتعاظمون عن قولها أي كانوا في الدنيا إذا سمعوا كلمة التوحيد استكبروا عنها، وأبوا إلا الشرك ﴿ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴾ يعنون نبينا محمد (ﷺ) ﴿ بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ "بل جاء بالحق وصدّق المرسلين" لكونه مصدّقاً لما بين يديه من الرسل.

إلى أن وصل إلينا بإكرام رب العالمين الذي لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعلمون بأمره كما مرّ في سلسلة السيد علي الهمداني وغيره، والله اعلم.

وقال التاج المرشدي الكازروني المذكور النوع الثاني ذكر مقيّد بهيئة مخصوصة وله ثلاث هيئات:

* **أولها**: التي سلك بها المقدمون ونقلوها عن النبي (ﷺ) جارية على ضربين، ويقال لها الحمائلية وهي أن تقعد متربعاً وتضع كفيك على فخذيك مبسوطتين وتغمض عينيك وتبتدئ به من جانبك الأيسر وتقصد أن تأخذ ما سوى الله تعالى من قلبك وهو تحت ثديك الأيسر بقولك (لا) وتمدها إلى أن تطرح (اله) وهو المنفي فوق كتفك الأيمن، وزاد شيخنا في هذه الهيئة في المدّ أشارة خفية خفيفة إلى السرة بأن تمد هذا المد من القلب إلى السرة ثم إذا عبر منها قصد الصعود إلى الكتف الأيمن لنفي شيطان موكّل على شهوة الفرج، وما سمعت هذا من غيره وتثبت بقولك (إلا) من فوق كتفك الأيمن (الله) في قلبك الذي نفيت ما سوى الله عنه بضرب شديد كضارب القدوم ليتأثر قلبك وتتمكن فيه نور الذكر، ويكون ملاحظة جانب الإثبات أكثر، وهكذا تلقنت من شيخنا ابن أبي الفتوح المذكور، وهو من زين الدين أبي بكر الخوافي بسنده السابق إلى منتهاه.

قال السيد هبة الله: أقول هذا حديث ثابت بسلسلة الأولياء المتقين والمشايخ المتقنين لكن تكلم فيه المحدّثون من حيث أنه لم يذكر في السنن من المسانيد، ومن حيث أنه لم يعرف للحسن البصري سماع من أمير المؤمنين مع أنه عاصره بلا شك فإنه ولد في خلافة أمير المؤمنين عمر (ﷺ) وصحّ أنه سمع خطبة عثمان (ﷺ)، قال شيخ مشايخنا قاضي القضاة الجزري في كتاب أسنى المطالب في مناقب علي بن أبي طالب: سألت شيخنا الحافظ عماد الدين إسماعيل بن كثير عن ذلك فقال لا يبعد أنه أخذ منه بلا واسطة فإن لُقيه له ممكن، ثم قال -يعني ابن الجزري - قلت على إنا روينا عنه الحديث عن مولانا أمير المؤمنين بلا واسطة ثم ساق بسنده حديث: «رُفِعَ القَلَمُ عَنْ ثَلاَثَة..»[1] وأطالَ الذكرَ الحَسَن في ذلك بما أغنى عنه

---

(١) تمام الحديث: «حَدَّثَنَا هُشَيْمٌ، أَخْبَرَنَا يُونُسُ، عَنِ الْحَسَنِ، عَنْ عَلِيٍّ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ (ﷺ) يَقُولُ: "رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلاثَةٍ: عَنِ الصَّغِيرِ حَتَّى يَبْلُغَ، وَعَنِ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ، وَعَنِ الْمُصَابِ حَتَّى يُكْشَفَ عَنْهُ» مسند أحمد: ٢/ ٢٥٤، برقم (٩٤٠)، وسنن الترمذي، بَابُ مَا جَاءَ فِيمَنْ لاَ يَجِبُ عَلَيْهِ الحَدُّ: ٢/ ٨٤، برقم (١٤٢٣) قال الترمذي: حسن غريب.

ما سبق في الإتحاف، إذ قد مرّ فيه بإسناد رجاله ثقات أن الحسن البصري قال سمعت علياً يقول قال رسول الله (ﷺ): «مثلُ أمَّتِي مثلَ المَطَر» الحديث[1].

ومن المقرّر في محلّه أنّ الثقة الذي يُدلّس إذا عبّر في روايته عن شيخنا بصيغة صريحة في السماع كسمعت فروايته مقبولة وإسناده متصل، ورجال هذا الإسناد كما قال السيد هبة الله الأولياء المتقون والمشائخ المتقنون وتصريحهم بالتلقين كتصريحهم بالسماع لنضمّنه فيكون إسناده متصلاً بمقتضى القاعدة المذكورة والله اعلم.

وأما قولُه (ﷺ): «بمَا وَصَلَت بِه إليّ النُبوة» فليس المراد أنه كان سبباً لإنبائه بذلك ولأجله تبع فإنّ النبوةَ اختصاص من الله تعالى ليست بمكتسبة بل هو تنبيه على أنّ السالك إلى الله ذو معراج، ولا بد من فضل الله أن يفوز بشيءٍ من الفضل على وسيلة الذكر لله والدعاء بذلك يتعرض لنفحات ربه، ويسلك طريق اكرامه بإذنه، ثم الأمر إلى الله فيما يكرمه به بعد الوصول إلى الباب ليس بيد العبد منه شيء، وإيضاح ذلك أن طريقَ النبوّة العصمة من الصغائر والكبائر ولا يكون ذلك إلا للأنبياء ولتابِعِها طريق الحفظ في المحفوظين وأن يكونوا معصومين لأنهم اعني المحفوظين ورثة الأنبياء في العصمة بالحفظ، وفي النبوة بالبلاغ عنهم كما قال: «بلِّغُوا عَنّي وَلَو آية»[2] فيحتاج المبلغ إلى الحفظ وهو الوثاقة والثبات والعدالة الموجبة للسلامة من الجرح والملامة وما إلى ذلك مما هو للتعديل عن الجرح، فالمتولي له في ذلك الحفظ بكرم الله تعالى المنان علينا برسوله، والفارق بين العصمة والحفظ أنّ المحفوظ في محل إمكان السقوط وإن لم يسقط للحفظ، والنبي ليس كذلك، فلما كان قرب وقت نزول الوحي (ﷺ) بالإنباء والإرسال ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾[3] كان طاهراً ظاهراً بولايته العظمى في طريق الحفظ على القول به قبل النبوة وإن قلنا بالعصمة قبل النبوّة في حال ولايته التي هي أعمّ وأخص من الرسالة والأنباء، وبعدها وهو الحق لأنه نبي وآدم منجدل في طينته وبين الماء والطين، وهو الوجه الأوجه لما أن كل ما هم فيه تبيين للناس بما

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) سورة المدثر: الآيات/ ١ -٤.

أُنزل إليهم من ربهم بالولاية والنبوة والرسالة متنازلاً في التابعين لكل أحدٍ بحسب حاله من عامة التابعين، كما بيّنا نبذة منه في حاشية المواهب اللدنية عند ذكر تحنثه (ﷺ) وأنه كله شرع لمن حقق فأبان أن طريق الحفظ طريق من طرق النبيين يمشون فيها عند جميع مباحاتهم وما لاق بها منهم، وهي مقام التابعين، ومنهم عليّ (كرم الله وجهه)، فألزمه إياها والتابعين لها عنهم إلى يوم الدين، وأبانها له ولهم فأوضح أن التابع له إذا سلك على ذلك وداوم عليه وقبِل كان ذلك منه تعرضاً لنفحات الله المنان على عبادِهِ المعلومة عنده المجهولة عندهم، وهم راغبون إلى الله فيها فكان استدامتهم للذكر ولزوم الخلوة في مقولة قوله (ﷺ): «إِنَّ لِرَبِّكُمْ فِي أَيَّامِ دَهْرِكُمْ نَفَحَاتٌ فَتَعَرَّضُوا لَهُ»[1] من حيث أن الذكر والخلوة أنما يوجبان بذلك سلوك الطريق وتيسر السبيل وانتظار ما ينفحه الحق به مما يليق باستعداده ولا تحصيل ما ينفح به؛ لأنه بيد الله لا بيده، وكما علم أنه لا كما عمل، وإن كان التعرض لكلٍ بما يليق به وما تعرض له وبقدر حاله وسعةِ قبوله، ويشابهه ما في الاستخارة من الله تعالى، وطلب بيان المختار لا أنه بها كان ما هو كائن من قبل كونها، فإنما هي طريق يتعرض فيه لوقوع المختار له من عند الله لا ما هم به وكذلك ذلك في النبيين والتابعين تعرض عند حصول وقت الحاصل بما يليق به، وذلك سنة الله ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا﴾[2].

قال الإمام العلامة سيدنا محي الدين (رحمة الله) في الباب الثامن والستين ومائتين: "وأما كيفية الإلقاء فموقوفة على الذوق وهو الحال ولكن أعلمك انه بالمناسبة لابد أن يكون قلب الملقى إليه مستعداً لما يلقى إليه ولولاه ما كان القبول وليس له الاستعداد في القبول، وإنما كان ذلك اختصاص إلهي، نعم قد تكون النفوس تمشي على الطريق الموصلة إلى الباب الذي يكون منه إذا فتح هذا الإلقاء الخاص وغيره فإذا وصلوا إلى الباب الذي يكون منه إذا فتح هذا الإلقاء الخاص وغيره وقفوا حتى يرى بماذا يفتح في حقهم فإذا فتح خرج الأمر

---

(١) تمام الحديث: «لَعَلَّ أَحَدَكُمْ أَنْ يُصِيبَهُ مِنْهَا نَفْحَةٌ لَا يَشْقَى بَعْدَهَا أَبَداً»، أخرجه الطبراني في الكبير: ١٩/ ٢٣٣، برقم (٥١٩) قال الهيثمي في مجمع الزوائد: ١٠/ ٢٣١: " فِيهِ مَنْ لَمْ أَعْرِفْهُ، وَمَنْ عَرَفْتُهُمْ وُثِّقُوا" والحديث روي عن طريق محمد بن مسلمة /كنز العمال ج٧ / رقم (٢١٣٢٤).

(٢) سورة الأحزاب: من الآية/ ٦٢.

واحد العين وقبله من خلف الباب بقدر استعدادهم الذي لا تعمد لهم فيه، بل اختص الله كل واحد باستعداد وهنا يتميز الطوائف الأتباع من غير الأنواع والأنباء من الرسل والرسل من الإتباع المسمين في العرف أولياء فيتخيل من لا علم له أن سلوكهم إلى الباب سبب به وقع الكسب لما حصل لهم عند الفتح ولو كان ذلك لتساوي الكل وما يتساوى فما كان ذلك إلا بالاستعداد الذي هو غير مكتسب، ومن هنا أخطأ من قال باكتساب النبوة من النظارة ولا يقول باكتسابها إلا من يرى أنها ليست من الله وإنما هي فيض من العقل والأرواح العلوية على بعض النفوس المنعوتة بالصفاء والتخلص من أسباب الطبيعة فانتقش فيها صور ما في العالم لصفائها وصفاؤها مكتسب فما حصله صفاؤها فهو مكتسب أيضاً، وهذا غلط ونقول غلط فاحش وجهل واضح وعمه فاضح يستدعي الاستقلال ولا حصول له ولا وصول إليه بحال والله اعلم قال بل الصفاء صحيح ونقش صور ما في العالم صحيح في نفس من له هذه الصفة من الاطلاع وكون هذا الشخص دون غيره من أهل الصفاء مثله رسولاً ونبياً وصاحب تشريع دون غيره من أهل الصفاء اختصاص إلهي في نقشه في صور العالم، فإنّ اللوح المحفوظ هو العالم لما ذكرناه، ففيه نقشُ صورةِ الرسول ورسالتِه، وصورة النبيّ ونبوته وصورة الولي وولايته فإذا صفت النفس وانتقش فيها ما في اللوح لم يلزم أن يكون رسولاً، بل انتقش فيها من يكون رسولا وتميزت الأشياء عندها وهذا خلاف ما توهموه مما حصل بصفاء النفوس فانتقشت فيها المراتب وأصحابها علواً وسفلاً، وأما حكم الاستعداد الذي يقبل الإلقاء بالمناسبة التي هي الحبل الإلهي الحاصل في القلب الموجود بالاستعداد إذا اتصل بحضرة الحق نزل الإلقاء عليه وهو الطريق فيتنور القلب بما حصل فيه من علم الغيب، ولا سيما إذا كان من العلم بالله الذي لا تعلق له بالكون كالعلم بأنه غني عن العالمين وبتنزيهه عن الأوصاف وبليس كمثله شيء، ومثال الاستعداد والتنزل والحبل المتصل مثل الفتيلة إذا بقيت فيها النار خرج من تلك النار دخان يطلب الصمود بطبعه إلى ما فوقه ويكون هناك سراج موقد فتوضع الفتيلة الخارج عنها الدخان تحت السراج وعلى سعته بحيث يتصل ذلك الدخان بالسراج المنير، فإذا اتصل نزل النور عينا في ذلك السراج بسرعة فيتصل برأس الفتيلة الخارج منها الدخان فتتقد الفتيلة فتظهر بصورة السراج المنير الذي منه نزل النور إليها وينظر هل انتقص من السراج شيء أو هل حلّ منه شيء، فلا يجد مع وجود الصورة كأنه هو فمن علم سرّ هذا علم معنى قوله:

«إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ »[1]، وعلِم أنّ الاستعدادَ إذا كان على المقابلة وصحة المناسبة وتعلقت بالهمة الخاصة به أنه ينزل عليه بحسب ذلك، ويكون النور الحاصل في الفتيلة في العظم الجرمي والصغر بحسب كبر جرمها وصغره ويكون إضاءته بحسب صفائها أو صفاء دهنها أو يكون إقامته بحسب كثرة دهنها وقلته فإنه المُمِد لبقائه.

فإذا فهمت ما قلناه في هذا التشبيه قد علمت علماً لا يعلمه إلا العلماء بالله، وتحققت إلقاء الروح على القلب علم الغيب كيف يكون وأي قلب يقبل ذلك وما يكون عليه من الصفات، وتعلم أن همة الأدنى توثر في الأعلى إذا تعلقت به كما وقع الجواب من الله للعبد إذا دعاه والله يقول الحق هو يهدي السبيل انتهى.

فنقول قد تبين أن ما ينفخ الله به عبده الذاكر المنقطع لذكره هو بيده ليس بيد العبد منه شيء إلا السلوك إلى حضرة الحق بالانقطاع إليه على سبيل الطلب والاستعطاف، والتعرض لنفحاته مسارعة إلى ما سبق إليه عنده، ومن جملته ما هو فيه من الخير كما قال تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾[2] فكل ذلك بما سبق لهم لأنهم وما هم فيه من كلمات الله ولا تبديل لكلمات الله، فقد تبين وجهُ إسناد الحديث بالتلقين ووجه صحة اجتماع الحسن البصري بأمير المؤمنين والأخذ عنه والتلقين كما تلقّن أمير المؤمنين من رسول الله (ﷺ) ثلاثاً ثلاثاً، وقد علم أن التثليث من سنته (ﷺ) في إلقائه الحديث وشرائع الله له في أوامره وأن لا إله إلا الله عماد الدين الذي بُني عليها الإسلام فدرجاته الباطنة أيضاً مبنية كدرجاته الظاهرة عليه، والتلقين هو التلقي من الملقن لما يلقنه قال تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾[3] وبه جرت الأسانيد وفيه اعتاض بما ذكروا حصول الفضيلة للكل وبالله التوفيق، وإليه الإنابة، والله اعلم بالصواب.

---

(١) هذا الحديث روي من أسانيد كثيرة متعددة انظر مسند أحمد بن حنبل ج٢/ ص٢٤٤ -ص٢٥١ -٢٢٧- ص٢٤٧ -ص٤٢٤ -ص٤٤١ -ص٤٦٢، كما رواه الإمام البخاري كتاب العتق رقم الحديث (٢٠) الحديث: «إِذَا قَاتَلَ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيَجْتَنِبِ الْوَجْهَ فَإِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ» أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر رقم ١١٢ -١١٥ عن أبي هريرة (ﷺ).

(٢) سورة المؤمنون: من الآية/ ٦١.

(٣) سورة البقرة: من الآية/ ٣٧.

ثم نرجع ونقول قال السيد هبة الله:

* **ثالثها:** الذكر المقيد بالضربين من غير طور الحمائلي بل يبتدئ فيه من الجانب الأيمن ويَمُد (لا إله) من الطرف الأيمن وينوي نفي ما سواه ويثبت (إلا الله) في قلبه تحت ثديه الأيسر، وهذا طريق المشايخ الخلوتية عليهم شرائف التحية إلى أن قال: تلقنته من فِيّ شيخ إرشادي ومن به في الدارين اعتمادي، قطب سماء الأولياء في زمانه ومركز فلك الأصفياء في أوانه، معدن عزيز الجواهر والدرر ناصر الولاية والإرشاد والدين دَدَه عمر (قدس الله سره) بلطفه الأزهر ونور ضريحه بنوره الأنور في دار السلطنة تبريز إلى آخر ما ذكره في بيان حاله معه، ثم ذكر بِسَنده إلى أبي النجيب السهروردي بسنده إلى منتهاه ودَدَه عمر هذا هو الروشني الأيديني، ثم التبريزي الخلوتي المذكور، وقد سبق سنده من شيخه جلال الدين يحيى الباكويني إلى منتهاه، وهو الذي ساقه السيد هبة الله في مسلسلاته.

ثم قال: **رابعها:** الذكر المقيّد بثلاثة أضرب وهي الطريقة النورية الاسفراينية وطريقه أن تقعدَ مربعاً أيضاً تضع قدمك اليمنى فوق ساقك الأيسر وتقبض بيديك ساقك اليمنى وتغمض عينيك وتبتدئ من السرة وتجُر (لا) منها، ثم الباقي كالهيئة الثانية، تلقنت بهذا الطريق من فِيّ جدي المخدوم قدوة المحدثين على العموم أزال الله عنه الكرب والغموم يعني أبا الفتوح المذكور، وهو من الشيخ السالك الناسك تقي الدين محمد الخنجي، قال جدي وشرط هذا الشيخ في تلقن هذا الذكر أن يصوم المتلقن أربعة أيام متوالية ويغتسل في الرابع ويتلقن صائماً، وهو من عمه الشيخ جمال الدين إبراهيم بن عبد السلام، وهو من أبيه الشيخ الولي الرباني العارف الصمداني الشيخ الحاج أمين الدين عبد السلام الخنجي حفه الله بلطفه المنجي، وهو من شيخ إرشاده صاحب هذا الذكر الإمام الولي العارف بالله المعرض عما سوى الله الشيخ نور الدين عبد الرحمن الاسفرايني خصه الله بنوره السّني، وهو تلقن بالهيئة الخمائلية من شيخه الولي السبحاني الشيخ أحمد الجورفاني وزاد ضربا عليها وهو جرّ (لا) من السرة وتصرف في هيئة القعود فيها، وتلقن الجورفاني من قطب الأولياء الشيخ رضي الدين علي بن سعيد بن عبد الجليل الجويني المعروف بلالا، وهو من البحر الحبر الزكي الشيخ مجد الدين أبي سعيد شرف بن المؤيد ابن أبي الفتح البغدادي، وهو من قطب الأقطاب مقرب رب الأرباب

نجار الأولياء ومقدام الأصفياء نجم الدين أبي الجناب أحمد بن عمر الخيوقي المشهور بالكبري، وهو من الشيخ الولي البحر الماطر اللوذعي الشيخ عمار بن ياسر البدليسي، وهو من إمام الأقطاب وقطب الألباب الشيخ أبي النجيب السهروردي المذكور في الطريقة الثانية.

* خامسها: الذكر المقيد بأربعة ضروب المجرب لتصفية القلوب على الطريق الغورية وطريقه أن تقعد كما ذكر قبيل ذلك، وتقبض بكفّك اليسرى ساقك اليمنى وتضع كفك اليمنى فوق كفك اليسرى وتمد فقرات ظهرك وعنقك مداً كما أمكن وتغمض عينيك وتبدأ أيضاً من السرة وتجر (لا) من أسفل سرتك جراً كاملاً لدفع شيطان شهوة الفرج وتوصل بقولك (اله) إلى خيشومك كاللافظ لدفع شيطان الخيالات، ثم ترجع (بإلا) إلى أسفل جنبك اليمنى وتختم بإثبات (الله) في قلبك وتمسك نفسك حسب الإمكان منحنيا إلى جانبك الأيسر وهذه مرة.

ثم تفعل مثل ذلك في جميع المرات، والذكر على هذه الهيئة وإن كانت عسرة مولمة لها أثرٌ عظيم في تصفية الباطن وتنوير القلب وبروز الأنوار وسرعة ظهور المكاشفات ورفع الحجب، تلقنت هكذا من فِيّ جدي وشيخي الإمام أحسن الله تعالى إليه في يوم القيامة يعني نور الدين أبا الفتوح المذكور، وهو تلقن من الإمام الولي السالك الناسك صاحب الأنوار والسلوك في أحسن المسالك جمال الدين يحيى السجستاني برّد الله مضجعه بلطفه الرحماني، وهو قال: أخذت بهذه الحركات الأربع في المكاشفة من حضرة رسول الله (ﷺ) وعلى إله أفضل صلوات الله وذلك من غاية عناية الله، ثم لقنني بهذا الطريق بعد عشرين سنة الشيخ الولي الإمام شرف الدين الحسن بن عبد الله الغوري، وهو تلقن من قطب الإبدال وغوث الأوتاد الإمام الرباني والعالم السجاني الشيخ ركن الدين أبي المكارم أحمد بن محمد بن أحمد البيابانكي المعروف بالشيخ علاء الدولة السمناني صاحب هذا الذكر، وهو تلقن من شيخ إرشاده نور الدين عبد الرحمن الاسفرايني المذكور على الهيئة التي وضعها على ثلاثة أضرب وتصرف فيها بما ذكرنا، وقد تقدم سنده انتهى كلام السيد هبة الله (رحمه الله تعالى).

وقال التاج المرشدي الكازروني المذكور:

* ثانيتها: هيئة جارية على ثلاثة ضروب وهي الطريقة النورية الاسفراينية وهي أن تقعد متربعاً إلى آخر ما مضى في الرابع لهبة الله بسنده، ثم قال:

* **ثالثتها:** هيئة جارية على أربعة اضرب وهي الطريقة الركنية وهي أن تقعد كما تقدم قبل، وتقبض بكفك اليسرى ساقك اليمنى إلى آخر ما مرّ في الخامس المذكور آنفاً بسندِه بتغيير بعض عبارات مثل قوله في السمناني صاحب هذه الهيئة مكان هذا الذكر وهو أحسن، والله اعلم.

قلت: وقد سبق اتصال سند التلقين بالسيد علي الهمداني قدس سره، وهو أخذ عن الشيخ شرف الدين محمود بن عبد الله المزدقاني، وقد ساح الهمداني الربع المسكون ثلاث مرات بأمر شيخه الشرف المزدقاني هذا وصحب في سياحته تلك ألفا وأربعمائة ولي على ما في النفحات للجامي (قدس سره) وأخذ المزدقاني عن الشيخ ركن الدين البيابانكي المعروف بعلاء الدولة السمناني.

قال الجامي (قدس سره) في النفحات: اختلى في مدة ست عشرة سنة في الخانقاه السكاكية مائة وأربعين أربعيناً، وهو عن الشيخ نور الدين عبد الرحمن الاسفرايني، وهو عن الشيخ جمال الدين أحمد الجوزفاني بضم الجيم وسكون الواو والياء المهملة وفاء ونون بضبط عبد الغفور اللاري تلميذ نور الدين عبد الرحمن الجامي (قدس سره) في حاشية النفحات، وهو عن الشيخ رضي الدين علي المعروف بلالا، وهو على ما في النفحات صحب مائة وأربعة وعشرين شيخاً من الكاملين المكملين منهم الشيخ نجم الدين الكبري بسنده المعروف.

فصل في حبس النَفَس

قد وردَ ما يدلّ على أنّ حبسَ النفس في الذكر مشروع مندوب إليه، وله نفع خاص لا يوجد في عدمه أو غيره كيف شئت فإنه ورد في قراءة بسم الله الرحمن الرحيم متصلة بفاتحة الكتاب في نفس واحد ما فيه فضل كبير، وفاتحة الكتاب من القرآن المسمى ذكراً بالنص فلنورده تذكرة وتبصره.

فنقول: أخبرني شيخنا أبو المواهب (قدس سره) وكان مولده سابع شوال سنة (٩٧٥هـ) ووفاته في سادس ذي الحجة سنة (١٠٣٨) ودفن بالبقيع نور الله ضريحه، عن الشمس محمد بن أحمد الرملي (رحمه الله)، وأخبرنا بالإجازة العامة الشمس محمد بن الشهاب أحمد بن حمزة الرملي فإن ولادته سلخ[1] جمادي الأولى سنة (٩١٩هـ) وتوفي سنة أربع بعد الألف، ومولد الفقير أحمد بن محمد في ثاني عشر من ربيع الأول سنة (٩٩١هـ) بروايته بالإجازة عن شيخ الإسلام ولي الله القاضي زين الدين أبي يحيى زكريا ابن محمد الأنصاري السنيكي القاهري فإنّ وفاة شيخ الإسلام سنة (٩٣٦هـ)، فأدرك الرملي من عمره سبع سنين بروايته بالإجازة الخاصة، عن أبي الفضائل محمد بن الجمال محمد بن إبراهيم المرشدي المكي وأبي الجود عبد الرحمن بن محمد بن إبراهيم المرشدي المكي، عن والدهما الشيخ جمال الدين أبي المحاسن محمد بن البرهان أبي إسحاق إبراهيم بن أحمد المرشدي الملكي الحنفي، عن أبي محمد عبد الله بن محمد بن محمد بن سليمان المكي، عن أبي نصر محمد بن محمد بن أبي نصر محمد بن هبة الله الشيرازي كتابةً، عن الشيخ الإمام محي الدين محمد بن علي بن العربي الحاتمي الطائي الأندلسي (قدس سره) أذناً أنه قال في الباب الموفى ستين وخمسمائة من الفتوحات المكية ومن خطه الشريف نقلت ما نصه:

---

١) وسلَخْنا الشهر نَسْلَخُه ونَسْلُخُه سَلْخا وسُلوخا خرجنا منه وصيرنا في آخر يومه، وجاء سَلْخ الشهر أي منْسَلَخُه لسان العرب ج٢/ مادة (سلخ).

♦ وصية:

إذا قرأت فاتحة الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم بالحمد لله في نفسٍ واحدٍ من غير قطع، فإني أقول بالله العظيم: لقد حدثني أبو الحسن علي بن أبي الفتح الكناري الطبيب بمدينة الموصل بمنزلي سنة إحدى وستمائة، وقال بالله العظيم: لقد سمعتُ شيخنا أبا الفضل عبد الله ابن أحمد بن عبد القاهر الطوسي الخطيب يقول: بالله العظيم لقد سمعت والدي أحمد يقول: بالله العظيم لقد سمعت المبارك ابن أحمد بن محمد النيسابوري البغوي يقول: بالله العظيم لقد سمعت من لفظ أبي بكر الفضل بن محمد الكاتب الهرمي، وقال: بالله العظيم لقد حدثنا أبو بكر محمد بن علي الشاشي الشافعي من لفظه، وقال: بالله العظيم لقد حدثني عبد الله المعروف بأبي نصر السرخسي، وقال: بالله العظيم لقد حدثنا أبو بكر محمد بن الفضل، وقال: بالله العظيم لقد حدثنا أبو عبد الله محمد بن علي بن يحيى الوراق الفقيه، وقال: بالله العظيم لقد حدثني محمد بن يونس الطويل الفقيه، وقال: بالله العظيم لقد حدثني محمد بن الحسن العلوي الزاهد، وقال: بالله العظيم لقد حدثني موسى بن عيسى، وقال: بالله العظيم لقد حدثني أبو بكر الراجعي، وقال: بالله العظيم لقد حدثني عماد بن موسى البرمكي، وقال: بالله العظيم لقد حدثني أنس بن مالك، وقال: بالله العظيم لقد حدثني علي بن أبي طالب، وقال: بالله العظيم لقد حدثني أبو بكر الصديق، وقال: بالله العظيم لقد حدثني محمد المصطفى (ﷺ) وقال: بالله العظيم لقد حدثني جبريل (عليه السلام) وقال: بالله العظيم لقد حدثني ميكائيل (عليه السلام)، وقال: بالله العظيم لقد حدثني إسرافيل (عليه السلام)، وقال: «قالَ اللهُ تعالى يا إسرافيل بعزّتي وجلالي وجودي وكَرمي من قرأ بسم الله الرحمن الرحيم متصلة بفاتحة الكتاب مرةً واحدة اشهدوا عليّ أني قد غفرت له وقبلت منه الحسنات وتجاوزت عنه السيئات ولا أحرق لسانه في النار وأجيره من عذاب القبر وعذاب النار وعذاب القيامة والفزع الأكبر ويلقاني قبل الأنبياء والأولياء أجمعين»[1] انتهى من خطه[2] (قدس سره).

---

(١) لم أجده في كتب الحديث، لكن أورده الصفوري في منتخب النفائس: ص/ ٣١، والمناوي في فيض القدير: ٤/ ٤١٩.

(٢) الفتوحات المكية: ٧/ ٢٥٩.

قلت: ولا عجب من فضلِ اللهِ أن يكونَ التالي الفاتحة مع البسملة على الوجه المذكور ما نطق به الحديث الإلهي من الفضل العظيم عن الله تعالى فإنّ هذا من باب الاختصاص الإلهي والفضل لا من باب أجرك على قدر نصبك وأَفْضَلُ الْأَعْمَالِ أَحْمَزُهَا[1] والله أن يختص ما يشاء من الأعمال بخاصية شريفة لا توجد فيها هواشق منه لسر يودعه الله في الأخف دون الأشق كما يختص من يشاء من العباد بما يشاء من رحمته كما قال تعالى ﴿وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾[2] وقال: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾[3] ومما يوضّح ذلك وينص عليه حديث البخاري: «إِنَّمَا بَقَاؤُكُمْ فِيمَنْ سَلَفَ مِنْ الْأُمَمِ كَمَا بَيْنَ صَلَاةِ الْعَصْرِ إلى غُرُوبِ الشَّمْسِ أُوتِيَ أَهْلُ التَّوْرَاةِ التَّوْرَاةَ فَعَمِلُوا بِهَا حَتَّى انْتَصَفَ النَّهَارُ ثُمَّ عَجَزُوا فَأُعْطُوا قِيرَاطاً قِيرَاطاً ثُمَّ أُوتِيَ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ الْإِنْجِيلَ فَعَمِلُوا بِهِ حَتَّى صُلِّيَتْ الْعَصْرُ ثُمَّ عَجَزُوا فَأُعْطُوا قِيرَاطاً قِيرَاطاً ثُمَّ أُوتِيتُمْ الْقُرْآنَ فَعَمِلْتُمْ بِهِ حَتَّى غَرَبَتْ الشَّمْسُ فَأُعْطِيتُمْ قِيرَاطَيْنِ قِيرَاطَيْنِ فَقَالَ أَهْلُ الْكِتَابِ هَؤُلَاءِ أَقَلُّ مِنَّا عَمَلاً وَأَكْثَرُ أَجْراً قَالَ اللَّهُ هَلْ ظَلَمْتُكُمْ مِنْ حَقِّكُمْ شَيْئاً قَالُوا لَا قَالَ فَهُوَ فَضْلِي أُوتِيهِ مَنْ أَشَاءُ»[4] انتهى.

وقد ورد في فاتحة الكتاب من حديث أبي هريرة: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا أُنْزِلَ فِي التَّوْرَاةِ، وَلَا فِي الْإِنْجِيلِ، وَلَا فِي الزَّبُورِ، وَلَا فِي الْفُرْقَانِ مِثْلُهَا» أخرجه جماعة منهم الترمذي وصححه[5] فلا غرو أن يختصها الله بهذا الفضل العظيم أيضاً إذا قرأها القارئ على الكيفية

---

(١) أحمزها: أقواها. غريب الحديث، للخطابي: ٢/ ٤٨٠.

(٢) سورة البقرة: من الآية/ ١٠٥.

(٣) سورة آل عمران: من الآية/ ٧٣.

(٤) وانظر كنز العمال ج١٣ حديث (٣٤٥٤٧) وروي عن طريق سالم بن عبد الله من أبيه صحيح بخاري كتاب المواقيت حديث ١٧، وكذلك رواه البخاري في كتاب التوحيد حديث ٢١ -٤٧ ورواه الإمام المجبل أحمد بن حنبل في مسنده ج٢/ حديث ١٢١ -١٢٩.

(٥) تمام الحديث: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا أُنْزِلَ فِي التَّوْرَاةِ، وَلَا فِي الْإِنْجِيلِ، وَلَا فِي الزَّبُورِ، وَلَا فِي الْفُرْقَانِ مِثْلُهَا، إِنَّهَا السَّبْعُ الْمَثَانِي، وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذِي أُعْطِيتُ» أخرجه مالك في الموطأ: ٢/ ١١٣، برقم (٢٧٥)، وأحمد في المسند: ١٤/ ٣١١، ج١١٤ الطبعة الأخيرة برقم (٨٦٨٢)، والحاكم في المستدرك: ١/ ٧٤٤، برقم (٢٠٤٩).

المخصوصة لسرّ أودعه الله فيها إذا قرئت بتلك الكيفية ونظائرها في الاختصاص كثيرة من ذلك ما نقله الحافظ السخاوي في المقاصد الحسنة عن شيخه الحافظ ابن حجر العسقلاني حيث قال السخاوي: حديث «الأجرُ علَى قدرِ النَصَب»[1] هو في حديث صحيح متفق عليه قوله (ﷺ) لعائشة بعد اعتمادها بلفظ أجرك على قدر نفقتك أو نصبك وفي لفظ تعبك بدل نصبك وفي آخر أن لك من الأجر على قدر نصبك ونفقتك بواو العطف وفي أخر أنما أجرك في عمرتك على قدر نفقتك[2].

قال النووي: "وظاهره أن الثواب والفضل في العبادة يكثر بكثرة النصب والنفقة"[3] قال شيخنا -يعني الحافظ ابن حجر -: وهو كما قال ولكنه ليس بمطرد فقد يكون بعض العبادة أخف من بعض وهي أكثر فضلاً وثواباً بالنسبة إلى الزمان كقيام ليلة القدر بالنسبة لقيام ليالي رمضان وغيرها وبالنسبة إلى المكان كصلاة ركعتين في المسجد الحرام بالنسبة لصلاة ركعات في غيره وبالنسبة إلى شرف العبادة المالية والبدنية كصلاة الفريضة بالنسبة إلى أكثر من عدد ركعاتها أو أطول من قرائتها ونحو ذلك من صلاة النافلة وكدرهم من الزكاة بالنسبة إلى أكثر منه من التطوع أشار إلى ذلك ابن عبد السلام في القواعد قال وقد كانت الصلاة قرة عين النبي (ﷺ) وهي شاقة على غيره وليست صلاة غيره مع مشقتها مساوية لصلاته مطلقاً[4] والله اعلم، انتهى كلام السخاوي (في المقاصد الحسنة)[5].

والظاهر أنّ ما نحن فيه راجع إلى شرف العمل بسبب أدائِه على الوجه الخصوص والكيفية المخصوصة لسرٍّ أودعه الله في تلك الكيفية يدرك بنور النبي لا مجال للعقل فيه

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك وصححه: ١/ ٦٤٤، برقم (١٧٣٣)، بلفظ: «إِنَّ لَكِ مِنَ الْأَجْرِ عَلَى قَدْرِ نَصَبِكِ وَنَفَقَتِكِ»، والدارقطني، باب المواقيت: ٣/ ٣٥٠، برقم (٢٧٢٩)، وقال العجلوني في كشف الخفاء: ١/ ٤٩: " متفق عليه من حديث عائشة رضي الله عنها بألفاظ مشابهة".

(٢) لم يذكره السخاوي في المقاصد، وإنما الكلام للعجلوني وقد بيناه.

(٣) شرح النووي على مسلم: ٨/ ١٥٢.

(٤) فتح الباري، لابن حجر: ٣/ ٦١١.

(٥) لم أجده في المقاصد.

بنظره الفكري كما أنّ الظاهر من حديث صلاة التسبيح[1] أن ما ذكر من فضلها راجع إلى أدائها على الكيفية المخصوصة فلا يترتب على أربع ركعات على غير تلك الكيفية ولو كان أطول قراءة منها وتسبيحاً مثلاً، قال حجة الإسلام أبو حامد محمد الغزالي (رحمه الله) في كتابه المنقذ من الضلال ما نصه: "كما أن أدوية البدن توثر في كسب الصحة بخاصية فيها لا يدركها العقلاء ببضاعة العقل بل يجب فيها تقليد الأطباء الذين أخذوها من الأنبياء الذين اطلعوا بخاصية النبوة على خواص الأشياء فكذلك بان لي على الضرورة أن أدوية العبادات بحدودها ومقاديرها المختلفة المحدودة المقدرة من جهة الأنبياء لا يدرك وجه تأثيرها ببضاعة عقل العقلاء بل يجب فيها تقليد الأنبياء الذين أدركوا تلك الخواص بنور النبوة لا ببضاعة العقل، ثم قال الإيمان النبوة أن تقر بإثبات طور وراء العقل تنفتح فيه عين يدرك بها مدركات خاصة والعقل معزول منها كعزل السمع عن إدراك الألوان، والبصر عن أدراك الأصوات وجميع الحواس عن أدراك المعقولات فإن لم يجوز هذا فقد أقمنا البرهان على إمكانه بل على وجوده وإن جوّز هذا فقد ثبت أن ها هنا أموراً تسمى خواص ولا يدور تصرف حواس العقل حواليه أصلاً بل يكاد العقل يكذبه ويقضي باستحالته فإنّ وزن دانق من الأفيون سم قاتل لأنه يجمد الدم في العروق لفرط برودته والذي يدعى علم الطبيعة يزعم أنه أنما يبرد من المركبات بعنصر الماء والتراب ومعلوم أن أرطالاً من الماء والتراب لا يبلغ تبريده في الباطن إلى هذا الحد، إلى أن قال فنقول للفلسفي قد اضطررت إلى أن تقول في الأفيون خاصية في التبريد

---

(١) أخرجه الترمذي بلفظ: «عَنْ أَبِي رَافِعٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ) لِلْعَبَّاسِ: يَا عَمِّ إلا أَصِلُكَ، إلا أَحْبُوكَ، إلا أَنْفَعُكَ، قَالَ: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: يَا عَمِّ، صَلِّ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ تَقْرَأُ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ بِفَاتِحَةِ الكِتَابِ وَسُورَةٍ، فإذا انْقَضَتِ القِرَاءَةُ، فَقُلْ: اللهُ أَكْبَرُ، وَالحَمْدُ للهِ، وَسُبْحَانَ اللهِ، وَلاَ إله إلا الله، خَمْسَ عَشْرَةَ مَرَّةً قَبْلَ أَنْ تَرْكَعَ، ثُمَّ ارْكَعْ فَقُلْهَا عَشْراً، ثُمَّ ارْفَعْ رَأْسَكَ فَقُلْهَا عَشْراً، ثُمَّ اسْجُدْ فَقُلْهَا عَشْراً، ثُمَّ ارْفَعْ رَأْسَكَ فَقُلْهَا عَشْراً، ثُمَّ اسْجُدْ فَقُلْهَا عَشْراً، ثُمَّ ارْفَعْ رَأْسَكَ فَقُلْهَا عَشْراً قَبْلَ أَنْ تَقُومَ، فَتِلْكَ خَمْسٌ وَسَبْعُونَ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ وَهِيَ ثَلاَثُمِائَةٍ فِي أَرْبَعِ رَكَعَاتٍ، وَلَوْ كَانَتْ ذُنُوبُكَ مِثْلَ رَمْلِ عَالِجٍ غَفَرَهَا اللهُ لَكَ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَنْ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقُولَهَا فِي يَوْمٍ، قَالَ: إنْ لَمْ تَسْتَطِعْ أَنْ تَقُولَهَا فِي يَوْمٍ فَقُلْهَا فِي جُمُعَةٍ، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ أَنْ تَقُولَهَا فِي جُمُعَةٍ فَقُلْهَا فِي شَهْرٍ، فَلَمْ يَزَلْ يَقُولُ لَهُ، حَتَّى قَالَ: فَقُلْهَا فِي سَنَةٍ»، باب ما جاء في صلاة التسبيح: ١/ ٦٠٨، برقم (٤٨٢)، قال الترمذي: حديث غريب.

ليس على قياس المعقول بالطبيعة فلم لا يجوز أن يكون في الأوضاع الشرعية من الخواص في مداواة القلوب وتصفيتها ما لم يدرك بالحكمة العقلية الأربعين النبوة"[1] وأطال في ذلك (رحمه الله تعالى) وفيما نقلناه كفاية.

وفيما ذكر من الخواص أن من حمل ما عوناً به شيء في نفس واحد وسمى الله عند حمله ورفعه إلى المحل الذي يريد حتى وضعه في ذلك النفس لم يسلط عليه شيء من الهوام والنمل وغيرهما وكذلك أن صحت عزيمته وحمل الأمتعة التي يخاف عليها بذلك كذلك ووضعها حيث يرجو السلامة سلمت بإذن الله تعالى والله أعلم؛ لأن اسم الله لا يضر معه شيء لمن أيقن به وأثر حبس النفس مع التلاوة بأن لك من وارد الأمر ومما تقدم ينكشف أن ما ذكره بعضهم من أنه لا يخفى على كل عاقل أن مجرد اتصال قراءة البسملة بفاتحة الكتاب وصورة التلفظ بهما لا يوجب هذا الترجيح والشرف البازخ انتهى.

إنما يتأتى إذا كان الأمر محصوراً في مقتضى حديث أجرك على قدر نصبك وسعة الحق تأبى ذلك، ومما يوضحه أيضاً ما ورد فيمن قال: «جَزَى اللهُ عنّا نبيّنا محمداً ما هو أهله أتْعَب سبعين كاتباً ألف صباح»[2] وما والاه كثير من السنة، ومنه: «مَنْ قَادَ أَعْمَى أَرْبَعِينَ خُطْوَةً وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ ﴿وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾[3]»[4] والله اعلم.

وقد علمت مما تقدم أن الأمر ليس محصوراً في ذلك، بل الله يختصّ ما يشاء من الأعمال بما يشاء من الخواص الشريفة من فضله العظيم والله عزيز حكيم والحمد لله رب العالمين، ولولا كان هذا الفضل مختصاً بمن ذكره بكلام قال في آخره ولا شكّ في أنّ حصول هذه الصفة يعزّ ويتعذر على أكثر الخلق ومحصله خليق بكمال التقريب والإكرام انتهى.

لم يكن في هذه الأقسام المسلسلة من الله والملائكة والنبي (ﷺ) والصحابة والتابعين مزيدَ فائدة، بل الظاهر المتبادر أنّ هذه الأقسام أنما هي لدفع استبعاد كون الخبر على ظاهره

---

(١) المنقذ من الضلال، للغزالي: ص/ ١٩٩. مطبوع طبعات كثيرة.

(٢) أورده الأخشيدي في المستطرف، عن ابن عباس(رضي الله عنهما): ص/ ٥٢٠.

(٣) سورة الإسراء: من الآية/ ٢٠.

(٤) أخرجه أبو يعلى في مسنده: ٩/ ٤٦٦، برقم (٥٦١٣)، والطبراني في الكبير: ١٢/ ٣٥٣، برقم (١٣٣٢٢)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد: ٣/ ١٣٨: فيه علي بن عروة وهو كذاب.

من كون العمل اليسير يستوجب فضلاً كثيراً وخيراً عزيزاً غزيراً، ومنه أيضاً: «أن من قال جزى الله عنا نبينا محمداً ما هو أهله اتعب سبعين كاتباً ألف صباح»[1] يعني يكتبون أجره، ومثله كثير من الآيات والاستغفار ما يحصل بالعمل القليل من الذكر والفضل الجزيل، كالشهادة من الشرك بها في لحظة بعد العمر الطويل في الكفر، وغفران الكبيرة إلى غير ذلك مما كان به من الكبائر حين كفره، والله اعلم.

ثم كون التالي يلقى الله قبل الأنبياء والأولياء أجمعين أي الذين لم يقرؤوها على الوجه المذكور من باب حديث: «يَا بِلَالُ حَدِّثْنِي بِأَرْجَى عَمَلٍ عَمِلْتَهُ فِي الْإِسْلَامِ فَإِنِّي سَمِعْتُ دَفَّ نَعْلَيْكَ بَيْنَ يَدَيَّ فِي الْجَنَّةِ»[2] الحديث ولا محذور في ذلك كما لا يخفي عند الالتفات، إذ السبق أنما وقع له بإتباعه لشريعته فيه عمل وهو في ميزانه وبه سبق لا بنفسه لقوله (ﷺ): «مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»[3] والمراد ردٌّ لا سبق به، وكلما كان سبق التابع له به (ﷺ)، فالسبق له (ﷺ) حقيقة لأوّليته عنده والله اعلم.

وإنما كشف بسؤاله عن خواص الأعمال ليبين للطالب أن بعض الأعمال إذا عملوا بها ظهر عليهم أثرها كما في البسملة والفاتحة وما ذكره بلال من أنه كلما بال توضأ وكلما توضأ صلى ركعتين فقال له هو ذلك، أو كما قال فهو مما يؤيده لمن نظره الله المرشد، ويهدي ببركة الإتباع وتظهر الأولوية بها.

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) تمام الحديث: «عَنْ أبي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) أَنَّ النَّبِيَّ (ﷺ) قَالَ لِبِلَالٍ عِنْدَ صَلَاةِ الْفَجْرِ يَا بِلَالُ حَدِّثْنِي بِأَرْجَى عَمَلٍ عَمِلْتَهُ فِي الْإِسْلَامِ فَإِنِّي سَمِعْتُ دَفَّ نَعْلَيْكَ بَيْنَ يَدَيَّ فِي الْجَنَّةِ قَالَ مَا عَمِلْتُ عَمَلاً أَرْجَى عِنْدِي أَنِّي لَمْ أَتَطَهَّرْ طُهُوراً فِي سَاعَةِ لَيْلٍ أو نَهَارٍ إلا صَلَّيْتُ بِذَلِكَ الطُّهُورِ مَا كُتِبَ لِي أَنْ أُصَلِّيَ قَالَ أبو عَبْد اللَّهِ دَفَّ نَعْلَيْكَ يَعْنِي تَحْرِيكَ»، صحيح البخاري، باب فضل الطهور: ٢/ ٥٣، برقم (١١٤٩)، ومسلم، باب من فضائل بلال: ٧/ ١٤٦، برقم (٦٤٧٨).

(٣) صحيح البخاري، كتاب الاعتصام حديث (٢٠) وانظر صحيح مسلم باب أقضية ١٧ -١٨ عن عائشة رضي الله عنها.

♦ **تبصرة:**

لما كان الحق سبحانه وتعالى من حيث ذاتِهِ غنيا عن العالمين كان إيجاده للعالمين من حيث مرتبة ما من مراتب كمالاته أعني الإلوهية ثم الإلوهية لكونها جامعة الكمالات المتقابلة الاسمائية اقتضتْ أن يكون في العالم بلاءً وعافية إلى آخر المتقابلات بحسب الأسماء الإلهية، إذْ لا تعطيل في الإلوهية فلابدّ من أثر الأسماء المتقابلة كلها، والرحمة العامة التي هي رحمة الإيجاد والإمداد للرحمن والرحمة الخاصة التي هي سعادة الأبد للرحيم فهما كالتصريح بما تضمنه اسم الله مع اسمه المالك فالأسماء الثلاثة أو الأربعة التي في البسملة هي الأصول الكلية لإيجاد الآثار في القوابل لتضمّن تلك الأسماء لبقية ماله مدخل في ذلك من الأسماء والله سبحانه وتعالى مع أنه نصّ على أنه خالقُ كلّ شيء فقد نصّ على أنه أحسن كل شيءٍ خلقه مع وجود التقسيم فيما ينسب إلى المكلفين من حيث نسبتها إليهم لا من حيث نسبتها إليه تعالى؛ لأنه لا حكم عليه، بل له الحكم لا إله إلا هو فيحكم ما يشاء ويفعل ما يريد، فالخير كله بيديه والشر ليس إليه ولا يشرِك في حكمه أحداً، وإن تحقق التقسيم في أفعال المكلفين بلسانِ الشرع والتكليف فالله المحمود في كل فعاله من حيث أنها فعاله مع تحقق التقسيم من الحيثية الأخرى.

إذا تمهّد هذا فنقول مما تضمنه وصل البسملة بالحمدلة بنفس واحد من الأسرار أنّ الله محمودٌ في جميعِ آثار الأسماء على تقابلها من حيث أنها منسوبة إليه تعالى وإن أنقسمَ بعضها بلسانِ التكليف من حيث أنها منسوبة إلى المكلفين، وكل من اعتقد هذا فقد وفّى مرتبة توحيد الأفعال حقها ومما تضمنه أن الله إن أصاب فبفضله كما قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ﴾[1] وإنْ عاقبَ فبعدلِه فللهِ الحجةُ البالغة، ومن أقام الحجة له على نفسه قبل أن تقام عليه كان سالكاً مسلك أبيه آدم صلوات الله عليه وسلامه عدد خلق الله بدوامِ الله في قوله: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[2] وقد قال تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾[3] ومن

---

(١) سورة النور: من الآية/ ٢١.

(٢) سورة الأعراف: من الآية/ ٢٣.

(٣) سورة البقرة: الآية/ ٣٧.

تاب عليه كان حقيقاً بما دلّ عليه الخبر الإلهي المذكور من الفضل الكبير برحمة الله وفضله، فمن قرأ فاتحة الكتاب على الوجه المذكور مع الغفلة عن هذا الاستحضار فقد أتى بصورة ما يشير إلى تلك المرتبة فتشبّه بأهل العلم بمرتبة توحيد الأفعال وأهل الاستحضار لها عند قراءة الفاتحة على الوجه المذكور، وقد ورد: «مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ»[1] أخرجه أحمد وأبو داود والطبراني في الكبير من حديث أبي منيب الجرشي عن أبن عمر به مرفوعا، قال السخاوي: "وفي سنده ضعف ولكن له شاهد عند البزار من حديث حذيفة وأبي هريرة وعند أبي نعيم في تاريخ أصبهان عن أنس وعند القضاعي من حديث طاوس مرسلاً، والعسكري عن حديث حماد عن حميد الطويل قال كان الحسن يقول: "إذا لم تكن حليماً فتحلم وإذا لم تكن عالماً فتعلم فكلما تشبه رجل بقوم كان منهم" ومن حديث زافر عن عمرو بن عامر البجلي قال: قال الحسن هو والله أحسن منك رداء وإن كان رداؤك حبرة رجل رداه الله بحلم فان لم يكن حلما لا أب لك فتحلّم فانه من يتشبه بقوم لحق بهم"[2].

وقال في حديث: «مَنْ كَثَّرَ سَوَادَ قَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ» وروى أبو يعلى وعلي بن معبد في كتاب الطاعة: «أَنَّ رَجُلاً دَعَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ إِلَى وَلِيمَةٍ، فَلَمَّا جَاءَ لِيَدْخُلَ سَمِعَ لَهْواً، فَلَمْ يَدْخُلْ، فَقَالَ لَهُ: لِمَ رَجَعْتَ؟ قَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) يَقُولُ: "مَنْ كَثَّرَ سَوَادَ قَوْمٍ، فَهُوَ مِنْهُمْ، وَمِنْ رَضِيَ عَمَلَ قَوْمٍ كَانَ شَرِيكَ مَنْ عَمِلَ بِهِ»[3] وهكذا هو عند الديلمي بهذه الزيادة[4] ولابن المبارك في الزهد عن أبي ذر نحوه موقوفاً وشاهده حديث من تشبه بقوم فهو منهم وقد مضى[5]، انتهى.

♦تتمة:

إنّ الله جلّ ثناؤه وتقدّست أسماؤه أثنى على أولي الألباب بأنّهم الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم، ولم يقيّد إحدى الأحوال الثلاث بهيئةٍ مخصوصة، بل أطلقَ فكلّ هيئةٍ

---

(١) مسند أحمد: ٢/ ٥٠، برقم (٥١١٤)، وأبو داود في سننه، كتاب اللباس ٤ والطبراني في الأوسط: ٨/ ١٧٩، برقم (٨٣٢٧).

(٢) المقاصد الحسنة: ص/ ٤٠٧، ولن يطعن به صاحب المقاصد، حديث (١٠١١).

(٣) جمع الجوامع، للسيوطي: ١٠/ ٨٨.

(٤) أخرجه الديلمي في الفردوس: ٣/ ٥١٩، برقم (٥٦٢١) باب الميم،

(٥) وينظر: نصب الراية، للزيلعي: ٤/ ٣٤٦.

يطلق عليها اسم القعود مثلاً متحركاً كان صاحبها أو ساكناً متربعاً أو جاثياً أو على أيةِ هيئة كانت ما لم تكن على هيئة تفضي إلى كشف العورة المنهي عنها في حديث أبي سعيد عند البخاري[1] على ما سيأتي أن شاء الله تعالى إذا ذكرَ الله صاحبَ تلك الهيئة فيها فهو من الذين يذكرون الله قعوداً المثني عليهم، ونتائج الأذكار كما أنها تختلف لاختلاف حقائق الأذكار كذلك تختلف لاختلاف هيئات الجلوس كما أن الهيئات تختلف حسب مقتضيات الأحوال، وقد نبّه الشرع الشريف على طرف من ذلك باستحباب الافتراش في التشهد الأول والتورك في التشهد الأخير، وقد قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾[2] مع قوله في صلاة الخوف على أحد الوجهين الموافق لمذهب الشافعي ﴿فَإِذَا قَضَيۡتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمۡۚ﴾[3] وفي البخاري في باب الجلوس كيفما تيسر: «عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّهُ قَالَ نَهَى رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) عَنْ اشْتِمَالِ الصَّمَّاءِ وَأَنْ يَحْتَبِيَ الرَّجُلُ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ لَيْسَ عَلَى فَرْجِهِ مِنْهُ شَيْءٌ»[4] الحديث، قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري: "قَالَ الْمُهَلَّبُ هَذِهِ التَّرْجَمَةُ قَائِمَةٌ مِنْ دَلِيلِ الْحَدِيثِ وَذَلِكَ أَنَّهُ نَهَى عَنْ حَالَتَيْنِ فَفُهِمَ مِنْهُ إِبَاحَةُ غَيْرِهِمَا مِمَّا تَيَسَّرَ مِنَ الْهَيْئَاتِ"[5] قلت: والذي يظهر لي أنّ المناسبة تؤخذ من جهة العدولِ عن النهي عن هيئةِ الجلوس إلى النهي عن لبستين يستلزم كل منهما انكشاف العورة فدلّ أنّ النهيَ إنما هو عن جلسة تفضي إلى كشف العورة، وما لا يفضي إلى كشف العورة يباح في كل صورة انتهى.

فظهر من هذا أنّ الهيئاتِ التي وضعَها المشايخُ للأذكار حسب ما أُلهموا على اختلاف أنواعها لكونها ليست على وجه يفضي إلى المحذور المنهيّ عنه شرعا كانت كلها داخلة تحت إطلاق ثناء آية أولي الألباب، ثم أنهم شاهدوا بنور الولاية بعد المنازلة أنّ هذا الذكر

---

(١) تمام الحديث: «عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّهُ قَالَ نَهَى رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) عَنْ اشْتِمَالِ الصَّمَّاءِ وَأَنْ يَحْتَبِيَ الرَّجُلُ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ لَيْسَ عَلَى فَرْجِهِ مِنْهُ شَيْءٌ» كتاب البيوع / ٢٤.

(٢) سورة طه: الآية/ ١٤.

(٣) سورة النساء: من الآية/ ١٠٣.

(٤) تقدمّ تخريجه قريباً / المصدر السابق.

(٥) فتح الباري: ١١/ ٧٩.

الخاص مثلاً مع هذه الهيئة الخاصة ينتجُ أموراً خاصة لا تتيسر بالذكرِ في غيرها من الهيئات في ذلك تساعد الذاكر في سيره بإذن الله ما لا يساعده نتائج غيرها من الهيئات في ذلك الوقت، والله اعلم.

إذا تمهد هذا فنقول لما مرّ فيما تقدم ذكر بعض الكيفيات الواردة من السنة للذكرِ الجهري وطرف من أنواعها أحبت أن الحق بذلك ذكر شيء من الكيفيات المهمة اللاحقة بها لأهلها، وما ذكره سيدنا شيخ مشايخنا الكبراء السيد محمد الغوث بن السيد خطير الدين الحسيني في الجوهر الرابع من كتابه (الجواهر الخمس): وقد سبق ما منه يتذكر الواقف المحقق أنّ أصولهم من الكتاب والسنة هي التي فرّعوا عليها أفنان الأنواع استهتاراً بذكر الله، وإن لم ترد تلك الكيفيات بجملتها على وصف ما ذكروه فجاء من ذلك في أصل السنة والكتاب العزيز من السنة القولية والفعلية ما يقاس به بحسب النور المقذوف من الله في قلوب أوليائه المستنيرة بذكره لأنّ النور نتائج يُستضاء به وإن لم تذكر بالخصوص فالعموم جامعها فيكون ذلك من السنة الحسنة لرجوعِه إليها فورود بعضها مع اندراج بقيتها في عموم الدليل كان في ذلك لمن تبصّر، فنذكر طرفاً من صور الذكر وكيفياته فلرُب طالبٍ راغبٍ فيه مولع في الذكر محبة في المذكور برابطة يحبهم ويحبونه، ومن أحب شيئاً أكثر من ذكره كما تلقينا ذلك علماً وعملاً عن سيدنا أحمد بن علي الشناوي، وهو عن سيدنا وجيه الدين العلوي كذلك علما وعملاً، وهو عن سيدنا السيد صبغة الله ابن روح الله، وهو عن سيدنا السيد محمد الغوث الذكور الذي استشمر للعلم من العمل عملاً بما علم فورثه الله علمَ ما لا يعلم تصديقاً فإنه (قدس سره) بعد أن ذكر في أول جوهرةٍ اجتماعه بشيخِه الحاج حضور (قدس سره) ومبايعته له قال فاخترت العزلة في جبال قلعة جنار واعتكفت هنالك ثلاث عشرة سنة وبضعة من الشهور فعلت فيه ما أمرني به وكتبت ما جرى علي من الحال في تلك الجبال إلى آخر ما فصل فيه بعض أحواله روّح الله روحه.

فنقول قال سيدنا الشيخ محمد الغوث طاب ثراه الجوهر الرابع في مشرب الشطار، نقول: الشطار جمع شاطر أي السبّاق المسرعون إلى حضرة الله تعالى[1] وقربه كما قال (ﷺ):

---

(١) تاج العروس، للزبيدي: ١٢/ ١٧١.

«سَبَقَ الْمُفْرِدُونَ، قَالُوا: وَمَا الْمُفْرِدُونَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: الْمُسْتَهْتَرُونَ فِي ذِكْرِ اللهِ، يَضَعُ الذِّكْرُ عَنْهُمْ أَثْقَالَهُمْ»[1] أو كما قال، وقال (ﷺ): «سِيرُوا هَذَا جُمْدَانُ سَبَقَ الْمُفَرِّدُونَ». قَالُوا وَمَا الْمُفَرِّدُونَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ «الذَّاكِرُونَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتُ»[2] الحديث الصحيح فكان الشطار دائما من أهل الله، وهم المفردون المتصفون بالسبق فيما ورد من السنة، والشاطر هو السابق كالبريد الذي يأخذ المسافة البعيدة في المدة القريبة، والشاطر في اللغة من أعيا أهله وشطر عنهم أي نزح مراغماً[3] والمنقطع إلى الله المنفرد المستهتر بالذكر والنازح عن الشهوات واهويتها ولذات النفوس يراغم النفس والهوى والشيطان ومن دعا إلى ذلك من الجن والأنس والقريب والبعيد ويعيهم وإن كانوا أهله ولا يكون ذلك إلا للشاطر المعيي كل من دعاه إلى خلاف قصده النازح عنهم والفارد، كذلك المذكور في السنة أو لا نازح من غير ما يوالى مقصده وسيره وفعله كما يقال شجرة فاردة أي منتحية ناحية وظبية فاردة أي منفردة عن القطيع[4] وذلك كله نعت للسالك لانفراده بالذكر للمطلوب فلا يلائم عليه إلا من والاه فيه لا من أباه فيعييه ولا يطيعه وينزح عنه مراغماً له غير مكترث به ما كان وإن كان من أهله نسباً ولذا يقال عنده فرد تفريداً تفقه في الدين، واعتزل الناس لطلب ما يدعوه إليه العلم من العمل والشطار مجموع لهم نعت جميع ذلك على ما ذكر استهتاراً بالذكر حين يتفنن في أنواع منه بحسب تلقيه عن المذكور مما لم يكن يدريه ولا سمعه لإفاضة الحق عليهم بذلك، والمستهتَر بالشيء بفتح التاء المولع به الذي لا يبالي بما فعل فيه أو شتم به لأجل استهتاره في الذكر حباً وشوقاً للمذكور، وفيه ومثله وردَ: «اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْراً كَثِيراً حَتَّى يَقُولُوا: مَجْنُونٌ»[5] ولذلك قال الشيخ في مشرب الشطار: يعني أنه لا يتولى هذه الجهة الأيمن كان منعوتاً بالشاطر الذي أعيى

---

(١) سنن الترمذي، بَابٌ فِي العَفْوِ وَالعَافِيَةِ: ٥/ ٤٦٩، برقم (٣٥٩٦)، قال الترمذي: حسن غريب. وقد ذكر في الكنز ج١ (١٧٧٤ -ص٣٧٤) روي عن طريق أبي هريرة عن أبي الدرداء.

(٢) صحيح مسلم، باب الحث على ذكر الله: ٨/ ٦٣، برقم (٦٩٨٤)، بلفظ: «سِيرُوا هَذَا جُمْدَانُ سَبَقَ الْمُفَرِّدُونَ». قَالُوا وَمَا الْمُفَرِّدُونَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ «الذَّاكِرُونَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتُ».

(٣) ينظر: مختار الصحاح، للرازي: ص/ ١٦٥، والمحيط في اللغة: ١/ ١٢٥.

(٤) ينظر: تاج العروس: ٨/ ٤٨٨، والمعجم الوسيط: ٢/ ٦٧٩.

(٥) أخرجه أبو يعلى في مسنده: ص٣٠٣، برقم (١٣٧٧)، من مسند أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه).

أهله ونزع عنهم ولو كان معهم إذ يدعونه إلى الشهوات والمألوفات، وقد عزم الله بشاكلته إلى من يوالي ما هو فيه فهم عند ذلك أهله اسم جبل في طريق مكة قاله (ﷺ) لأصحابه في السفر فانحاز عن الأقربين في النسب إلى الأقربين في الدين استهداء بقوله تعالى: ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ۚ﴾[1].

ولذلك قال الشيخ (رحمه الله) في الجواهر المذكور يجب على الطالبِ بعد فراغه من عمل الأبرار وعمل الأخيار الاطلاع من الدعوة على الأسرار أن يضعَ القدم في مشربِ الشطار فإنه أعلى المشارب عند الله وعظيم القدر بحضرتِه جلّت عظمته وليس بدون هذه الأصول وصول، ولا بغير هذه الأبواب دخول فمن كانت سعادته أزلية يتشرف بهذا المشرب على الأبدية والعالم بهذا المشرب أقرب المقربين وأعظم المنتسبين كما بيّن فضائله بل شمّة منها أبو الجناب الشيخ نجم الدين الكبرى (قدس سره) حيث قال: طريق السائرين إلى الله والطائرين بالله هو طريق الشطار من أهل المحبة السالكين بالجَذَبة، فالواصلون منهم في البداية أكثر من غيرهم في النهاية، وليس لأهل هذا المشرب فناء ولا فناء الفناء، بل هو في كل مرتبة من المراتب مشهود بنفسه مفقود عن غيره ببقاء البقاء باق وبشراب المحبة والذوق شارب وساق يجدون في تلك الحالة حالة لا يسعها أحد نعتها بالمذكور الأحد ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾[2]، وأهل المحبة كلهم لا يخلون من الصحو[3] والسكر[4] بان يكون بعضهم ظاهرين على الإفاقة مع سكرهم وبعضهم سكارى مع إفاقتهم.

---

(١) سورة لقمان: من الآية/ ١٥.

(٢) سورة الإخلاص: ١ -٤.

(٣) الصحو: (عند الصوفية) رجوع إلى الإحساس بعد غيبةٍ حصلت عن وارد قوي. ينظر: لطائف الإعلام في إشارات أهل الإلهام، د. عاصم إبراهيم الكيالي.

(٤) السكر: (عند الصوفية) غيبة بوارد قوي، والمراد بالغيبة: عدم الإحساس، فمن غاب بوارد قوي سمي سكراناً، وذلك أن العبد إذا كوشف بنعت الجمال حصل له السكر وطرب الروح. ينظر: المصدر نفسه.

وأهل هذه الحالة فارغون عن الحالين لأن لهم علامة لا علامة لها يشاهدونها في كل خاصٍ وعام، بل لا ينفصلون عنها على الدوام ولا يحتاجون إلى الملاء والخلاء، ولا ينظرون إلى هؤلاء (ألم) أصول، مشربهم ﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ﴾[1] تصور عين الذات منهم كل حرف جاء إشارة بلفظ إلى المعنى، ولا يتركون به شيئاً من معادن المعنى.

(١) سورة الشورى: الآيتان/ ١ -٢.

ما رويَ عن شيوخ السلسلة البسطامية

ثم ذكر سندَ التلقين المتصل به من طريق أبي يزيد البسطامي (قدس سره) مبتدئاً برسول الله (ﷺ) متنزلاً من سيدنا علي (ﷺ) إلى أن انتهى إليه، وقد تقدم ذكرُه أولا على وجه الترقّي والصعود، ثم قال: ورُوي عن هؤلاء الشيوخ - أي شيوخ السلسلة البسطامية الشطارية - أن استحصال هذا العلم الباطن من الشيخ المرشد لازمٌ على طالب طريقة المعرفة لا من مطالعة كتب هذه الطائفة فإنّ ظهور نتيجة تخلقوا بأخلاق الله منوطٌ به وكشف كل باطن بأرُمّته مخطوم بأزمته.

ومقدمة هذا العلم الأذكار بأي وجه كان من الجَهر والأسرار، وأصل طريقة الأذكار مأثورٌ عن سيدنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ﷺ) كما تقدم ذكرُه مسنداً، فإنه لما أظهر على النبي (ﷺ) تعشّقه ووجْده ومحَبّته وجده في الوصول إلى الله وحده أخبره البرزخ الأزلي والحبيب الأبدي بالأذكار، كما ورد في الأخبار: «قال عليٌّ يا رسول الله دلّني على أقرب الطرق إلى الله وأسهلها على عباده وأفضلها عند الله فقال رسول الله (ﷺ): عليك بمداومة ذكر الله في الخلوات، فقال علي: كيف أذكر يا رسول الله فقال (ﷺ): غمّض عينيك واسمع مني ثلاث مرات فقال (ﷺ) وعلي يسمع: لا إله إلا الله لا إله إلا الله لا إله إلا الله ثلاث مرات، ثم علي (ﷺ) قال: لا إله إلا الله ثلاث مرات، والنبي (ﷺ) يسمع»[1] انتهى.

وقد سبق نقله برواية أبي المحاسن وأبي الفتوح، ثم قال وللذكرِ طريقان: الجهر والأسرار، أما الجهري: فذكره أنواع منها النفي والإثبات، ولهذا النوع الأول من الأذكار جلسات وهيئات عديدة منها ثلاثة عشر ضرباً بلا دقة، وطريقه: أن تجلس متربعا وتمسك بإبهام رجلك اليمنى مع ما يليه العرق المسمى بالكيماس من اليسرى، وهو العرق العظيم الذي داخل قفل الركبة وتضع يديك على الركبتين فاتحاً الأصابع من غير تكلف وتنحط حينئذ إلى أن تصل اللحية إلى خنصر اليد اليسرى وابتدئ منه قائلاً: (لا إله) بالمد إلى أن يصل الرأس إلى منكب اليد

---

(١) وجدته في عجائب الآثار، للجبرتي: ص/ ١٧٤، وإيقاظ الهمم، لابن عجيبة: ص/ ٦١، وهما كتابان غير معتمدين.

اليمنى بعد وصول الذقن بتمام الدورة إلى الركبة اليمنى، ثم تجعل الرأس مائلا إلى جهة الظهر واضرب من هناك (بإلا الله) على الذي بدأت منه ثلاث عشرة مرة (بلا إله إلا الله إلا الله) إلى تمامها، ثم تبتدئ كالأول، ثم تصعّد رأسك إلى مثل الدور الأول إلى الكتف الأيمن مائلاً بالرأس إلى نحو الظهر وتضرب منه إلى الذي منه بدأت قائلاً (إلا الله إلا الله) إلى ثلاث عشرة مرة، وتتابع هكذا ما شئت وتفتح عينيك حين النفي بلا إله وتنفي عن كل ما وقع عليه البصر الإلوهية وتغمض حالة الإثبات وتثبت وحدانية الحق في قلبك بالإلوهية، فإذا داوم المريد على هذا الذكر واشتغل به مع هذا الفكر تظهر عليه ثمرته في قليل من المدة بإذن الله، ويظهر له فناء نفسه والعالم وبقاء الحق الأزلي الأحدي.

نوع ثان: وهو ضربان مع دقتين وطريقُه بعد حفظِ الجلسة المعهودة والدور (بلا إله) الأول أن يضربَ على الفخذِ الأيسر، ثم على المرفق الأيسر (بإلا الله)، ثم يرفع مقعدته من الأرض قدر نصف ذراع أو قريباً منه وتضرب بطريق الحملة والصولة على نفسه وما لا ينبغي ليتزلزل ويزول بذكر الله الذي لا يضر مع اسمه شيء والأعمال بالنيات، ويدق في نفسه من ذلك الارتفاع إلى الأرض بحبس النفس وكظم الفم قائلاً في نفسه (إلا الله إلا الله) من غير أن يفتح فمه مع الهمة والصوت المكظوم بالشدة، وطريق الدقة أن يخرج الرأس من جميع المدن كالرافع له عنه ويدق به على البدن بجملته لإثارته الحرارة القلبية واستعمال كل عضو على حياله لله في طاعته بالجهد والجهاد فيه ليفتحَ الله له في سبيله من أسرار ذلك بقدر استعداده.

وللذكرِ نوعٌ آخر وهو أن يبدأ ما بين الركبتين (بلا) ويضرب على الكتف الأيمن (بإله) ثمّ يضرب على الكتفِ الأيسر أو الفخذِ الأيسر (بإلا الله)، ثم يتابع كذلك بقدر قبوله للعمل وإقباله على المعمول له وتظهر ثمرتُه للمحق في يسير من المدة بإذن الله تعالى متى بُنيَ على الإخلاص بيت قبلته واستقبل بها والله اعلم.

ونوعٌ آخر من الذكر الجهري، وهو على ثلاثة أضرب مع دقات ثلاث، طريقهُ بعد حفظ الجلسة والدور المعهودين أن يضرب على الفخذ الأيسر (بإلا الله)، ثم على الأيمن (بإلا الله)، ثم ما بينهما (بإلا الله)، ثم يدق في نفسه ثلاث دقات كما سبق بيانه بحبس النفس وكظم الفم.

نوعٌ آخر من الذكر الجهري وهو أربعة أضرب بلا دقّ وله نوعان:

* أحدهما: أن يضربَ بعد حفظِ الجلسة والدور المعهودين في الفخذ الأيسر، ثم على الأيمن، ثم ما بينهُما، ثم على السرة (بإلا الله) ولا يتكلم بلا إله إلا الله في الدور الأول قبل الضرب، وهكذا في جميع ما فيه الضروب بلا دق أو بدقّ ويوالي ذلك حتى تظهر له ثمرته من توالى العمل؛ لأنّ الله تعالى جليس الذاكر فلابد أن يبدو على الذاكر أثر بركة المجالسة الإلهية الخاصة به على ذلك النوع الخاص، وهكذا في كل نوع فإنه تظهر ثمرته من مداومته لأنّ المرة منه كاللقمة الواحدة مثلاً، والاستكفاء بالتمام فتممَ وداومَ وبالله التوفيق.

* النوع الثاني: منه أن يبدأ بعد حفظ الجلسة والدور المذكورين (بلا) من بين الركبتين ويضرب على الكتف الأيمن (بإلا) وعلى الأيسر بهاء (اله)، ثم يضرب (بإلا الله) بدون إشباع الهاء في نفسه، ثم يضرب بإشباع هو على جانب الظهر منه مائلاً الرأس إلى جهة الخلف نحو ظهره فيقع (لا إله إلا الله) أربعَ كلمات وبالإشباعِ لهوَ خمساً.

انتهى قدرُ ما يرادُ في هذا المحل ذكره منه تبركاً وأشعاراً بأنّ الله تعالى خلع ذلك من الأنواع المذكورة بأفنان الذكر كأفنان الرياحين أو الأغذية على عباده المستهترين بذكره الذين صار دوام الذكر لهم وتنويع كيفياته غذاءَ أرواحهم وراحةَ قلوبهم بمحبوبهم فلا يسامون فكل ما ملّوا كيفية أنشأ الله تعالى لهم في أسرارهم كيفيةً أخرى فانتقلوا من كيفية إلى كيفية أخرى كالطعام الجديد المستأنف تبدو له قابلية جديدة معه، فتلكَ الكيفيات لهم بها فيها استراحات في العمل كتنويع الصلاة إلى قيامٍ وركوعٍ وهويٍ وسجودٍ ورفعٍ وعودٍ إلى مثله وأنسٍ به لبذلهم كلهم مع أوقاتهم وأنفاسهم؛ لأنهم أهل الله وخاصته فأفاضَ الله عليهم تلك الأنواع الظاهرة لصور أرواحٍ باطنة بذلت لهم فتعيّن لكل واحد منها نوع ومثال كالشبح للروح، وكلّ محبٍ لا يفارق ذكر محبوبه؛ لأن من أحبّ شيئا أكثر من ذكره.

وكلّ هذهِ الكيفيات تلقيناها عن سيدي أحمد بن علي الشناوي شِفاهاً بالعلم والعمل، وهو كذلك تلقاها بالعلم والعمل، عن سيدنا السيد السند القدوة المعتمد سلطان العلماء بالله السيد صبغة الله بن السيد روح الله الحسيني معرّب (الجواهر الخمس) من الفارسية إلى العربية بواسطة طلب شيخنا سيد أحمد بن علي الشناوي منه لأنه لما عرضه عليه وأجازه به ذكر له أن الذين يأخذون عنا عرب فيحتاجون التعريب فعرّبه السيد من الفارسية إلى العربية بخطه الكريم

كله ثم نقل منه، ومنه ما يقبل بدله الخاص والعام، ومنه ما لا يقبله إلا الخاص، ومنه ما لا يستطيع حمله إلا خواص الخواص؛ لأنه من الأسرار ولا تبذل الأسرار إلا للمحارم جرت بذلك سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلاً وإن كان كل أحد يود ذلك ولكن الاستعداد شرط لابد منه؛ لأنّ الأصلَ لكلّ عبد ممكن وكل عبد له يرى أن فيه الأهلية والصلاحية للعبودية لله في كل كمال تستدعيه الربوبية من المربوب فيودّ الاطلاع والعمل بذلك وليس كذلك لاختلاف المشارب، و﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ﴾[1] ولأنّ استعدادَه يقصُر عن تناولِ ذلك العمل كما ينبغي ويشير إليه قول سيدنا عمر بن الخطاب (ﷺ): «كنتُ أدْخُل على النبيّ (ﷺ) وأبي بكرٍ وهما يَتَفاوضانِ في علمِ التوحيد كأنّي بينَهما زنْجِي»[2] وأمثال ذلك كثير عند أهله فيحصلُ لذلك التقسيم بعامٍ يشمل الكل، وخاصّ يخصّ البعض وأخص منه لا يحمله إلا أخص الأخص وذلك في كل درجةٍ على حسبِها لأهلها من الأول إلى الآخر بالدوام كما قال تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾[3] وقسْ به كل طبقة على رسلها بعد النبيين من الصديقين على اختلاف درجاتهم والشهداء والصالحين تجد ذلك مشهوداً لك بالاستقراء والتتبع، وما يزيده لك بياناً ما نقله المحبّ الطبري (رحمه الله) (في الرياض النضرة في فضائل العشرة).

فهذا يدلّك على أنّ العبد ولو ودّ الاطلاع ولا باع فإنه يقصر عن الوصول والاطلاع على تناول خاص الخاص وإنْ كان خاصاً إلا أن يكون هو كان سيدنا عمر (ﷺ) على النصف من شأنِ سيدنا أبي بكر (ﷺ) في عامّة أمرِهِ لقوله (ﷺ) عند الطلب منهما ما هو عندهما فجاء أبو بكر بالكل، وجاء عمر بالنصف ورجا به السبق؛ لأن كلا منهما بالغيب عن صاحبه عمل العمل طاعةً لله ولرسوله، فقال (ﷺ) إن كنتُ لا أسبقُ أبا بكر فاليوم لعلّي أسبقه فلما وفد إلي رسول الله (ﷺ) قال لأبي بكر: ما تركت لأهلك؟ فقال الله ورسوله، وقال لعمر: «ما تَركتَ لأهلِك؟» فقال من كل شيء نصفه فقال له: «بينَكما ما بينَ كلمَتَيكما»[4] بفعلهما مكانهما لأنهُ دليلٌ

---

(١) سورة البقرة: من الآية/ ٦٠.

(٢) الرياض النضرة في مناقب العشرة، محب الدين الطبري: ص/ ٧٠.

(٣) سورة البقرة: من الآية/ ٢٥٣.

(٤) سنن الترمذي، : ٥/ ٦١٤، برقم (٣٦٧٥)، قال الترمذي: حسن صحيح، (كتاب مناقب أبي بكر وعمر)=

ما عند العامل من الاستعداد والدرجة من ذلك كما قال تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا﴾[1] الآية لأنّ العمل الشاق فيها دليلُها فهكذا التفاوت جار في الكل لأنّ الكل ﴿فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾[2] ولا تكرار في الذوات والأفعال والصفات دنيا وأخرى، فمن ذلك جرى قلم الاقتدار الأحدي على جبهة كل شيء من المنشآت والمعلومات على الدوام بـ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[3] لأنّ العمل على الشاكلة، وهي هذه لمن أحب رؤيتها بإذنه تعالى والله اعلم.

وقولُ سيدنا عُمر (ﷺ) يتكلمان في علم التوحيد يهديك إلى أن هذا العلم منتهى العلوم وأنه الحقيقة بعد الطريقة والشريعة، وأن كل عالم لا يبلغ منه المبلغ بالنسبة إلى بالغيه، وإن كان خاصاً وقريباً فهو في المثال كما قال الكريم كالزِنْجي بين العرب عند التحاور تمثلاً، وهو يرشدك إلى أن أنواع الأذكار إنما أفيضت على الموحدين الخالصين عن شوب نفوسهم حتى محيت رسومهم في سيّدهم فلم يجدوا لهم ملكاً معه ووجدوا كلهم له ولا يكون هذا إلا عند خواص الخواص؛ لأنه محض الإخلاص وغايته.

وقال الجنيدُ سيّدُ الطائفة ينبغي أن لا يقرأ لنا علمنا هذا إلا تحت الأرض يشير إلى أنّ غير أهل الخصوص والتخصيص الأخص به لا يدركونه فكيف بمن سواهم ويشير إليه قول سيدنا عمر (ﷺ) يتكلمان في علم التوحيد ولا أفهم ذلك كما لا يفهم الزنجي كلام العرب للتمثيل لفهم الفرقان بين ما يجده مما يتكلمان فيه وبين إدراكه له، وقدر المدرك منه لغموضه ومجاوزته الحد المألوف المتجاوز فيه لأنّ النبي (ﷺ) صاحب المقام الأعلم بالله والأخشى

=تمام الحديث: حَدَّثَنَا هَارُونُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْبَزَّازُ الْبَغْدَادِيُّ حَدَّثَنَا الْفَضْلُ بْنُ دُكَيْنٍ حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ سَعْدٍ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ يَقُولُ أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) أَنْ نَتَصَدَّقَ فَوَافَقَ ذَلِكَ مَالاً فَقُلْتُ الْيَوْمَ أَسْبِقُ أَبَا بَكْرٍ إِنْ سَبَقْتُهُ يَوْماً قَالَ فَجِئْتُ بِنِصْفِ مَالِي فَقَالَ: رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟ قُلْتُ مِثْلَهُ وَأَتَى أبو بَكْرٍ بِكُلِّ مَا عِنْدَهُ فَقَالَ: يَا أَبَا بَكْرٍ مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟ قَالَ: أَبْقَيْتُ لَهُمْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ قُلْتُ وَاللَّهِ لَا أَسْبِقُهُ إِلَى شَيْءٍ أَبَداً.

(١) سورة الأنعام: من الآية/ ١٣٢.

(٢) سورة ق: من الآية/ ١٥.

(٣) سورة الشورى: من الآية/ ١١.

لله، وسيدنا أبو بكر يليه في ذلك لقربه منه، ولذلك قال: «لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذاً خَلِيلاً غَيْرَ رَبِّي لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلاً»[1] فهذا يبيّن لك لتفهم الفرقان بالاستعداد فهذا العام هكذا شأنه وهو على الولاية الخاصة التي أشار إليها أولا سيدنا محمد الغوث لتذكّر فإن علوم أهل الله كلها في علم التوحيد، وهو العلمُ بالله الأزلي الأبديّ الذي لا يزال المزيد منه جارياً على الطالبين دنياً وأخرى وقد ورد: «إِنّ منَ الْعلمِ كَهَيئَةِ الْمكنون لَا يعمله إلا الْعلمَاء بِاللَّه فإذا نطقوا بِهِ لَا يُنكره إلا أهل الْغرَّة بِاللَّه عز وَجل»[2]، أو كما قال الجنيد أيضاً (رحمه الله): "لَوْ عَلِمْتُ أَنَّ لِلَّهِ عِلْماً تَحْتَ أَدِيمِ السَّمَاءِ أَشْرَفَ مِنْ هَذَا الْعِلْمِ الَّذِي نَتَكَلَّمُ فِيهِ مَعَ أَصْحَابِنَا وَإِخْوَانِنَا لَسَعَيْتُ إليه وَقَصَدْتُهُ" [3] فهذا يهديك إلى أنه لابد للمقبول من قابل واستعداد نائل واصل متناول لأن العبد إذا صدق ينفعه صدقه كما قال الله تعالى: ﴿يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾[4] وهو يوم صدق نيته وإخلاصه مع بذل نفسه ووسعه في طاعته بالله لله في هذه الدار التي هي خمسُ يومٍ من أيامِ ذي المعارج وكثره حالاً وإنما يظهر مالاً كما قال تعالى: ﴿وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾[5] فانظر الآن إلى يوم القيامة وفيه فتكون بذلك متأهلا للقبول، كما قال الجنيد أيضاً وقد مر قوله: "ما أخرج الله إلى الأرض علماً وجعل للخلق إليه سبيلا إلا وقد جعل لي فيه حظاً ونصيباً"[6]، فهذا منه جار تحت ظلال قوله: "لَوْ عَلِمْتُ أَنَّ لِلَّهِ عِلْماً تَحْتَ أَدِيمِ السَّمَاءِ.."، وإن همته العليّة توصلت بشريف العلم هو علم التوحيد المثمر له الذكر والانقطاع بالإخلاص إلى الله على الدوام وله قال عند السؤال لون الماء لون إنائه ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾[7] لما سئل عن

---

(١) صحيح البخاري، بَاب مَنَاقِبِ الْمُهَاجِرِينَ وَفَضْلِهِمْ مِنْهُمْ أبو بَكْرٍ: ٥/ ٤، برقم (٣٦٥٤)، ومسلم، باب من فضائل أبي بكر: ٧/ ١٠٨، برقم (٦٣٢٠).

(٢) رواه الديلمي في الفردوس، باب الألف: ١/ ٢١٠، برقم (٨٠٢) عن أبي هريرة (ﷺ)، قال العراقي في تخريج أحاديث الإحياء: ١/ ٢٩: إسناده ضعيف.

(٣) تاريخ بغداد: ٨/ ١٦٨.

(٤) سورة المائدة: من الآية/ ١١٩.

(٥) سورة الحشر: من الآية/ ١٨.

(٦) تاريخ بغداد: ٨/ ١٦٨، وطبقات الحنابلة: ١/ ٤٩.

(٧) سورة النمل: من الآية/ ٨٨.

عدم ظهور التأثر عليه عند سماع وهو حاضره فذكره، فاذكر تظفر بالمذكور مهما كان فالعلم الخاص عند الخواص وخواص الخواص هو علم التوحيد وله ساحل ووسط ولجّه هي وسط الوسط وغايته، والأول أول الطريق كما شرع فيها ثم ما ينتهي إليه.

وقد ورد أسست السموات السبع والأرضيين السبع على ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾[1] فهذا هو العلم الذي تبنى عليه كل العلوم، ولذا يطلع صاحبه على حظّه ونصيبه من كل علم متى أدركه كما قال الإمام الجنيد، والى هذه الآيات الجملية ينتهي ما أريد رسمه بلغة للطالبين بلغتهم، وعلى الله قصد السبيل.

ثم لتعلمَ أيضاً أنّ من وجوه استعمالات فنون هذه الأنواع من الذكر أن أهلها لما لم يكن لهم شغل إلا بالله وعزلوا متعلقات نفوسهم وإنْ كُلفوا بها في جنب الله فجعلوا أنواع الذكر السري والجهري مكان حظوظ نفوسهم البشرية واستغرقوا ذلك في الله بالله لله لا لطلب عوض منه بل لطلبه خالصاً ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾[2] كما أمر بقوله: ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾[3] فإنّ الخالصَ لا يشرك، ولا نفسه، ولا أخصّها فكانوا بذلك خواص خواص أهل الله ومصطفى الله يريدون وجهه فلا تعد عيناك أيها الطالب لهم عنهم أن كنت طالباً فإن التكليف بالاستطاعة وهي لكلٍّ على حسبه كما قال تعالى: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ﴾[4] لا من سعة غيره، والمعنى كالحس لمن يحس أو حس وكلٌ ميسّر لما خلق له لا لغيره، وهذا بين الخاص والعام والأخص وأخص الأخص كما سلف فتذكر فكان ذلك منهم على نفوسهم فيما هو بالجبلة أو بذله لله منهم لا لها لا تفريطاً من حيث أن إمكان حصول عملٍ من نوافلِ الأعمال المشتمل عليها محض العبودية لله إذا وجدوا إليه سبيلاً بأي سبيل ألهموه من الحق فعملوا عليه فكان ما ذكر وورد أصلاً لما فرع ونوع عليه، و﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ﴾[5] فلا يطيب شرب

---

(١) سورة الإخلاص: الآية/ ١.

(٢) سورة الأنعام: من الآية/ ٥٢.

(٣) سورة الكهف: من الآية/ ١١٠.

(٤) سورة الطلاق: من الآية/ ٧.

(٥) سورة البقرة من الآية / ٦٠.

هؤلاء الشطار المؤسسين على ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ وعلى قائل قل هو الله أحد صرفاً كما في الرواية الأخرى إلا على شرب البحار وألسنتهم تلهث عطشاً طلباً للمزيد كما هو المذكور عن الإمام الهمام أبي يزيد (قدس سره) وبالله التوفيق.

وفي الحديث القدسي: «يَا ابْنَ آدَمَ ثَلَاثٌ: وَاحِدَةٌ لِي، وَاحِدَةٌ لَكَ، وَوَاحِدَةٌ بَيْنِي وَبَيْنَكَ، أَمَّا الَّتِي لِي فَتَعْبُدُنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئاً، وَأَمَّا الَّتِي لَكَ فَمَا عَمِلْتَ مِنْ عَمَلٍ جَزَيْتُكَ بِهِ فَإِنْ أَغْفِرْ فَأَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ، وَأَمَّا الَّتِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ فَمِنْكَ الدُّعَاءُ وَالْمَسْأَلَةُ وَعَلَيَّ الِاسْتِجَابَةُ وَالْعَطَاءُ»[1].

(١) مسند البزار: ٦/ ٤٩٠، برقم (٢٥٢٣)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد: ١٠/ ١٤٩: فيه حُمَيْدِ بْنِ الرَّبِيعِ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ عَاصِمٍ، وَكِلَاهُمَا ضَعِيفٌ وَقَدْ وُثِّقَا.

فصل

اللهم صلّ على سيدنا ونبينا محمد عبدك ورسولك النبيّ الأميّ وعلى إله وأصحابه أجمعين، عدد خلقك بدوامك، وعلى جميع الأنبياء والمرسلين، وعلى آلهم وصحبهم والتابعين وعلى أهل طاعتك أجمعين من أهل السموات وأهل الأرضين، وعلينا معهم برحمتك يا أرحم الراحمين، عدد خلقك ورضى نفسك، وزنة عرشك، ومداد كلماتك، كلما ذكرك الذاكرون، وغفل عن ذكرك الغافلون وسلم تسليماً كثيراً.

كذلك **اللهم** أعنّا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، **اللهم** إنا نسألك التوفيق لمحابّك من الأعمال، وصدق التوكل عليك، وحسن الظن بك، **اللهم** إنا نسألك حسن اليقين والعافية في الدارين، **اللهم** هبْ لنا مغفرتك الجامعة لما ظهر منا وما بطن لنكون بنور غفرانك وسترك في الأحسن بعد الحسن في السر والعلن واجعل علانيتنا صالحة، اللهم بكرمك اجعل سريرتنا خيراً من علانيتنا واجعل علانيتنا صالحة، **اللهم** إنه لا وصل ولا وصلة لواصلٍ إلى شيء ما إلا بك فأعنّا على ما طلبته منا ويسرنا فيه لليسرى وجنّبنا العسرى كيف كنا إنك المتولى عن عبدك ما كلفته به، وأنت على كل شيء وكيل، وعلى كل شيء قدير يا من إليه المصير في كل حال ومسير، فاجعلنا في صراطك المستقيم مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين غير المغضوب عليهم ولا الضالين آمين.

اللهم (ﷺ) سيدنا محمد عبدك ورسولك النبي الأمّي، وعلى إله وصحبه عدد خلقك بدوامك، ومن على من له طلب للكمال بالتشبّه بأهل الكمال ومن على المتشبهين بالتخلق وعلى المتخلقين بالتحقق، وزد المتحققين من عندك نوراً في عافية شاملة آمين.

واغفِرِ اللّهمّ لآبائِنا وآبائِهِم وذراريهِم ولمشايخِنا ومشايِخِهم وتابعيهم ومجاوريهم بكرمك يا أرحم الراحمين سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

تمّ طبعُ هذا الكتابِ في خامسِ شهر صفر سنة (١٣٢٨) ثمان وعشرين
وثلاثمائة بعد الألف من هجرة النبي عليه ألف صلاة
وسلام وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين
وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبِه أجمعين، آمين.

ترجمة المؤلف رحمه الله تعالى:

هو الشيخُ العارفُ باللهِ المحقّق الشيخ صفي الدين السيد أحمد بن العارف بالله محمد المدني بن الشيخ يونس المدعو بعد النبي بن الولي الشهير الشيخ أحمد الدجاني المقدسي الأصل المدني المولد والوفاة المعروف بالقُشّاشي روح الله روحه (القُشاشي) بضم القاف وتكرار الشين المعجمة نسبة لبيع القشيش الذي تأكله الدواب وذكر في اليانع الجني أنه كان يبيع بالمدينة القشاشة وهي سقط المتاع من الأشياء التي تسترخص من أي نوع من نعال وخرق فسمي لذلك وجدّه الشيخ يونس هو الذي خرج من القدس وسكن المدينة وجد أبيه الشيخ أحمد الدجاني مشهور في القدس يستنجد به ودجانة قرية من قرى بيت المقدس والشيخ أحمد الدجاني هو ابن السيد علاء الدين علي بن السيد الحسيب النسيب يوسف بن حسين ابن ياسين البدري نسبة إلى السيد بدر الولي المشهور المدفون بزاوية بوادي النور ظاهر القدس الشريف وله ذرية لا يحصون كثرة قال صاحب (الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل) ومناقبهم لا تحصى وذكر منهم جماعة وساق نسب السيد بدر فقال بدر بن محمد ابن يوسف بن بدر بن يعقوب بن مظفر بن سالم بن محمد بن محمد بن زيد بن علي بن الحسن بن العريضي الأكبر بن زيد بن زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (ﷺ) إلا أن شيخ أحمد كان يخفي نسبه اكتفاء بنسب القوي فتبعته على ذلك ذريته، وكانت والدة الشيخ محمد المدني من ذرية سيدنا تميم الداري (ﷺ) وهم كثيرون في بيت المقدس ووالدة صاحب الترجمة من بيت الأنصاري ولهذا كان يكتب بخطه أحمد المدني الأنصاري وتارة سبط الأنصار والشيخ (رحمه الله) (صاحب الترجمة) رباه والده وأقرأه بعض المقدمات الفقهية على مذهب الإمام مالك (رحمه الله) عليه لأن والده تمذهب بمذهب شيخه الشيخ محمد بن عيسى التلمساني وكان من كبراء العلماء والأولياء بالمدينة - ورحلَ به والدُه إلى اليمن في سنةِ إحدى عشرة بعد الألف فأخذَ عن أكثرِ علمائهِ وأوليائه خصوصاً شيوخ والده الموجودين إذ ذاك كالشيخ الأمين بن الصديق المراوحي والسيد محمد الغريب والشيخ أحمد السطيحة الزيلعي والسيد علي القبع والشيخ علي المطير - ومكث عند والده مدة ثم حدث له

وارد مزعج فخرج سائحاً من اليمن حتى وصل إلى مكة ومكث بها مدة وصحب جماعة كالسيد أبي الغيث شجر والشيخ سلطان المجذوب وعاد إلى المدينة وصحب بها الشيخ أحمد بن الفضل بن عبد النافع بن الشيخ الكبير محمد بن عراق والشيخ الولي عمر بن القطب بدر الدين العادلي والشيخ شهاب الدين الملكاني وغيرهم، ثم لزم الشيخ الكبير العارف بالله أبي المواهب أحمد بن علي بن عبد القدوس بن الشيخ محمد العباسي المعروف بالشنّاوي بإعجام الشين وتشديد النون نسبة إلى بعض قرى مصر القرشي العباسي المصري ثم المدني قدس سره المتوفى سنة (١٠٢٤) وتمذهب بمذهبه وسلك طريقته وقرأ كتبا في مشربه وأخذ عنه الحديث وغيره والجواهر للشيخ القطب محمد الغوث (قدّس سِره) ولا زال ملازماً له حتى اختص به وزوجه ابنته والبسه الخرقة واستخلفه ثم أخذ عن رفيق شيخه في الإرَادة السيد أسعد البلخي ولازمه حتى مات وورث أحواله ثم صحب خلقاً يطول تعداد أسمائهم، وأخذ عنه كبار الشيوخ كالسيد العارف بالله عبد الرحمن المغربي الإدريسي والشيخ عيسى المغربي الجعفري والشيخ مهنا بن عوض بامزروع والسيد عبد الله بافقيه وجماعة من علماء السادة بني علوي ومن فقهاء اليمن بني جنان وغيرهم ومنهم نتيجة النتائج خليفته الروحاني إبراهيم بن حسن الكوراني الشهراني فإنه به تخرج وبعلومه انتفع لازمه مدة حياته وصار خليفته في التربية والإرشاد بعد مماته وكان صاحب الترجمة روح الله روحه وأوصل إلينا فتوحه من المصطفين الذين أوتوا الكتاب إذا تكلم في الحقائق أيده الله تعالى بالآيات وهو إمام القائلين بوحدة الوجود حافظ للمراتب الشرعية متضلعاً من أذواق السنة السنية كثير النوافل والصيام كامل العقل والوقار ووصل إلى مقام الختمة في عصره فقد قال فيما وجد بخطه على هامش رسالة العارف بالله سالم بن أحمد شيخان باعلوي المسماة (بشق الجيب في معرفة رجال الغيب) عند قوله: والختم وهو واحد في كل زمان يختم الله به الولاية الخاصة وهو الشيخ الأكبر انتهى ما نصه أن الختمة الخاصة مرتبة إلهية ينزل بها كل أحد لها حسب وقته وزمانه غير منقطعة أبد الآباد إلى أن لا يبقى على وجه الأرض من يقول الله الله لعدم خلوّ المراتب الإلهية عن القائمين بها حتى يصير القائم بها كالصفر الحافظ لمرتبة العدد فيما قبله وبعده، بأنفاسه تتم الصالحات وتقضي الحاجات وقد تحققنا بذلك حقاً ونزلنا منازلة وصدقاً وممن رأيته من

مشايخي من أهل الختمة المذكورة سنداً متصلاً منهم إلينا من غير انقطاع بإذن الله تعالى خمسة أنفس سادسهم كلبهم لا رجماً بالغيب وربه، ثم قال بعدها: قاله عبد السميع أحمد بن محمد المدني ومثله لا يتكلم بمثل هذا الكلام إلا عن إذنٍ الهي ونفث روعي، وله مؤلفات كثيرة في الحديث والأصول والتصوف الموجود منها نحو خمسين مؤلفا منها:

١- (حاشية إلى المواهب اللدنية) للقسطلاني.
٢- (حاشية على الإنسان الكامل) للجيلي.
٣- (حاشية على الكمالات الإلهية).
٤- (شرح حكم تاج الدين ابن عطاء الله الاسكندراني) في مجلد ضخم.
٥- شرح (عقيدة ابن عفيف).
٦- (كتاب النصوص).
٧- (الكنز الأسنى في الصلوة والسلام على الذات المكملة الحسني).
٨- (عقيدة منظومة).
٩- (في غاية الحسن والاختصار).
١٠- (ديوان في الشعر) أيضاً.

وقال الإمام برهان الدين الشيخ إبراهيم بن حسن الكوراني في (كتاب الأمم) ذكر في رسالة ضوء الهالة نحو ورقتين من فتوح ذكر (هو الله): "من المكاشفات وشاهدت له من ذلك ما لا أحصيه منها" إنه تكلم يوما على خاطر لي فقلت في نفسي هلا كان هذا قبل هذا الوقت فالتفت إلي وقال: ﴿ قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ﴾ ففهمت أن التأخير كان بإذن الله.

ومنها: أن بعض المجاورين طلب مني أن أكتب له كتاباً إلى بعض أهل الشام لغرض دنيوي فكتبته له من غير استئذان الشيخ (قدس سره) ثم دخلت عليه فقال منكراً علي هذا ثلم فلم أتحقق الإشارة وحصل لي القلق إلى الليل وأردت أن اكتب جواب مكاتيب أهل الشام في الليل ومعي القلق فتألمت في أمري فإذا ما حدث شيئا لا يرضاه إلا كتابة هذا الكتاب بغير إذنه فأحرقته بالسراج فسكن القلق فلما أصبحت دخلت عليه فتبسم في وجهي وقال عافية فعلمت المشار إليه بالثلم.

ومنها: أن بعض الفقراء قال لي: اطلب من الشيخ ما هو كذا وعين لي شيئا فقلت له: أنا لا أبتدي لطلب هذا منه، فقال: بل اطلب فقد قال بعضهم أن مثل هذا يطلب، فدخلت عليه وهو في مجلس الدرس وأنا في هذا الخاطر فالتفتَ إلي وقال: إن كان فيه نصيب ما يفوت ثم التفت إلى الجماعة يقرر لهم وأمثال هذه الوقائع كثيرة يطول ذكرها.

ولدَ (رحمة الله عليه) في ثاني عشر من ربيع الأول سنة (٩٩١هـ) إحدى وتسعين وتسعمائة، وتُوُفي ضحًى يوم الاثنين تاسعة عشر من ذي الحجة الحرام سنة (١٠٧١هـ) إحدى وسبعين وألف من الهجرة النبوية على صاحبها الصلوة والتحية، ودفن في آخر البقيع قدس الله تعالى سره وأفاض علينا بركاته وبره آمين.

كذا ذكرَ في خُلاصةِ الأثر في أعيانِ القرن الحادي عشر والأمم، وحصر الشارد، وثبت العلامة الكبير وغيرها من الإثبات.

تمّت هنا رسالةُ السمْط المجيد كما رأيته في نسختين صحيحتين ولكني رأيتُ في نسخة أخرى زيادة صفحة لذكرِ حديث البيعة وجواز غمض العينين، وأما هذه النسخة فقد زِيدت فيها الأجزاء السبعة أي سبع وأربعون ورقة فلعل المصنف زادها تذييلاً أو تحشية وقد تيسرت المقابلة إلى هنا لتعدد النسخ بخلاف.

التزكية أساس التربية في الفقه التربوي الإسلامي

تأليف الدكتور خالد رشيد الجميلي

النفحة الأولى

المقدمة

الحمد لله الذي من علينا بموارد النور الرحماني، وبروافد الرواء الرباني، الرحمة المهداة، المصطفى (ﷺ)؛ إذ أشرق علينا ولم يأفل كأفول الشمس والقمر بل أفل جسداً وبقي روحاً، أشرق بالإسلام المنقذ ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾[1] والتزكية ثمرة الكتاب، بها يميز الباري عز وجل المؤمن من غيره، وبها يعرف من شقي أو سعد في دهره.

وقد تيقظ الفكر الصوفي، العميق الأغوار، السحيق الضفاف، إلى قيمة التزكية وآثارها في إصلاح الإنسان الحائر، فرداً وأسرة وأمة؛ لهذا طاب لي أن أتوج بحوثي بهذا التاج الموقر؛ تاج الكتابة عن مبحث التزكية في الفكر التربوي الإسلامي الأغر، هذا الفكر الخالد ما أخاله إلا نفحات من الروض النبوي الماجد؛ لهذا آثرت أن أغوص في بحار القرآن الكريم والحديث الوسيم لأجاهد حق الجهد والجهاد في استنباط الأدلة القاطعة من الشريعة الإسلامية الساطعة؛ إذ أرى لزاما علينا أن ندرس الفقه التربوي الإسلامي من ألفه إلى يائه مستدلين على أصالته القيمة بأدلة نقلية لتتجلى عظمة المنهج التربوي الإسلامي حتى تكون المناهج التربوية الإسلامية أشجاراً مثمرة في روضة الفقه المقمرة.

لقد قسم فقهاؤنا الأجلاء الفقه الإسلامي إلى عبادات ومعاملات وجنايات وأحوال شخصية - الزواج وما يتعلق به - وإلى فقه التركات. ثم حاولنا أن نفصل الفقه السياسي الإسلامي بكتابنا: (أحكام الأحلاف والمعاهدات)، وبرسالتنا: (أحكام البغاة والمحاربين في الشريعة الإسلامية والقانون). كما يجب أن يتجلى الفقه الأخلاقي ويفصل تفصيلاً شافياً، والفقه الأخلاقي يفصله الفكر الصوفي أزكى تفصيل؛ لأنه يتعامل مباشرة مع محور المحاور، وقمة المنائر، يتعامل مع القائد أو الروح إذا ما صلح صلح كل شيء إلا وهو القلب المحكوم ببرهان الرب، فلا شرطي يراقب ولا ضابط يحاسب، بل حسب القلب برهان الرب.

---

(١) سورة الجمعة: الآية/ ٢.

لقد حضرنا مؤتمرات جمة، وقرأنا عن علم الإجرام أسفارا فما وجدنا الجرائم في العالم إلا في زيادة يندى لها الجبين؛ لأن القائمين والمؤلفين في علم الإجرام فاتهم حقيقة التعامل مع القلب فلم يصلحوه، ولم يتدبروا آيات القرآن الكريم ولا أقباس الحديث الوسيم الخاص بالقلب الذي كل ما بعده جنود يأتمرون به أمراً ونهياً.

أما المنهج الصوفي الأجل فقد وعى حقيقة التعامل مع الإنسان قلباً وروحاً ونفساً، فربوا ناساً صاروا كالملائكة يمشون على الثرى؛ ولهذه العلة، أي: لعلة إصلاح المجتمع الإسلامي والمجتمع العالمي، آثرت العمل في نشر الفكر التربوي الإسلامي.

وقد خرجت أحاديث كتاب: (أدب التعرف إلى مذهب التصوف) لمحمد أبي إسحاق بن إسماعيل البخاري الكلاباذي، وهو أزكى مدرسة من مدارس الفكر الصوفي.

وقد اصطفيت الآن الكتابة في مبحث التزكية؛ لأن التزكية منهج الله تعالى، إذ هو عز وجل خلق الإنسان نفسا وبدنا فكان أعلم وأحكم في إصلاح الإنسان، وما أعظم الدين الإسلامي إذ أصلح الأمة من قبل ويصلحها من بعد، كصاحب الداء والدواء كلما ابتلي الإنسان بالداء الواقع عاد إلى الدواء الناجع.

النفحة الثانية

تعريف التزكية في اللغة

١ - **التزكية:** مصدر فعل زكَّى يزكِّي تزكية، وأصل زكّى فعل زكا قبل تضعيف عين الفعل، ومعنى زكا كما قال ابن منظور: الزكاء: ممدود النماء والريع، زكا يزكو زكاء وزكوّاً، وفي حديث علي كرم الله وجهه: (المال تنقصه النفقة، والعلم يزكوا على الإنفاق) فاستعار له الزكاء وإن لم يك ذا جرم، وقد زكاه الله أزكاه. والزكاء: ما أخرجه الله من الثمر.

٢ - **وأرض زكية:** طيبة سمينة حكاه أبو حنيفة.

٣ - زكا: والزرع يزكو زكاء: أي نما أزكاه الله؛ وكل شيء يزداد وينمي فهو يزكو زكاء، وتقول إن هذا الأمر لا يزكو بفلان: أي لا يليق به.

٤ - والزكاة: الصلاح، ورجل تقي زكي: أي زاك من قوم أتقياء أزكياء.

٥ - وقد زكا زكاء وزكوّاً وزكيَ وتزكّى وزكّاهُ الله وزكّى نفسه تزكيةً:مدحها وفي حديث زينب كان اسمها بَرّة فغيّره وقال: تُزَكّي نفسها. زكى الرجل نفسه: إذا وصفها وأثنى عليها[1].

٦ - قال الأصفهاني: قول ﴿أَيُّهَآ أَزۡكَىٰ طَعَامٗا﴾[2] إشارة إلى ما يكون حلالاً لا يستوخم عقباه، ومنه الزكاة لما يخرج الإنسان من حق الله تعالى.

٧ - قال الأصفهاني: تزكية النفس: أي تنميتها بالخيرات والبركات أو لهما جميعا فإن الخيرين موجودان فيها.

٨ - بزكاء النفس وطهارتها يصير الإنسان بحيث يستحق في الدنيا الأوصاف المحمودة وفي الآخرة الأجر والمثوبة.

٩ - الزكاء والتزكية: أن يتحرى الإنسان ما فيه تطهيره، وذلك ينسب تارة إلى العبد لكونه مكتسباً لذلك نحو: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾ [الأعلى: ١٤]، وتارة ينسب إلى الله تعالى لكونه

---

(١) انظر: لسان العرب لابن منظور، مادة: زكا.

(٢) سورة الكهف: الآية/ ١٩.

فاعلاً لذلك في الحقيقة نحو: ﴿بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ﴾[1]، وتارة إلى النبي (ﷺ) لكونه واسطة في وصول ذلك إليهم نحو: ﴿تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾[2].

١٠ - تزكية الإنسان ضربان:

* **أحدهما:** بالفعل، وهو محمود، وإليه قصد بقوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾[3]، وقوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾[4].

* **والثاني:** بالقول؛ كتزكية العدل غيره وهذا جائز مشروع، أما تزكية الإنسان نفسه فذلك مذموم، وقد نهى الله تعالى عنه، فقال: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾[5] ونهيه عن ذلك تأديب لقبح مدح الإنسان نفسه عقلاً وشرعاً.

وصفوة القول: أن التزكية مصدر زكَّى يزكِّي، وهذا اللفظ أصلاً واشتقاقاً، مجرداً ومزيداً دال على الطهارة والتطهر، والنمو والمدح والثناء؛ لهذا حق للصوفية المربين أن يعدوا التزكية العطرة أساساً لمناهجهم النظرة في توجيه الإنسان فرداً وأسرة وأمة، وقد توجوا بأكاليل المجد الزاهر والنجاح الباهر في تربية أغصانهم وأشجارهم؛ إذ كانت الأقطاب جمعت بين الفقهين: فقه الأرواح وفقه الأبدان. وما أحرانا لو ارتشفنا سلسبيلهم العذب، ونهلنا من موردهم الرحب في إعداد الأمة وتوجيهها.

---

(١) سورة النساء: الآية/ ٤٩.

(٢) سورة التوبة: الآية/ ١٠٣.

(٣) سورة الشمس: الآية/ ٩.

(٤) سورة الأعلى: الآية/ ١٤.

(٥) سورة النجم: الآية/ ٣٢.

النفحة الثالثة

معاني التزكية في القرآن الكريم

﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾[1].

هذا دعاء أبي العرب إبراهيم الخليل عليه السلام. النبي الكريم رجا الله تعالى دعاء وتضرعاً أن يمن على من كانت خير أمة أخرجت للناس، دعا الله تعالى أن يمن عليها بالمنقذ الأعظم النبي الأكرم محمد (ﷺ)، ليرفعها إلى أسمى الارتقاء، مراتب الشهادة على الناس مذ التزموا بآيات الله وتعلموا كتاب الله وسنة رسول الله علماً ونوراً ومنهجاً والتزاماً، فيصل إلى تاج التزكية، إذ اصطفاه لهم وتمناه لهم أبوهم الفضيل إبراهيم الخليل؛ لهذا فإن منهج التزكية السليم امتداد من القرآن الكريم إلى إبراهيم الخليل ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴾[2] فالتزكية منهج الأنبياء أجمعين إلى خاتم الأنبياء والمرسلين، قال السمرقندي: قال مقاتل: استجاب الله دعاه في سورة الجمعة، وهو قوله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾[3][4].

وقال تعالى: ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴾[5].

---

(١) سورة البقرة: الآية/ ١٢٩.

(٢) سورة الأعلى: الآية/ ١٩.

(٣) سورة الجمعة: الآية/ ٢.

(٤) تفسير القرآن العظيم (بحر العلوم)، لأبي الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (ت: ٣٧٥هـ)، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٩٨٥، ط١، تح: الدكتور عبد الرحيم أحمد الذقة، ص٤٨٣.

(٥) سورة البقرة: الآية/ ١٥١.

ومن معاني التزكية، بعد تطهير السرائر ووحدة الظواهر؛ إذ كلما حدث الإصلاح الجمعي الروحاني توحدت الأمة، ورفعت عنها كل غمة؛ لأن نقاء الأرواح يبعد التنافر والاختلاف، ويفضي إلى نشر التآخي والائتلاف؛ ولهذا فإن المخلصين كأنهم أسرة واحدة، وإن كانوا أمة رائدة. فما أحرانا لو اتبعنا منهج التزكية القرآني لننهض نهضة معسكر واحد كما نهض المسلمون بمنهج التزكية الخالد، قال الرازي: "أحدهما: أنه عليه السلام يعلمهم ما تمسكوا به صاروا أزكياء عن الحسن. وثانيها: يزكيهم بالثناء والمدح، أي: يعلم ما أنتم عليه من محاسن الأخلاق فيصفكم به كما يقال إن المزكي زكى الشاهد، أي: وصفه بالزكاء. وثالثها: أن التزكية عبارة عن التنمية، كما يقال يكثركم، كما قال تعالى: ﴿إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ﴾[1]، وذلك بأن يجمعهم على الحق فيتواصلوا فيكثروا[2]".

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[3].

ولأن التزكية نعمة ومنحة لا تعدلها الآلاء كلها فقد جعلها الله تعالى من عقوبات يوم القيامة حيث لا تنفع الملامة، قال تعالى: وَلَا يُزَكِّيهِمْ أي: لا يصلح أعمالهم الخبيثة فيطهرهم، وقال الزجاج: لا يثني عليهم خيرا ولا يسميهم أزكياء. وأَلِيمٌ بمعنى مؤلم، وفي صحيح مسلم، عن أبي هريرة (ﷺ)، قال: قال رسول الله (ﷺ): «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولهم عذاب أليم: شيخ زانٍ، وملك كذاب، وعائل مستكبر[4]»، "وإنما خص هؤلاء بأليم العذاب، وشدة العقوبة لمحض المعاندة والاستحقاق الحاصل لهم من تلك المعاصي، إذ لم يحملهم على ذلك حاجة ولا دعتهم إليه ضرورة"[5]، وقال الرازي:

---

(١) سورة الأعراف: الآية/ ٨٦.

(٢) التفسير الكبير، الفخر الرازي، دار الكتب العلمية، طهران، ط٢، ج٢، ص٣٤.

(٣) سورة البقرة: الآية/ ١٧٤.

(٤) صحيح مسلم، ح: ١٧١، ج١، ص١٠٢.

(٥) الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار الكتاب العربي عن دار الكتب العلمية المصرية، ١٩٦٧، ط٣، ج٢، ص٢٣٥.

"إن علماء الأصول قالوا: العقاب هو المضرة الخالصة المقرونة بالإهانة، فقوله: وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ: إشارة إلى الإهانة والاستخفاف"[1].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[2].

ويبدو لنا من خلال هذا النص القرآني الكريم أن لفظ زكا وزكّى وأزكى غير لفظ التطهر؛ لأن المتعاطفين يقتضيان المغايرة؛ إذ لا يمكن عقلا أن يعطف الشيء على ذاته، وبمقتضى نظرية لا ترادف في القرآن الكريم فإن لفظ الزكاء يختلف عن لفظ الطهارة، والذي أراه أن الطهارة لفظ عام يستعمل في تطهير الظاهر، وأن التزكية تخص تطهير السرائر من وجه، وتخص من وجه آخر عمق النقاء وغور الصفاء الروحاني، ولهذا تستعمل فيما يؤكل من الطيبات التي لا تشوبها شائبة البتة أبداً، وقال الثعالبي: "ذلكم أزكى إلى ترك العضل، وأزكى وأطهر معناه: أطيب للنفس وأطهر للعرض والدين بسبب العلاقات التي تكون بين الأزواج[3]".

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[4].

ما أشد العذاب يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، ويعاقب سقيم القلب بعدم تزكية الله إياه، ويتوج صاحب القلب السليم بتاج التزكية من الرحمن الرحيم؛ لهذا فإن من اعتمد منهج التزكية كان قلبه أعظم القلوب سلامة، ويجازى عن السلامة بالتزكية،

---

(١) تفسير الرازي، ج٢، ص٩١.

(٢) سورة البقرة: الآية/ ٢٣٢.

(٣) تفسير الثعالبي الموسوم بجواهر الإحسان في تفسير القرآن، عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، ج١ ص، ١٧٩.

(٤) سورة آل عمران: الآية/ ٧٧.

قال ابن كثير: "﴿وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾ أي: من الذنوب والأدناس، بل يأمر بهم إلى النار[1]"، وقال الرازي: قوله: وَلَا يُزَكِّيهِمْ، ففيه وجوه:

* **الأول:** لا يطهرهم من دنس ذنوبهم بالمغفرة بل يعاقبهم عليها.

* **الثاني:** لا يزكيهم، أي: لا يثني عليهم كما يثني على أوليائه الأزكياء، والتزكية من المزكي للشاهد مدح منه له. واعلم أن تزكية الله عباده تكون على ألسنة الملائكة كما قال تعالى: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ۝٢٣ سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾[2][3].

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

وما أعظم أسلوب القرآن الكريم، ذو الإعجاز العظيم، إذ بدأ بالتزكية قبل تعليم الكتاب والحكمة؛ لأن التزكية هي التربية الروحية بأزكى صورها، وبأعظم فكرها؛ إذ التزكية تفضي إلى تخلية القلب من أدران الرين والظلال، فلا غلف ولا أقفال، بل التزكية ترفع الحجاب عن القلب ليكون قرطاساً ناصعاً رائعاً ساطعاً يستقبل كتاب الله تعالى وحكمة رسول الله (ﷺ) ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾[4].

جزى الله أعلام التصوف الغر الميامين، إذ وعوا حقيقة التزكية كما يجب، فجعلوها منهجا لهم في التربية كما يجب، قال المفسر الرازي: قولا لا مثيل له في التزكية؛ إذ بها تتكامل الطاقة النظرية الموصلة إلى المعرفة الإلهية، والحق مع الإمام الرازي "رحمه الله"؛ لأن الطاقة الروحية بلا تزكية كمقلة كمقلة عاشية لا ترى الحقيقة بسبب القذى فإذا زال القذى انتشر الشذى، وإليك قول الرازي: "فقوله: ﴿يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ﴾: إشارة إلى كونه مبلغاً لذلك

---

(١) تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي أبو الفداء(ت: ٧٧٤هـ)، أربعة أجزاء، دار الفكر، بيروت، ١٤٠١هـ، ج ١، ص٣٧٦ .

(٢) سورة الرعد: الآية/ ٢٢.

(٣) تفسير الرازي، ج٢، ص٤٨٤.

(٤) سورة النجم: الآيات/ ٣ و٤.

الوحي من عند الله إلى الخلق، وقوله: ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾: إشارة إلى تكميل القوة النظرية بحصول ظاهر المعارف الإلهية، والْكِتَابَ: إشارة إلى معرفة التأويل، وبعبارة أخرى الْكِتَابَ إشارة إلى ظاهر الشريعة، وَالْحِكْمَةَ: إشارة إلى محاسن الشريعة وأسرارها وعللها ومنافعها. ثم بين تعالى ما تكتمل به هذه النعمة، وهو: أنهم كانوا من قبل في ضلال مبين؛ لأن النعمة إذا وردت بعد المحنة كان توقعها أعظم، فإذا كان وجه النعمة العلم والإعلام وروداً عقيب الجهل والذهاب عن الدين كان أعظم ونظيره قوله: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ﴾[1][2]".

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾[3].

ولعظمة أغوار التزكية وآثارها التي توصل المؤمنين إلى عليين فقد اقتضت حكمة الله تعالى أن يصل المؤمن إلى إدراك ما إليه وصل؛ إذ كلما تحقق الأمل ضعف العمل؛ ولهذا فقد ذم الله تعالى قردة الوجود وهم اليهود مذ زعموا أنهم يزكون أنفسهم، وبين الله تعالى أنه هو المزكي ولا مزكي سواه، ولا ولن يصل أحد إلى حقيقة ما وصل إليه من مرتبة التزكية خوفا من نقص العمل بإدراك الأمل، قال المفسر الرازي رحمه الله: "التزكية عبارة عن مدح الإنسان نفسه، ومنه تزكية المعدل للشاهد، قال تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾[4] وذلك، لأن التزكية معلقة بالتقوى، والتقوى صفة في الباطن ولا يعلم صفتها إلا الله فلا جرم ولا تصلح التزكية إلا من الله؛ فلهذا قال تعالى: ﴿بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ﴾. ومن الصوفية قال النيسابوري: "قال بعضهم: ليست الأنفس بمحل للتزكية، فمن استحسن من نفسه شيء فقد أسقط عن باطنه أنوار اليقين"[5].

---

(١) سورة الضحى: الآية/ ٧.

(٢) تفسير الرازي، ج٣، ص٨٩.

(٣) سورة النساء: الآية/ ٤٩.

(٤) سورة النجم: الآية/ ٣٢.

(٥) حقائق التفسير للسلمي، رسالة ماجستير، جامعة القاهرة/ كلية دار العلوم، تحقيق الدكتور سلمان نصيف، رسالة غير منشورة، ج١، ص٢٥١.

وقال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾[1].

المتعاطفان متغايران، تطهرهم طهارة مادية بأخذ الصدقة، وتزكيهم: مبالغة في النقاء الروحي، وشهادة لهم عند الله. وبهذا فإن تنفيذ الأوامر واجتناب النواهي يفضيان إلى الطهر والنقاء الروحاني، قال الرازي: قال تعالى: ﴿وَتُزَكِّيهِم﴾ واعلم أن التزكية مبالغة في التطهير، وقيل: التزكية بمعنى: الإنماء[2]. أما الصوفية، فلهم تفسير يدل على عمق حبهم اللامحدود للرسول (ﷺ)، ومن أحب رسول الله فقد أحب الله، قال المفسر السلمي النيسابوري: "خذ منهم الصدقة فإن أخذك يطهرهم لإعطاء الزكوات، فإن أخذك لمن تأخذ منه طهارة له ولمن بعده إلى آخر من يعطي شيئاً من الزكوات يطهرهم عن دنس الأكوان، وصلواتك تلفتهم إلى الآخرة وتقطعهم عن الدنيا"[3]. وقال المفسر الصوفي ابن عربي: "إذ المال هو سبب ظهور النفس وعلية صفاتها، ومدد قواها، ومادة هواها، كما قال (ﷺ): (المال مادة الشهوات)[4] فينبغي أن يكون أول حالهم التجرد عن الأموال لتكسر قوى النفس، وتضعف أهواؤها وصفاتها فتزكى من الهيئات المظلمة التي فيها، وتتطهر من خبث الذنوب ورجس دواعي الشيطان"[5].

وقال المرحوم سعيد حوى: "التزكية: المبالغة في التطهير والزيادة فيه، ويمكن أن يراد بالتزكية هنا الإنماء والبركة في المال، ويمكن أن يكون المعنى تطهرهم من الإثم وتزكيهم بتحققهم بمكارم الأخلاق"[6].

وقال تعالى: ﴿فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ﴾[7].

قال الزمخشري: "أَزْكَى طَعَاماً": أحل وأطيب[8].

---

(١) سورة التوبة، الآية: ١٠٣. وانظر تفسير الرازي، ج٣، ص ٢٣٣.

(٢) تفسير الرازي، ج٤، ص٤٩٣.

(٣) حقائق التفسير للسلمي، ج٢، ص٤٧.

(٤) لم أقف على وجود هذا الحديث.

(٥) تفسير ابن عربي، ج١، ص٥٠٧.

(٦) الأساس في التفسير، سعيد حوى، دار السلام، ط١، ١٩٨٥، ج٤، ص٢٣٤٧.

(٧) سورة الكهف: الآية/ ١٩.

(٨) تفسير (الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل)، الإمام جاد الله محمود ابن عمر الزمخشري(٥٢٨هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، ج ، ص٧١٠.

وقال تعالى: ﴿قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا﴾[1].

النفس الزكية لأرجح الأقوال كقوله تعالى: ﴿غُلَٰمًا زَكِيًّا﴾، أي: النفس التي لم تقترف ذنباً، قال الطبرسي رحمه الله: ﴿قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ﴾، أي: طاهرة من الذنوب، وزكية: بريئة من الذنوب، وقيل الزاكية: التي لم تذنب، والزكية: التي أذنبت ثم تابت، حكي ذلك عن أبي عمر بن العلا. وقيل الزكية: أشد مبالغة من الزاكية عن تغلب، وقيل: الزاكية في البدن، والزكية في الدين[2].

وقال تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا﴾[3].

الزكي: هو المؤمن الذي لم يقترف ذنبا، قال الطبري: "الغلام الزكي: هو الطاهر من الذنوب، وكذلك تقول العرب: غلام زاك وزكي، وعال وعلي"[4].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ مَن تَزَكَّىٰ﴾[5].

جزاء التزكية: يتجلى مغرياً تطيب به الأفئدة، وتهفو له القلوب، وتتمناه النفوس حيث الدرجات العلا، وجنة عدن السامية العالية، والخلود في النعيم. لمن هذا الربيع المقيم؟ لمن تزكى. فطوبى لمن جعل التزكية له منهجاً، وطوبى لأقطاب التصوف الكرام، إذ يرفلون بذلك الأجر العميم، وينعمون بجنة فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، قال الطبرسي: "التزكي: طلب الزكا بإرادة الطاعة والعمل بها، والزكا: النماء في الخير، ومنه الزكاة؛ لأن المال ينمو به

---

(١) سورة الكهف: الآية/ ٧٤.

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الشيخ أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ١٣٧٩هـ، ج٦، ص٤٨٤.

(٣) سورة مريم: الآية/ ١٩.

(٤) جامع البيان في تفسير القرآن، أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، دار المعرفة، بيروت - لبنان، ج١٦، ص٤٧.

(٥) سورة طه: الآية/ ٧٥ -٧٦.

في العاجل والآجل. وقيل تزكى: تطهر من الذنوب بالطاعة بدلا من تدنيسها بالمعصية"[1].

وعند الصوفية الأعمال الصالحات سبل التزكية؛ إذ النفس كالمرآة كلما صقلت لمعت، قال ابن عربي رحمه الله: "﴿وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا﴾ بالإيمان اليقيني قد عمل الصالحات من الفضائل النفسانية المزكية للنفوس ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ﴾: من جنات الصفات يحسب درجات ترقيهم في الكمالات"[2].

وقال تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[3].

زكّى الواردة في هذه الآية القرآنية الكريمة دالة على شدة النقاء الروحاني، وكأن نقاء التزكية أبلغ من التطهر؛ لأنها وردت بعدي تحدي المؤمن الشيطان والالتزام بحرمة اتباع خطوة من خطواته. وهكذا الزاكي يلتزم التزام الأنبياء فيكرم بتاج التزكية التي هي أعم وأبلغ وأنقى من التطهير، قال ابن حيان رحمه الله: "إن متبع خطوات الشيطان يأمر بالفحشاء وهو أفرط قبحه، والمنكر: ما تنكره العقول السليمة، أي: يصير رأساً في الضلال بحيث يكون آمراً يطيعه أصحابه، ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ﴾ بالتوبة المحضة ما طهر أحد منكم"[4].

وقال الصوفية قولاً حقاً، قال السلمي: "﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ﴾: ولم يقل: ولولا فضل عبادتكم وصلاتكم وقيامكم وجهادكم وحسن قيامكم بأمر الله ما نجا منكم من أحد أبداً؛ ليعلم أن العبادات وإن كثرت فإنها من نتائج الفضل"[5].

وقال تعالى: ﴿وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُوا۟ فَٱرْجِعُوا۟ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ﴾[6].

---

(١) مجمع البيان للطبرسي، ج٧، ص١٩٢.

(٢) تفسير ابن عربي، ج٢، ص٥٢.

(٣) سورة النور: الآية/ ٢١.

(٤) تفسير البحر المحيط، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي الغرناطي(٦٥٤ -٧٥٤هـ)، دار الفكر، ١٩٧٨، ط٢، ج٦، ص٤٣٨.

(٥) حقائق التفسير للسلمي، ج: ٢، ص: ٩١١، رسالة نصيف جاسم، غير منشورة.

(٦) سورة النور: الآية/ ٢٨.

أزكى لكم: أنقى وأحفظ لكرامتكم؛ وبهذا فإن من معاني التزكية: النقاء والكرامة المشوبة بالعزة؛ لأن الذي يدخل دون أن يؤذن له أو دون الاستئناس به فقد أهدر كرامته، وكلما نَقَت التزكية سلمت الكرامة، قال البيضاوي: "الرجوع أطهر لكم عما لا يخلو الإلحاح والوقوف على الباب عنه من الكراهية وترك المروءة، أو أنفع لدينكم ودنياكم"[1].

وقال تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ﴾[2].

ومعنى أزكى: حفظاً لكرامتكم ولشرفكم، قال الصاوي: "قوله: ذَٰلِكَ أَزْكَى، أي: أطهر للأمن من الرذائل والدناءات"[3].

وقال البيضاوي: "لِكَ أَزْكَى لَهُمْ: أنفع لهم، أو أطهر؛ لما فيه من البعد عن الريبة"[4].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾[5].

التزكية لها سلمها لأنها ليست منحة إلهية لغير العاملين، بل هي نعمة ومنحة من المبدع الأسمى جزاءا للعاملين الملتزمين. وقد بينت الآية الكريمة طرق الوصول إليها: خشية الله، إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة. وخشية الله تعالى توجب تنفيذ كافة الأوامر واجتناب كافة النواهي، والتسليم للقدر ثم التضرع والصبر والإخلاص، فإذا ما التزم المؤمن بكل ما أمر الله به وما نهى عنه وزجر عرج إلى التزكية التي لا يعلم سرها إلا الله.

والآية ﴿وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ﴾ تستنبط منها قاعدة كلية في أصول الفقه

---

(١) تفسير البيضاوي، ج٤، ص٧٧.

(٢) سورة النور: الآية/ ٣٠.

(٣) حاشية العلامة الصاوي على الجلالين، أحمد الصاوي المالكي، المكتبة الإسلامية، ج٣، ص١٣٦.

(٤) أنواع التنزيل وأسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، مؤسسة شعبان، بيروت، ج٤، ص٧٧.

(٥) سورة فاطر: الآية/ ١٨.

التربوي، قال الرازي: "﴿وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ﴾: أي فتزكيته لنفسه. ثم قال تعالى: وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ، أي: المتزكي إن لم تظهر فائدته عاجلا فالمصير إلى الله يظهر عنده في يوم اللقاء في دار البقاء"[1].

وعند الصوفية يرفع العمل الصالح بالتزكية والتحلية، قال ابن عربي رحمه الله: "العمل الصالح بالتزكية والتحلية يرفعه، أي: يرفع ذلك الجنس الطيب إلى حضرته دون غيره"[2].

وقال تعالى: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ ۖ فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ﴾[3].

إن في هذا القبس القرآني الوهاج توكيد واستدلال عقلي: أما التوكيد فيخص تحريم الرجل تزكية نفسه، كما ورد في سورة النساء، واستدلال عقلي إذ الباري عز وجل أعلم بالمخلوقات مذ أنشأها من الثرى إلى صيرورتها أجنة إلى مراحل الإنسان من مهده إلى لحده، فمن علم كل هذا علم حقيقة من عرج إلى التزكية ممن حرم منها؛ ولهذا فإن أعلام التصوف وصلوا إلى مرتبة الإحسان (أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك) بجهل الأمل وطول العمل، قال القرطبي رحمه الله: "﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ﴾، أي: فلا تمدحوها ولا تثنوا عليها، فإنه أبعد من الرجاء وأقرب إلى الخشوع. هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ اتَّقَى، أي: أخلص العمل واتقي عقوبة الله. عن الحسن وغيره قال الحسن: قد أعلم الله سبحانه كل نفس ما هي عاملة وما هي صانعة وإلى ما هي صائرة"[4].

وما أبدع تفسير الصوفية وما أعمقه إذ قال السلمي: "قال أبو عثمان: من علم أين هو؟ وإلى أين هو؟ وما هو الوقت؟ علم أنه ليس بمحل للتزكية، ومع هذا مخاطب بقوله تعالى ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ﴾، بماذا تزكى نفسه؟ بأخلاقه أم بأفعاله أم بأقواله أم بأحواله؟ كلا، لكن

---

(١) تفسير الرازي، ج٧، ص٢٧.

(٢) تفسير ابن عربي، ج٢، ص٣١٦.

(٣) سورة النجم: الآية/ ٣٢.

(٤) تفسير القرطبي، ج١٧، ص١١٠.

نفسه هي الأمارة بالسوء إلى جانب منه، أبصر ورأى نقص الرق وذل العبودية"[1].

وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾[2].

قال البيضاوي: "﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾: من خبائث العقائد الأعمال"[3].

وبناء على هذا فإن التزكية تجعل القلب مستعدا قادرا على استقبال علم الكتاب والسنة. قال ابن عباس: "يجعلهم أزكياء القلوب والإيمان"[4].

وقال تعالى: ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ﴾[5].

التزكية في هذه الآية القرآنية الكريمة بتيسير الله تعالى وإرادة الإنسان يستطيع منالها إذا أقبل إلى الله تعالى، قال الزمخشري: "هل ترغب فيه؟ وهل ترغب إليه؟ إلى أَنْ تَزَكَّى: إلى أن تطهر من الشرك"[6].

وقال الرازي: "الزكي: الطاهر من العيوب كلها، قال أقتلت نفساً زكية، وقال: قد أفلح من زكّاها، وهذه الكلمة جامعة لكل ما يدعوه إليه؛ لأن المراد: هل لك إلى أن تفعل ما تصير به زاكياً عن كل ما لا ينبغي، وذلك يجمع كل ما يتصل بالتوحيد والشرائع"[7].

ومن مفكري الصوفية الكرام، قال ابن عطاء: "صل لك أن أطهرك من الجنايات التي تلطخت بها وأدرك إلى حمد العبودية التي بها الفخر والنجاة"[8].

---

(١) حقائق التفسير، ج١، ص١٣٦.

(٢) سورة الجمعة: الآية/ ٢.

(٣) تفسير البيضاوي، ج٥، ص١٣٢.

(٤) تفسير القرطبي، ج١٨، ص٩٢.

(٥) سورة النازعات: الآيات/ ١٧ و١٨.

(٦) تفسير الكشاف، ج٤، ص٦٩٥.

(٧) تفسير الرازي، ج٨، ص٣٤٧.

(٨) حقائق التفسير للسلمي النيسابوري، ج١، ص١٥١٣.

وقال تعالى: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ﴾[1].

يزكى: بمعنى التزكية، تحصل بتيسير الله ثم بإرادة الإنسان، قال الرازي رحمه الله: "لعل ذلك العلم الذي يتلقفه عنك يظهره عن بعض ما لا ينبض وهو الجهل والمعصية ويشغله ببعض ما ينبغي وهو الطاعة"[2].

وقال تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ ۝١ أَن جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ ۝٣ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَىٰ ۝٤ أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُ تَصَدَّىٰ ۝٦ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ﴾[3].

التزكية عند الصوفية سر في القلب لا يعرفه إلا الرب، قد لا تدل عليه الظاهر بل هو من أسرار السرائر، والتزكية عندهم كؤوس الهنا لا يختص بها الفقر والغنا، قال ابن عربي: "يجب أن يكون نظرك مقصوراً على الاستعداد، وقبول الإيمان فاعتبر ذلك دون غيره، ولا تحتجب بالظاهر عن الباطن، عسى أن يكون الفقير المتلهى عنه عاملاً بالتزكية والتحلية، بالغاً حد الكمال، فيصير مهدياً هادياً لغيره، والغني المتصدى له لم يؤمن لعدم استعداده أو لاستكباره وعناده"[4].

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ۝١٣ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝١٤ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ﴾[5].

سر الفلاح وتاج النجاح من سلك منهج التزكية، وما أدراك ما هو قانون القرآن الخالد، بيد كل مؤمن الوصول إليه، ولكن لا أمل إلا بعمل. فجزى الله أقطاب التصوف العظماء إذ اتبعوا التزكية منهجاً والاستقامة نوراً.

قال الزمخشري: تَزَكَّى: تطهر من الشرك والمعاصي، أو تطهر للصلاة، أو تكثّر من التقوى، من الزكاء وهو النماء، أو تفعل من الزكاة كتصدق من الصدقة"[6].

---

(١) سورة عبس: الآية/ ٣.

(٢) تفسير الرازي، ج٨، ص٣٥٧.

(٣) سورة عبس: الآيات/ ١ -٧.

(٤) تفسير القرآن لابن عربي، ج٢، ص٧٦٨.

(٥) سورة الأعلى: الآيات/ ١٣ -١٥.

(٦) تفسير الكشاف، الزمخشري، ج٤، ص٧٤.

قال الرازي: "أكمل أنواع التزكية هو تزكية القلب عن ظلمة الكفر". وقال: "﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾ ليس المراد منه زكاة المال بل زكاة الأعمال، أي: من تطهر في أعماله من الرياء، والتطهير؛ لأن اللفظ المعتاد في المال زكا، ولا يقال تزكّى، قال تعالى: وَمَنْ تَزَكَّى فَإِنَّما يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ"[1].

ومن أقطاب الصوفية، قال المفسر ابن عربي رحمه الله: "أي: فاز وظفر من تطهر عن صفات نفسه وظلمات بدنه بعد حصول استعداداته وذكر اسم ربه"[2].

وقال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾[3].

هذه الآيات القرآنية يستنبط منها أخطر قوانين علم النفس، بمعنى أن الباري عز وجل أبدع النفس الإنسانية مذ سواها قابلة على استعداد الميل نحو الخير ونحو الشر، وبعمل صاحبها مختاراً لا مكرها يمكن أن ينال سر الفلاح الدنيوي والأخروي باصطفاء التزكية منهجاً ونوراً يهتدي به، وبهذا فإن إصلاح النفوس وتغيرها ممكن، إذ لو اغتسل الإنسان الضال من رجس القذارة يمكن أن يفلح ويعود مستقيماً إذا اصطفى منهج التزكية بعد التوبة والإنابة والطهارة، قال الرازي: "قد أدرك مطلوبه من زكى نفسه بأن طهرها من الذنوب بفعل الطاعة ومجانبة المعصية"[4].

ومن الصوفية، قال ابن عربي: "قد أفلح بالوصول إلى الكمال بلوغ الفطرة الأولى من زكاها وطهرها، وقد خاب من دساها وأخفاها في تراب عن نور الحق ورحمته"[5].

وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ﴾[6].

---

(١) تفسير الرازي، ج٨، ص٤١٣.

(٢) تفسير القرآن الكريم لابن عربي، ج٢، ص٧٩٨.

(٣) سورة الشمس: الآيات/ ٧-١٠.

(٤) تفسير الرازي، ج٨، ص٤٣٨.

(٥) تفسير ابن عربي، ج٢، ص٨١٣.

(٦) سورة الليل: الآية/ ١٨.

هذه الآية القرآنية الكريمة تدل على أن زكّي فقد تزكى، أي: تنفيذ الأوامر سلم الوصول إلى منهج التزكية المقدس، قال القشيري: "يعطي الزكاة المفروضة، ويقال تطهر من الذنوب"[1].

(١) تفسير القشيري(لطائف الإشارات)، أبي القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري النيسابوري الشافعي(ت: ٤٦٥هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط١، ٢٠٠٠م، ج٣، ص٤٢٧ -٤٢٨.

النفحة الرابعة

معاني التزكية في السنة النبوية المشرفة

١ - أخرج الإمام البخاري من طريق أبي هريرة، قال رسول الله (ﷺ): (ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ رَجُلٌ عَلَى فَضْلِ مَاءٍ بِالطَّرِيقِ يَمْنَعُ مِنْهُ ابْنَ السَّبِيلِ وَرَجُلٌ بَايَعَ إِمَاماً لَا يُبَايِعُهُ إلا لِدُنْيَاهُ إِنْ أَعْطَاهُ مَا يُرِيدُ وَفَى لَهُ وَإِلَّا لَمْ يَفِ لَهُ وَرَجُلٌ يُبَايِعُ رَجُلاً بِسِلْعَةٍ بَعْدَ الْعَصْرِ فَحَلَفَ بِاللَّهِ لَقَدْ أُعْطِيَ بِهَا كَذَا وَكَذَا فَصَدَّقَهُ فَأَخَذَهَا وَلَمْ يُعْطَ بِهَا)[1] رواه البخاري ومسلم والنسائي وأبو داود وابن ماجة وأحمد.

ما أعظم المصطفى الأكرم، المنقذ الأعظم (ﷺ) كيف يربي ويزكي المجتمع الإسلامي؛ إذ جعل عقوبة الحرمان من التزكية، هذه العقوبة الحامية، بحق من منع ابن السبيل من الماء الذي جعله الله تعالى مباحاً كالهواء لمن يشاء؛ إذ الناس شركاء في الماء والكلأ والنار، وبحق من خان وليَّ الأمر المؤمن، وبحق من دنس التجارة بالكذب، هؤلاء الثلاث يحرمون من التزكية.

والتزكية هي المنهج الأكمل في المجتمع الإسلامي الأمثل، فلله در أقطاب التصوف، إذ يربون المريدين على التزكية الفضلى. ولو التزمنا منهج التزكية الأفضل لأوصدت المحاكم أبوابها؛ إذ يعرف كل مؤمن بالتزكية ماله وما عليه، قال العسقلاني: "قال ابن بطال: فيه دلالة على أن صاحب البئر أولى من ابن السبيل عند الحاجة، فإذا أخذ حاجته لم يَجُز له منع ابن السبيل"[2].

٢ - روى ابن ماجة عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ): (يَا ابْنَ آدَمَ اثْنَتَانِ لَمْ تَكُنْ لَكَ وَاحِدَةٌ مِنْهُمَا، جَعَلْتُ لَكَ نَصِيباً مِنْ مَالِكَ حِينَ أَخَذْتُ بِكَظَمِكَ لِأُطَهِّرَكَ بِهِ وَأُزَكِّيَكَ،

---

(١) صحيح البخاري، ك: الأحكام، ح: ٦٦٧٢، صحيح مسلم، ك: الإيمان، ح: ١٥٧، سنن النسائي، ك: البيوع، ح: ٤٣٨٦، الترمذي، ك: السير، ح: ١٥٢١، أبو داود، ك: البيوع، ح: ٣٠١٤، ابن ماجة، ك: التجارات وك: الجهاد، ح: ٢١٩٨، ٢٨٦١، ومسند أحمد، باقي مسند المكثرين، ح: ٩٨٣٦. [الترقيم المعتمد: ترقيم العالمية].

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار المعرفة، بيروت - لبنان، ج٥، ٣٤.

وَصَلَاةُ عِبَادِي عَلَيْكَ بَعْدَ انْقِضَاءِ أَجَلِكَ[1].

يستنبط من هذا الحديث أن المصائب التي تحل بالنفوس أو الأموال تزكية للأعمال؛ ولهذا وجب الشكر على القضاء مهما اشتد البلاء طمعا في التزكية.

٣ - روى البخاري عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي خَارِجَةُ بْنُ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ أَنَّ أُمَّ الْعَلَاءِ، امْرَأَةً مِنَ الْأَنْصَارِ، بَايَعَتِ النَّبِيَّ (ﷺ)، أَخْبَرَتْهُ أَنَّهُ اقْتُسِمَ الْمُهَاجِرُونَ قُرْعَةً، فَطَارَ لَنَا عُثْمَانُ بْنُ مَظْعُونٍ، فَأَنْزَلْنَاهُ فِي أَبْيَاتِنَا فَوَجِعَ وَجَعَهُ الَّذِي تُوُفِّيَ فِيهِ. فَلَمَّا تُوُفِّيَ وَغُسِّلَ وَكُفِّنَ فِي أَثْوَابِهِ دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ)، فَقُلْتُ: رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْكَ أَبَا السَّائِبِ، فَشَهَادَتِي عَلَيْكَ لَقَدْ أَكْرَمَكَ اللَّهُ. فَقَالَ النَّبِيُّ (ﷺ): (وَمَا يُدْرِيكِ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَكْرَمَهُ؟) فَقُلْتُ: بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَمَنْ يُكْرِمُهُ اللَّهُ؟ فَقَالَ: (أَمَّا هُوَ فَقَدْ جَاءَهُ الْيَقِينُ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأَرْجُو لَهُ الْخَيْرَ، وَاللَّهِ مَا أَدْرِي وَأَنَا رَسُولُ اللَّهِ مَا يُفْعَلُ بِي). قَالَتْ: فَوَاللَّهِ لَا أُزَكِّي أَحَداً بَعْدَهُ أَبَداً[2].

والحكم المستنبط: أن لا يحتم أحد على الله، وأن الآخرة غيب يدركه إلا الله، ومتى ما أغتر المؤمن بالأعمال فد انقطعت عنه الآمال.

٤ - والتزكية منحة الله تعالى، وسر القلوب لا يعلمه إلا علام الغيوب؛ لهذا وجب على المؤمن أن يتخلى عن العجب والغرور، فمن ظن بأنه وصل فقد فشل، حيث أن التزكية منحة إلهية، يتمتع بها صاحبها يوم القيامة إذا أفلح وفاز في محكمة العدل الإلهية الكبرى، وهذا التاج لا يرتديه المؤمن إلا إذا نشأ على هدى واستقامة ومات على الاستقامة أيضاً. فلقد منع الرحمةُ المهداة أن يزكي مؤمنٌ مؤمناً على الله تعالى؛ لأن سر القلوب لا يدركه إلا علام الغيوب.

روى ابن ماجة عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: مَدَحَ رَجُلٌ رَجُلاً عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ)، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ): (وَيْحَكَ قَطَعْتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ، مِرَاراً، ثُمَّ قَالَ: إِنْ كَانَ أَحَدُكُمْ

---

(١) أخرجه ابن ماجة، سنن ابن ماجة، محمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني (٢٠٧ -٢٧٥هـ)، جزءان، دار الفكر، بيروت، مح: محمد فؤاد عبد الباقي، ك: الوصايا، ح: ٢٧٠١، ج٢، ص٩٠٤.

(٢) صحيح البخاري، ك: الجنائز وك: التعبير، ح: ١١٦٦ و ٦٤٧٨، وأخرجه أحمد، مسند الإمام أحمد، مسند القبائل، ح: ٢٦١٨٨. وانظر: صحيح البخاري مع فتح الباري، ج٣، ص١١٤.

مَادِحاً أَخَاهُ فَلْيَقُلْ أَحْسِبُهُ وَلَا أُزَكِّي عَلَى اللَّهِ أَحَداً)[1].

٥ - ومن معاني التزكية أنها تزكي الأعمال كما تطهر الصدقة الأموال، وقد ثبت هذا من دعاء مأثور عن الرسول (ﷺ)، أخرجه الإمام الترمذي من طريق ابن عباس، قال: سَمِعْتُ نَبِيَّ اللَّهِ (ﷺ)، يَقُولُ لَيْلَةً حِينَ فَرَغَ مِنْ صَلَاتِهِ: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِكَ تَهْدِي بِهَا قَلْبِي وَتَجْمَعُ بِهَا أَمْرِي وَتَلُمُّ بِهَا شَعَثِي وَتُصْلِحُ بِهَا غَائِبِي وَتَرْفَعُ بِهَا شَاهِدِي وَتُزَكِّي بِهَا عَمَلِي وَتُلْهِمُنِي بِهَا رُشْدِي وَتَرُدُّ بِهَا أُلْفَتِي وَتَعْصِمُنِي بِهَا مِنْ كُلِّ سُوءٍ....إلى آخر الحديث[2]) قَالَ أبو عِيسَى الترمذي:... وَقَدْ رَوَى شُعْبَةُ وَسُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ عَنْ سَلَمَةَ بْنِ كُهَيْلٍ عَنْ كُرَيْبٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنِ النَّبِيِّ (ﷺ) بَعْضَ هَذَا الْحَدِيثِ وَلَمْ يَذْكُرْهُ بِطُولِهِ.

٦ - إن التصدق بالذهب يفضي إلى تطهير الأموال، سواء أكان بالصدقة الجبرية أم التطوعية، فكيف تزكى الأعمال؟ تزكية أعمال المؤمنين تتجلى بالصبر على الخطوب؛ لأن الصبر أزكى دليل على حب المخلوق للخالق الجليل. والرحمة المهداة بأحاديثه التي تستنبط منها معجزاته الحسية أمر بالصبر على أشد البلاء حينما سيحدث الطاعون القاتل تزكية لأعمال المبتلين به. فما أحرانا لو اتبعنا منهج التزكية فنكون من الصابرين مهما اشتدت علينا دنيانا.

وإليك نص الحديث الذي أخرجه الإمام المبجل أحمد بن حنبل، من طريق معاذ بن جبل، قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) يَقُولُ: (سَتُهَاجِرُونَ إِلى الشَّامِ فَيُفْتَحُ لَكُمْ وَيَكُونُ فِيكُمْ دَاءٌ كَالدُّمَّلِ أو كَالْحَرَّةِ يَأْخُذُ بِمَرَاقِ الرَّجُلِ يَسْتَشْهِدُ اللَّهُ بِهِ أَنْفُسَهُمْ وَيُزَكِّي بِهَا أَعْمَالَهُمْ). اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ سَمِعَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) فَأَعْطِهِ هُوَ وَأَهْلَ بَيْتِهِ الْحَظَّ الْأَوْفَرَ مِنْهُ. فَأَصَابَهُمُ الطَّاعُونُ فَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ أَحَدٌ. فَطُعِنَ فِي أُصْبُعِهِ السَّبَّابَةِ، فَكَانَ يَقُولُ: مَا يَسُرُّنِي أَنَّ لِي بِهَا حُمْرَ النَّعَمِ[3].

(١) أخرجه ابن ماجة، ك: الأدب، ح: ٣٧٣٤. وأخرجه البخاري، ك: الشهادات، ك: الأدب، ح: ٢٤٦٨، ٥٦٩٦، ومسلم في صحيحة، ك: الزهد والرقائق، ح: ٥٣١٩، ٥٣٢٠، وأحمد في مسنده، مسند البصريين، ح: ١٩٥٢٦. وانظر فتح الباري، ج١، ص٤٧٦.

(٢) صحيح الترمذي، ك: الدعوات، ح: ٣٣٤١.

(٣) مسند الإمام أحمد، مسند الأنصار، ح: ٢١٠٧٤.

النفحة الخامسة

معاني التزكية عند الصوفية

قلنا من قبل أنَّ التزكية من معانيها: المدح والثناء. وقد لاحظت أنَّ المفكر العبقري الصوفي ابن عربي يشير إلى المدح لغاية الأدب، إذ يقول: "ليس مدح العبد أن يتصف بأوصاف سيده فإنه سوء أدب، وللسيد أن يتصف بأوصاف عبده تواضعاً؛ فللسيد النزول؛ لأنه لا يحكم عليه، فنزوله إلى أوصاف عبده تفضل منه على عبده حتى يبسطه. فإن جلال السيد أعظم في قلب العبد من أن يدل عليه لولا تنزله إليه، وليس للعبد أن يتصف بأوصاف سيده لا في حضرته ولا عند إخوانه من العبيد وإن ولاه عليهم، كما قال عليه السلام: (أنا سيد ولد آدم ولا فخر[1])[2]. هكذا يتجلى المنهج الصوفي في الفرار من المدح والثناء لأنه لله دون سواه.

ومن المعاني الموصلة إلى التزكية، ما اشترطه المفكر ابن عربي على المريد؛ لقد ألزمه بشروط كثيرة، لا يتسع بحثنا في تفصيلها، منها: الموصل إلى التزكية إلا وهو الصمت، وفي هذا قال رحمه الله: "أعني بالصمت: ترك كلام الناس والاشتغال بذكر القلب ونطق النفس عن نطق اللسان إلا فيما أوجب الله عليه مثل قراءة أم القرآن أو ما تيسر من القرآن في الصلاة، والتكبير فيها، وما شرع من التسبيح والأذكار والدعاء والتشهد والصلاة على رسول الله (ﷺ) إلى أن تسلم منها فتفرغ لذكر القلب بصمت اللسان"[3].

ثم أبدع ابن عربي غاية الإبداع إذ جعل سلم التزكية تنفيذ الأوامر واجتناب النواهي، وهذا أزكى دفاع عن الفكر الصوفي؛ إذ ما اتهمه بعض الجهال أو السذج بما ليس فيه البتة

---

(١) أخرجه الإمام أحمد عن أَبِي سَعِيدٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ): (أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ، وَأَنَا أَوَّلُ شَافِعٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ)، مسند الإمام أحمد، باقي مسند المكثرين، ح: ١٠٥٦٤.

(٢) الفتوحات المكية، أبو بكر محيي الدين محمد بن علي بن محمد المعروف بابن عربي(ت: ٦٣٨هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ج١، ص٢٦٤.

(٣) المصدر السابق، ج١، ص٢٦٤.

أبداً، وإليك نص ابن عربي لتحكم كما حكمت للفكر الصوفي على العاجزين عن إدراك معانيه، قال ابن عربي، أعلى الله مقامه: "تعلمت هذه الطائفة (أي: الصوفية) في تحصيل شيء مما وردت به الأخبار الإلهية من جانب الحق، وشرعت في صقالة قلوبها بالأذكار وتلاوة القرآن، وتفريغ المحل من النظر في الممكنات، والحضور والمراقبة مع طهارة الظاهر بالوقوف عند الحدود المشروعة من غض البصر عن الأمور التي تهيئ إن نظر إليها من العورات وغيرها، وإرساله في الأشياء التي تعطه الاعتبار والاستبصار، وكذلك في سمعه ولسانه ويده ورجله وبطنه وفرجه وقلبه وما ثم في ظاهره سوى هذه السبعة والقلب ثامنها، ويزيل التفكر عن نفسه جملة واحدة فإنه مفرّق لهمته، ويعتكف على مراقبة قلبه عند باب ربه عسى الله أن يفتح له الباب إليه"[1].

ولم يختلف الإمام القشيري مع الإمام ابن عربي، أعلى الله مقامهم، لأن كلاً منهما جعل الالتزام بالأصول سلم الوصول، وإذا زكي القلب رضي الرب، قال تعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾[2] وقد أمر القشيري المريد بأوامر تحت عنوان: "مصادر المنهج الصوفي" وحسبي أن استشهد بجانب من وصية القشيري للمريدين، قال: "ينبغي أن يكون المريد على الصدق، ليصح له البناء على أصل صحيح، فإن الشيوخ قالوا: إنما حرموا الوصول لتضييعهم الأصول"[3].

قالوا: إنما حرموا الوصول لتضييعهم الأصول، كذلك سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق يقول: "تجب البداية بتصحيح الاعتقاد بينه وبين الله تعالى، صاف عن الظنون والشبه، خال من الظلال والبدع، صادر عن البراهين والحجج"[4].

ولا يمكن للسالك أن يرتفع إلى مرتبة الولاية ما لم يكن زاكياً القلب بالصدق والإخلاص،

---

(١) الفتوحات المكية لابن عربي، ج١، ص٦١٣.

(٢) سورة الليل: الآيات/ ١٧ -٢١.

(٣) الرسالة القشيرية، ص٢٧٨.

(٤) الرسالة القشيرية للقشيري، ص٣٧٨.

وفي هذا، قال سهل بن عبد الله: "من زهد في الدنيا أربعين يوماً، صادقاً من قلبه، مخلصاً في ذلك، ظهرت له الكرامات، ومن لم تظهر له فلعدم الصدق في زهده"[1].

وقد تجلت التزكية بصورة تعد خير منهج تربوي بل التزكية هي التربية في الفكر الصوفي. انظر ما قالوا عن التزكية للأعضاء والحواس.

قال الشيخ عبد الرحمن الصفودي:

١- قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾[2]. قال الغزالي: "ضرر الكلام الذي يقع في الأذن أشد من ضرر الطعام الذي في البطن فإن الإنسان يتغوطه والكلام قد يبقى جميع العمر، والمستمع شريك المتكلم".

٢- لما مات حبيب العجمي (رحمه الله) رآه بعض أصحابه في المنام ووجهه كالقمر وفيه نكتة سوداء، فسأله عن ذلك، فقال: نظرت إلى غلام نظرة فعرضت على النار فأصابني منها ذلك، وقيل: يا حبيب لفحة بنظرة ولو زدت لزدناك.

٣- قال بعض الصالحين: "رأيت رجلاً في الطواف وهو يقول: اللهم إني أعوذ بك من سهم عابر، فسألته عن ذلك، فقال: كنت طائفاً فنظرت بعيني الواحدة إلى غلام حسن الوجه فأصابني سهم من الهواء فأخرجته من عيني، فرأيت عليه مكتوباً: نظرت إلى الحرام بعينك الواحدة للعبرة فرميناك بسهم الأدب ولو نظرت بعين الشهوة لرميناك بسهم القطيعة على قلبك حتى تذكر معرفتنا، والطائر هو الذي لا يعلم راميه.

٤- قال النبي (ﷺ): (لَا تُكْثِرُوا الْكَلَامَ بِغَيْرِ ذِكْرِ اللَّهِ فَإِنَّ كَثْرَةَ الْكَلَامِ بِغَيْرِ ذِكْرِ اللَّهِ قَسْوَةٌ لِلْقَلْبِ، وَإِنَّ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنَ اللَّهِ الْقَلْبُ الْقَاسِي[3]). وقال داود عليه السلام: يا رب من حزبك الذين هم حول عرشك؟ قال: يا داود، الغاضة أبصارهم، النقية قلوبهم، السليمة أكفهم، أولئك حزبي وحول عرشي"[4].

---

(١) الرسالة القشيرية، طبعة بغداد، ص٣٥٦.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٣٦.

(٣) أخرجه الترمذي عن ابن عمر، ك: الزهد، ح: ٢٣٣٥.

(٤) نزهة المجالس منتخب النفائس، العلامة الشيخ عبد الرحمن الصفوري الشافعي، مكتبة الشرق الجديد، بغداد، ج١، ص١٣٨ -١٣٩.

النفحة السادسة

مبادئ التزكية عند الصوفية

١) المبدأ التربوي:

التزكية عند الصوفية هي التربية ذاتها، وما أحوجنا إلى منهج الصوفية التربوي المتكامل الشامل على كل أوامر ونواهي الشريعة الإسلامية، فقد ربت أم القطب الكيلاني ولدها الزاهر الشيخ عبد القادر قدس الله سره تربية جعلت التزكية في قلبه تزكية ذاتية فطرية. وما أحرانا لو زكينا أولادنا كتزكية تلك الأم المرشدة المتبتلة.

وإليك أنموذج من المبدأ التربوي الناجح، قال الصفوري: "قال الشيخ عبد القادر الكيلاني (ﷺ): بنيت أمري على الصدق؛ وذلك أني خرجت من مكة إلى بغداد أطلب العلم، فأعطتني أمي أربعين ديناراً، وعاهدتني على الصدق، فلما وصلنا أرض همدان خرج علينا عرب، فأخذوا القافلة، فمر واحد منهم، وقال: ما معك؟ قلت: أربعين ديناراً. فظن أني أهزأ به فتركني. فرآني آخر، فقال: ما معك؟ فأخبرته. فأخذني إلى كبيرهم، فسألني فأخبرته، فقال ما حملك على الصدق؟ قلت: عاهدتني أمي على الصدق فأخاف أن أخون عهدها، فصاح ومزق ثيابه، وقال: أنت تخاف أن تخون عهد أمك وأنا لا أخاف أن أخون عهد الله؟ ثم أمر برد ما أخذوه من القافلة، وقال: أنا تائب لله على يديك"[1].

٢) مبدأ الحمد والشكر على الستر:

هذا مبدأ عظيم يجعل فضل الله تعالى ليس نابعاً من عمل الإنسان، بل هو من تيسير الرحمن بهدايته وستره للإنسان. وهذا المبدأ يهشم هام الكبرياء والعجب ويجعل الإنسان مهما بلغ متواضعاً له تعالى، ومن يتواضع في الله رفعه الله تعالى.

قال ابن عجينة الحسيني: "إذا ستر الحق تعالى مساويك وذنوبك ثم توجه الناس إليك بالتعظيم والمجد والتكريم فاعرف منَّةُ الله عليك، وانظر من الممدوح في الحقيقة، هل أنت؟

---

(١) نزهة المجالس، ص١٤٢.

أو من ستر مساوئك؟ كما أبان ذلك بقوله: "من أكرمك فإنما أكرم فيك جميل سترهن فالحمد لمن سترك، وليس الحمد لمن أكرمك وشكرك"[1].

٣) مبدأ توجيه الشيخ المريد بطريق التزكية:

هذا مبدأ جليل الخطر، عظيم الأثر، يعتمد التزكية طريق الوصول إلى التأسي بالقدوة المثلى، وبالطريقة الفضلى، طريقة الإقتداء بالرسول (ﷺ) ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾.

قال ابن عجينة الحسيني: "إن الشيخ يسلك بالمريد طريق الإقتداء برسول الله (ﷺ)، ومن صح اقتداؤه واتباعه أحبه الله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾[2] ووجه كونه يحبب الله تعالى إلى عباده؛ لأنه يسلك بالمريد طريقة التزكية، وإذا تزكت النفس انجلت مرآة القلب، وانعكس فيها نور العظمة الإلهية، ولاح فيها جمال التوحيد، وذلك ميراث التزكية، قال تعالى ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾[3]، وفلاحها بالظفر بمعرفة الله، وأيضاً مرآة القلب إذا انجلت لاحت فيها الدنيا بقبحها وحقيقتها وماهيتها، ولاحت الآخرة بكنهها وغايتها بنفاستها، فينكشف للبصيرة حقيقة وحاصل المنزلين، فيمن العبد الباقي ويزهد في الفاني فتظهر فائدة التزكية، وجدوى المشيخة والتربية؛ فالشيخ من جنود الله تعالى، يرشد المريدين، ويهدي به الطالبين"[4].

٤) مبدأ جليس السوء بزعمه تزكية نفسه:

لقد جعل ابن عطاء أعلى الله مقامه، معرفة العلماء بأجهل الجهلاء إذا ادعى الوصول إلى قمة المجد الروحاني وإلى قمة السمو الوجداني؛ بادعائه تتويجه بمبدأ التزكية، تاج مبدع الأرض والسماء لأصحاب الكرامة الأصلاء؛ لأن ادعاء الوصول زعم يخالف الأصول. وقد جعل لجليس السوء صفات ثلاث إليك نصها:

---

(١) إيقاظ الهمم وشرح الحكم والفتوحات الإلهية في شرح المباحث الأصلية، أحمد بن محمد بن عجينة الحسيني، ملتزم الطبع والنشر عبد الحميد أحمد حنفي، ط١، ج١، ص١٥.

(٢) سورة آل عمران: الآية/ ٣١.

(٣) سورة الشمس: الآية/ ١٠.

(٤) الفتوحات الإلهية في شرح المباحث الأصلية، ابن عجينة الحسيني، ج٢، ص٧.

قال الشيخ زروق (ﷺ): "الجليس السوء هو الذي يجمع ثلاث خصال:

* **الأولى:** الرضا عن نفسه بحيث يرى له حقا على الناس، ويرى الناس كلهم دونه. وهذه صفة الجبابرة الغافلين.

* **الثانية:** الاسترسال في الغيبة، وتزكية النفس، وتعظيم ذنب الغير، واحتقار ذنب نفسه، فلا يقبل عثرة، ولا يغفر زلة. وهذه صفة القراء المداهنين.

* **الثالثة:** وجود الدعاوى والطمع وحب الرياسة والبدع. وهذه صفة المتصوفة الجاهلين"[1].

٥) مبدأ وجوب نبذ المزكين:

هذا المبدأ يخص الرجل الحي إذا زكاه واحد مباشرة يجب أن يأنف منه لأن هذا يفضي إلى العجب والكبر. والتواضع من الرحمن بينما الكبر من الشيطان، هما نقيضان لا يجتمعان في قلب صاحب العلم والإيمان، قال الحسيني رحمه الله، في شرح حكم ابن عطاء: "قال يحيى بن معاذ (ﷺ): عن تزكية الأشرار مهجته لك وحبهم لك عيب عليك. وقيل لبعض الحكماء: إن العامة يثنون عليك فأظهر الوحشة من ذلك، فقال: لعلهم رأوا مني شيئا أعجبهم، ولا خير في شيء يعجبهم ويسوؤني"[2].

٦) مبدأ التفتيش عن أسباب التزكية:

هذا المبدأ قال به الإمام عبد الوهاب الشعراني رحمه الله، ليمتحن الشيخ المريد إذا زكاه، فإن لم يجد في نفسه تزكية رده عليه، وفي هذا قال (ﷺ): "كان سيدي إبراهيم الدسوقي (ﷺ)، يقول: من شأن المريد الصادق أن لا يلتفت بقلبه إلى تزكية الناس له، بل الواجب عليه أن يفتش نفسه عن كل شيء زكاه الناس به"[3].

---

(١) الفتوحات الإلهية في شرح المباحث الأصلية، ج٢، ص٢٢.

(٢) إيقاظ الهمم وشرح الحكم، ج٢، ص ٣٢.

(٣) الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية، عبد الوهاب الشعراني، دار إحياء التراث العربي، بغداد - العراق ج١، ص١٠١.

٧) مبدأ الوصول إلى النفس الزكية بتجرد النفس عن الردية:

هذا المبدأ بالغ قمة السدادة والرجحان في تربية الإنسان، إذ التربية إذا آمن المربي بالمبادئ المقدسة استطاع أن ينشئ نفسه نشأة جِبِلِّيَّة فطرية لا بالتحلية بل بالتخلية؛ إذ القلب كالقرطاس من أراد أن يكتب محا وإلا فلا.

قال الشعراني رحمه الله: "أقتل أيها المريد نفسك بالتجرد عن صفاتها الردية، يبدلك الله تعالى مكانها نفسا زكية، ثم إن جملت، كذلك، هذه النفس الزكية بالتجرد عن الدعاوي الغوية فهي خير زكاة وأقرب رحما"[(١)].

٨) مبدأ الرضا عن نفس الإنسان بسبب الغفلة والنسيان:

هذا المبدأ الروحاني ترنم به ابن عطاء، وأبدع شرحه الشيخ زروق، جاعلا تزكية الإنسان في نفسه سبب التمرد على الله تعالى. وفي هذا قال رحمه الله تعالى: "أصل كل معصية وشهوة وغفلة: الرضا عن النفس، قلت: المعصية: مخالفة أمر الله الواجب، والشهوة: الاسترسال مع النفس في طلب المستلذات، والغفلة: إهمال الحقوق المندوبة والواجبة بالاسترسال مع دواعي الهوى. والرضا عن النفس علاماته ثلاث: رؤية الحق لنفسه، والشفقة عليها، والإغضاء عن عيوبها بتزكيتها من حيث أنه يرى قبيحها حسنا بالتأويل؛ لأنه يعلم العيب ثم يغض عنه وإن كان نوعا منه"[(٢)].

٩) مبدأ كمال الإيمان بتزكية الجنان:

هذا المبدأ استوحيته من شذرات الإمام الغزالي رحمه الله وجعل الجنة مأواه، إذ قال: "قال الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾[(٣)]، وقال: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾[(٤)]، والتزكية: هي التطهير،

---

(١) الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية، ج١، ص١١٨.

(٢) حكم ابن عطاء، شرح العارف الشيخ أحمد بن أحمد بن محمد الفاسي المعروف بزروق، مطبعة دار الشعب - القاهرة، ١٩٨٥م، تح: الإمام محمود عبد الحليم، والدكتور محمد زين الشريف، ص٦٩.

(٣) سورة الأعلى: الآية/ ١٤.

(٤) سورة الشمس: الآية/ ٩.

وقال رسول الله (ﷺ): (الطهور شطر الإيمان[1]) فافهم منه أن كمال الإيمان بتزكية القلب عما لا يحبه الله عز وجل، وتحليته بما يحبه الله؛ فالتزكية شطر الإيمان. وكيف يشتغل بالطهارة من لا يعرف النجاسة؟"[2].

١٠) مبدأ المجاهدة للوصول إلى التزكية:

عد كثير من الصوفية الكرام التزكية فرض عين، ولا ينال المؤمن هذا الفرض المبارك بالدعاء ولا بالتمني، بل يتوج المؤمن بالتزكية بعد الجهاد الأكبر؛ مجاهدة الهوى حتى تذعن النفس لتنفيذ الأوامر واجتناب النواهي والإيمان بالقدر حتى يستقبله المؤمن كما يستقبل القمر؛ إذ كلما شع عن المحبوب مهما كان محبوباً.

قال الشيخ عبد القادر عيسى: "تزكية النفس فرض عين، ولا تتم إلا بالمجاهدة، ومن هنا كانت المجاهدة فرض عين من باب ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب"[3].

وقال الشيخ عبد الغني النابلسي رحمه الله: "المجاهدة في النفس عبادة، ولا تحصل لأحد إلا بالعلم، وهي فرض عين على كل مكلف"[4].

١١) مبدأ حرمة مدح النفس إذا قصد به العجب والكبرياء:

قال فضيلة الشيخ عبد الغني النابلسي: "أن يكون ذلك المدح لنفسه، أي: المادح بأن يمدح الإنسان نفسه؛ لأن تزكية النفس لا تجوز، قال تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ﴾، أي: لا تمدحوا أنفسكم، ﴿هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾، وهذا ليس على إطلاقه؛ إذا كان على وجه العجب بالنفس والتكبر على الغير واحتقار الغير"[5].

---

(١) صحيح مسلم، ك: الطهارة، ح: ٣٢٨. وأخرجه الترمذي في صحيحة، ك: الدعوات، ح: ٣٤٣٩، وابن ماجة في سننه، ك: الطهارة، ح: ٢٧٦، والإمام أحمد في المسند، باقي مسند الأنصار، ح: ٢١٨٢٨ و٢١٨٣٤، والدارمي في سننه، ك: الطهارة، ح: ٦٥١. [ترقيم العالمية].

(٢) كتاب الأربعين في أصول الدين للغزالي، ص٧٨.

(٣) حقائق عن التصوف للشيخ عبد القادر عيسى، مطبعة النواعير، الرمادي - العراق، ١٩٩٢، ط٥ ص٧٦.

(٤) شرح الطريقة المحمدية للنابلسي، ج١، ص٣٢٣.

(٥) الحديقة الندية شرح الطريقة المحمدية، عبد الغني النابلسي الحنفي، ط١ حجرية، ج٢، ص٢٤٥.

وقد تشدد أقطاب الصوفية الكرام أبلغ الشدة في الجرح والتعديل خوفاً من الانزلاق في الباطل المزعوم، لهذا قال ابن عربي أعلى الله مقامه، نقلاً عن النابلسي رحمه الله: "إياك أن تنزل أحداً من الله تعالى منزلة لا تعوضها إلا بتزكية عند الله فيه، ولا بتجريح إلا أن تكون على بصيرة من الله تعالى؛ فإن ذلك افتراء على الله تعالى، ولو صادفت الحق فقد أسأت الأدب، وهذا داء عضال، بل حسن الظن به، وقل فيما أحسب وأظن، هو كذا وكذا"[1].

(١) المرجع السابق، ص٢٤٦.

الخاتمة

الحمد لله الذي لا تنضب آلاؤه، ولا يغور رواؤه، منَّ علينا بهذا البحث النزر المباني، العميق المعاني؛ مبحث التزكية، وهي أسمى مناهج التربية؛ لأن التربية تخص الظواهر، والتزكية تصقل السرائر، ومن صلحت سرائره صلحت ظاهره.

وما أحرانا ونحن نعيش أمواج الخصام مع الأشرار اللئام لو اتبعنا التزكية منهجا مقدسا، ورواء مباركا لأرواحنا الظمأى، الحالمة بالعودة إلى المجد الغابر. هذا الأمل المنشود مفاتيح أغواره تكمن بالتغيير بنص القرآن الكريم؛ لن ينعم المجتمع بالتغير المادي إلا إذا توج بالتغير النفسي، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[1]، وما التزكية إلا أساس تغيير النفوس، تغيير السرائر المثمر تغيير الظواهر.

ولهذا نشرت أربعة بحوث عن الفقه الاجتماعي معتمداً على المنهج الإسلامي الأكمل الذي يولد الفرد الأنبل، والبيت الأفضل، والمجتمع الأمثل. وأظن أنني منحت التزكية بعض حقه؛ إذ استغرقت في بيان معانيها من القرآن الكريم من لغة العرب ومن السنة المطهرة، ثم بذلت الجهد الجهيد حتى استنبطت مبادئ التزكية عند الصوفية، ليس اجتهاداً مجرداً يعتمد التحليل الذي قد يصادف الصواب أو يجانبه، بل غصت في بحار أسفار الصوفية الكرام حتى وصلت إلى نصوص التزكية، وقد استشهدت بها ليشاركني القارئ الكريم في مبدأ نشر المنهج الصوفي لاسيما في مبدأ التزكية، الذي أراه أعمق من مبدأ التربية.

انتهى البحث

---

(١) سورة الرعد: الآية/ ١١.

المصادر والمراجع

١ - الاستيعاب في معرفة الأصحاب، للنمري - أبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر (ت: ٤٦٣ هـ)، تحقيق علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط١.

٢ - أسد الغابة في معرفة الصحابة، لابن الجزري- أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (ت: ٦٣٠هـ)، تحقيق: علي محمد معوض - عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت،ط١، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.

٣ - أشرف الوسائل إلى فهم الشّمائل (ومعه: جواهر الدّرر في مناقب ابن حجر)، لابن حجر الهيثمي- أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري، شهاب الدين شيخ الإسلام، أبو العباس (ت: ٩٧٤هـ)، تحقيق: أحمد بن فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

٤ - الإصابة في تمييز الصحابة، للعسقلاني- أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر (ت: ٨٥٢هـ) تحقيق علي محمد البجاوي، نشر دار الجيل، بيروت ط١، ١٤١٢هـ.

٥ - الأعلام، للزركلي - أبي الغيث خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس (ت: ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م)، دار العلم للملايين، بيروت ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

٦ - إيقاظ الهمم شرح متن الحكم، لابن عجيبة - أبي العباس أحمد بن محمد بن المهدي الفاسي (ت: ١٢٢٤هـ) تحقيق: محمد أحمد عبد الله، دار المعارف، القاهرة.

٧ - تاج العروس من جواهر القاموس، للزبيدي - أبي الفيض محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني (ت: ١٢٠٥هـ) دار الهداية، دمشق.

٨ - تاريخ الإسلام، للذهبي - أبي عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد (ت: ٧٤٨هـ)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٩، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

٩ - تاريخ الأمم والملوك، للطبري - أبي جعفر محمد بن جرير (ت سنة ٣١٠هـ) نشر دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

١٠ - تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي - أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (ت: ٤٦٣هـ)، تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت،ط١، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.

١١ - التاريخ الكبير، للبخاري - أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم (ت: ٢٥٦هـ) دار الفكر، دمشق ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

١٢ - تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم: أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (ت: ٣٢٧هـ) تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز- الرياض، ط٣، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.

١٣ - التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد، لابن نقطة - أبي بكر محمد بن عبد الغني بن أبي بكر بن شجاع، الحنبلي، البغدادي (ت: ٦٢٩هـ)، تحقيق: كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: ط١، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

١٤ - التوضيح لشرح الجامع الصحيح، لابن الملقن - سراج الدين أبي حفص عمر بن علي ابن أحمد الشافعي المصري (ت:٨٠٤هـ)، تحقيق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، دار النوادر، دمشق، ط١، ١٤٢٩ هـ/ ٢٠٠٨م.

١٥ - تهذيب التهذيب، للعسقلاني- شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر(ت: ٨٥٢هـ) دار الفكر، دمشق، ط١، ١٤٠٤ هـ/ ١٩٨٤م.

١٦ - تهذيب الكمال في أسماء الرجال، للمزي - يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، أبو الحجاج، القضاعي الكلبي (ت: ٧٤٢هـ)، تحقيق: د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٠ هـ/ ١٩٨٠م.

١٧ - التيسير بشرح الجامع الصغير، للمناوي - زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (ت: ١٠٣١هـ)، مكتبة الإمام الشافعي، الرياض، ط٣، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

١٨ - جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم، لابن رجب- زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي،

الحنبلي (ت: ٧٩٥هـ)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط - إبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٧، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.
١٩ - الجامع الكبير، سنن الترمذي - أبو عيسى محمد بن عيسى (ت:٢٧٩هـ)، تحقيق: بشار عواد معروف، دار إحياء الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.
٢٠ - الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله (ﷺ) وسننه وأيامه (صحيح البخاري)- محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (ت:٢٥٦هـ)، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، بيروت (الطبعة السلطانية)، ط١، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م.
٢١ - الجرح والتعديل، لابن أبي حاتم - أبي محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس (ت :٣٢٧هـ) دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٢٧١هـ.
٢٢ - حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم- أحمد بن عبد الله الأصفهاني (ت:٤٣٠هـ)، دار السعادة، القاهرة، تصوير دار الفكر، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.
٢٣ - جمع الجوامع المعروف بالجامع الكبير، للسيوطي - جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت:٩١١هـ)، تحقيق: مختار إبراهيم الهائج - عبد الحميد محمد ندا - حسن عيسى عبد الظاهر.
٢٤ - الأزهر الشريف، مجمع البحوث الإسلامية، ط١، ١٤٢٦ هـ/ ٢٠٠٥م.
٢٥ - خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، للحموي - محمد أمين بن فضل الله بن محب الدين بن محمد المحبي، الدمشقي (ت: ١١١١هـ)، دار صادر، بيروت.
٢٦ - الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، لابن حجر العسقلاني - أبي الفضل أحمد بن علي ابن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ)، تحقيق: مراقبة: محمد عبد المعيد ضان، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد/ الهند، ط٢، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.
٢٧ - الدر المنثور في التفسير المأثور، للسيوطي - أبي الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر (ت:٩١١هـ)، دار الفكر، بيروت، ١٤١٤هـ.

٢٨ - الرسالة القشيرية، للقشيري- عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (ت: ٤٦٥هـ)، تحقيق: الإمام الدكتور عبد الحليم محمود، الدكتور محمود بن الشريف، دار المعارف، القاهرة.

٢٩ - الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، للسهيلي - أبي القاسم عبد الرحمن ابن عبد الله بن أحمد السهيلي (ت: ٥٨١هـ)، تحقيق: عمر عبد السلام السلامي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

٣٠ - روضة المحدثين، لابن حجر - شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر (ت:٨٥٢هـ)، نشر مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة، الإسكندرية.

٣١ - الرياض النضرة في مناقب العشرة، للطبري - أبي العباس، أحمد بن عبد الله بن محمد، محب الدين الطبري (ت: ٦٩٤هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢.

٣٢ - الزهد الكبير، للبيهقي - أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (ت: ٤٥٨هـ) تحقيق: عامر أحمد حيدر، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط٣، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

٣٣ - سنن ابن ماجه، للقزويني - أبي عبد الله محمد بن يزيد (ت: ٢٧٥ هـ)، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت.

٣٤ - السنن الكبرى، للنسائي - أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب (ت: ٣٠٣هـ) مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

٣٥ - السنة، لابن أبي عاصم - أبي بكر بن أبي عاصم وهو أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني (ت: ٢٨٧هـ) المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

٣٦ - سنن الدار قطني - أبو الحسن علي بن عمر (ت:٣٨٥هـ)، تحقيق: السيد عبد الله بن هاشم يماني، نشر دار المعرفة، بيروت، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م.

٣٧ - سير أعلام النبلاء، للذهبي - أبي عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد (ت: ٧٤٨هـ) تحقيق: شعيب الأرناؤوط، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٩، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

٣٨ - السيرة النبوية، لابن كثير - أبي الفداء إسماعيل بن كثير (ت: ٧٤٧هـ)، تحقيق مصطفى عبد الواحد، نشر دار المعرفة، بيروت.
٣٩ - شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لابن العماد- عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي، أبو الفلاح (ت: ١٠٨٩هـ)، حققه: محمود الأرناؤوط، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.
٤٠ - شرح السنة، للبغوي- أبي محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (ت: ٥١٦هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي - دمشق، بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.
٤١ - شرح معاني الآثار، للطحاوي -أبي جعفر أحمد بن محمد (ت: ٣٢١هـ)، تحقيق: محمد النجار، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.
٤٢ - شعب الإيمان، للبيهقي- أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر (ت: ٤٥٨هـ) حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م.
٤٣ - الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع، للسخاوي - شمس الدين محمد بن عبد الرحمن ابن محمد (ت: ٩٠٢هـ) مكتبة القدسي، القاهرة، ط١، ١٣٥٤هـ.
٤٤ - طبقات الشافعية، لابن قاضي شهبة- أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر الأسدي الشهبي الدمشقي، تقي الدين ابن قاضي شهبة (ت: ٨٥١هـ) تحقيق: د. الحافظ عبد العليم خان، عالم الكتب/ بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ.
٤٥ - طبقات الشافعية، للسبكي - أبي نصر تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (ت: ٧٧١هـ) تحقيق: د. محمود محمد الطناحي د. عبد الفتاح محمد الحلو، دار هجر، الجيزة، ط٢، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.
٤٦ - طبقات الفقهاء، لابن منظور - محمد بن مكرم بن منظور(ت:٧١١هـ)، تحقيق: ابن عباس، ط١، دار الرائد العربي، بيروت.

٤٧ - طبقات المفسرين، للداوودي - محمد بن علي بن أحمد، شمس الدين المالكي (ت: ٩٤٥هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت.
٤٨ - الطبقات الكبرى، لابن سعد - أبي عبد الله محمد بن سعد بن منيع الزهري (ت٢٢٢هـ)، تحقيق إحسان عباس، نشر دار صادر، بيروت ط١، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م.
٤٩ - عجائب الآثار في التراجم والأخبار(تاريخ الجبرتي)، برهان الدين عبد الرحمن بن حسن الجبرتي (ت: ١٢٣٧هـ)، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.
٥٠ - عمدة القاري شرح صحيح البخاري، للعيني - أبي محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي بدر الدين العيني (ت: ٨٥٥هـ) دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٥١ - عون المعبود شرح سنن أبي داود، للعظيم آبادي - أبي عبد الرحمن محمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر، شرف الحق، الصديقي (ت: ١٣٢٩هـ) دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤١٥ هـ/ ١٩٩٥م.
٥٢ - فتح الباري شرح صحيح البخاري، للعسقلاني - أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر (ت:٨٥٢هـ) تحقيق: محب الدين الخطيب، محمد فؤاد عبد الباقي، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ/ ١٩٥٩م.
٥٣ - الفتوحات المكية، لابن عربي - أبي بكر محي الدين محمد بن علي بن محمد (ت: ٦٣٨هـ) دار الكتب العلمية، بيروت.
٥٤ - الفردوس بمأثور الخطاب، للديلمي - شيرويه بن شهردار بن شيرو يه بن فناخسرو، أبو شجاع الهمذاني (ت: ٥٠٩هـ)، تحقيق: السعيد بن بسيوني زغلول، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.
٥٥ - كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، للعجلوني- إسماعيل بن محمد العجلوني الجراحي (ت: ١١٦٢هـ) دار الكتب العلمية، بيروت.
٥٦ - كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، للمتقي الهندي - علاء الدين علي المتقى بن حسام الدين الهندي البرهان فوري (ت: ٩٧٥هـ) صححه ووضع فهارسه: الشيخ بكري حياني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

٥٧ - لسان العرب، لابن منظور - أبي الفضل محمد بن مكرم الإفريقي المصري (ت: ٧١١هـ) دار صادر، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م
٥٨ - مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، للهيثمي - علي بن أبي بكر (ت: ٩٧٣هـ) دار الريان للتراث، القاهرة، ١٤٠٧ هـ/ ١٩٨٧م.
٥٩ - محبة الرسول بين الإتباع والابتداع، عبد الرءوف محمد عثمان، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد إدارة الطبع والترجمة ، الرياض، ط١، ١٤١٤هـ.
٦٠ - مختار الصحاح، للرازي - محمد بن أبي بكر بن عبد القادر (ت: ٦٦٠هـ) تحقيق: محمود خاطر، مكتبة ناشرون، بيروت، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م.
٦١ - مراسيل أبي داود - سليمان بن الأشعث بن إسحاق السجستاني(ت:٢٧٥هـ)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
٦٢ - المستدرك على الصحيحين، للنيسابوري - أبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم (ت: ٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م.
٦٣ - مسند أحمد، الشيباني- أبو عبد الله أحمد بن حنبل (ت:٢٤١هـ) مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.
٦٤ - مسند البزار، البزار - أبو بكر أحمد بن عمر (ت:٢٩٢هـ)، تحقيق: محفوظ عبد الرحمن، مؤسسة علوم القرآن، بيروت، ط١، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.
٦٥ - المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله (ﷺ) (صحيح مسلم) مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: ٢٦١هـ) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٦٦ - المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، للفيومي - أبي العباس أحمد بن محمّد بن علي المقري (ت ٧٧٠ هـ) دار الفكر، بيروت، ط١، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م.
٦٧ - المصنف في الأحاديث والآثار، لابن أبي شيبة - أبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي (ت: ٢٣٥هـ)، تحقيق: كمال الحوت، نشر مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

٦٨ - المصنف، للصنعاني -أبي بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع (ت: ٢١١هـ)، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م.
٦٩ - المعجم الأوسط، للطبراني- أبي القاسم سليمان بن أحمد (ت: ٣٦٠هـ)، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.
٧٠ - المعجم الكبير، للطبراني - أبي القاسم سليمان بن أحمد أيوب (ت:٣٦٠هـ)، تحقيق: حمدي السلفي، نشر مكتبة العلوم والحكم، الموصل، ط٢، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.
٧١ - معجم المؤلفين، للأستاذ عمر رضا كحالة (ت:١٤٠٨هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٧٧هـ / ١٩٥٧م.
٧٢ - معرفة الصحابة، لأبي نعيم - أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (ت: ٤٣٠هـ)، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، دار الوطن للنشر، الرياض، ط١، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م.
٧٣ - المغازي، للواقدي - محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء، المدني، أبو عبد الله (ت: ٢٠٧هـ)، تحقيق: مارسدن جونس، دار الأعلمي، بيروت، ط٣، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.
٧٤ - المغني عن حمل الأسفار في الأسفار، في تخريج ما في الإحياء من الأخبار (مطبوع بهامش إحياء علوم الدين)، للعراقي - أبي الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم العراقي (ت: ٨٠٦هـ)، دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م.
٧٥ - المقاصد الحسنة، للسخاوي - أبي الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد (ت سنة ٩٠٢هـ) دار الكتاب العربي، بيروت.
٧٦ - الموطأ للإمام مالك - أبو عبد الله مالك بن أنس (ت: ١٥٩هـ)، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي، مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان، دبي ط١، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م.

٧٧ - نصب الراية في تخريج أحاديث الهداية، للزيلعي - أبي محمد عبد الله بن يوسف بن محمد (ت: ٧٦٢هـ)، تحقيق محمد البنوري، مكتبة دار الحديث، القاهرة، ١٣٥٧هـ.
٧٨ - هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، للبغدادي - إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم الباباني (ت: ١٣٩٩هـ) دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٧٩ - الوافي بالوفيات، للصفدي - صلاح الدين خليل بن أيبك (ت: ٧٦٤هـ) تحقيق أحمد الأرناؤوط، نشر دار إحياء التراث، بيروت ١٤٢٠ هـ/ ٢٠٠٠م.
٨٠ - وفيات الأعيان، لابن خلكان - أبي العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم بن خلكان (ت: ٦٨١هـ)، دار الثقافة، بيروت.

فهرس الموضوعات

الإهداء ٣

كلمة البروفيسور الدكتور خالد رشيد الجميلي ٥

فصل في آداب الذكر ٢٢

فصل في أحوال ذكر القلب ٢٦

فصل في تفسير تقوى الله ٤٦

فصل في بيعة النساء ٥٦

فصل في بيعة الصغير ٦٣

فصل: السند بالإلباس والبيعة والتلقين ٦٥

فصل في السند: من أخذ عنهم الشيخ محمد بن يونس ٧١

سند السادة الشطارية واتصالنا به ٧٤

سند شجرة خلافة السادة الحشتية ٧٥

سند خلافة شجرة السادة الفردوسية وسند المشائخ الكبروية ٧٧

سند خلافة شجرة المشايخ السهرورودية ٧٨

سند شجرة خلافة الباس المرقعة من السادة السهرورودية ٧٩

سند شجرة خلافة مشائخ الطبقات القادرية تلقيناً وإلباساً ٨٠

سند شجرة خلافة السادة الطيفورية ٨١

سند شجرة خلافة المشائخ الأويسية ٨٢

سند شجرة خلافة المشائخ الفردوسية ٨٣

سند شجرة خلافة المشائخ الخلوتية ٨٤

سند شجرة خلافة المشائخ الهمدانية ٨٥

سند شجرة خلافة المشايخ النقشبندية ٨٦
سند الخلافة الباطنية ٨٨
فصل في احتياج المتلقي للتلقين للعزلة ٨٩
فصل في الدخول في الطريقة ٩١
فصل في إرادة المريد العزلة أو الخلوة ٩٣
فصل في اجتماع الإمام الحسن البصري بأمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ﷺ) ٩٥
فصل في حبس النَفَس ١٦١
ما روي عن شيوخ السلسلة البسطامية ١٧٥
ترجمة المؤلف..... ١٨٤
أحكام التزكية في الفقه الصوفي للجميلي ١٨٩
المصادر والمراجع..... ٢٢٢
فهرس الموضوعات ٢٣١